

قطاع الثقافة

ضربة فى قلبك

أحمد رجب



قطاع الثقافة

ضربة فى قلبك

أحمد رجب

■ رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

دار اخبــار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

الغلاف بريشة الفنان / مصطفى حسين

تصميم الغلاف /عبد الكريم محمود

الإهداء

عندما يسافر الخوف في الشرايين، ويصبح
أمن النفس أمنية بعيدة، وتنطلق من الأعماق
أصوات استغاثة لا يسمعها أحد ... فإنها
هي وحدها التي تسمعها ... قلعة الأمان
التي أحتمي بها من المجهول.
إليها ..
أعز الناس أمس، واليوم، وإلى الأبد.

أحمد رجب

الحب مرض وراثى جميل ينتهى بالسكتة الزوجية

أحمد رجب

أعمى يقوده مجنون !





برغم كل ما قيل فى الحب ، فلا تزال دنياه جميلة ومثيرة ، يلفها سحر السر وغموضه ، وسوف يستمر الانسان ـ من الأزل الى الأبد ـ يحاول اكتشاف الحب .

ما هو الحب ؟

لا أحد يستطيع ان يزعم انه حدد معنى أو تعريفا لهذا المرض الوراثى الجميل ، يقول أمير الشعراء :

وما الحب الا طاعة وتجاوز

وان اكثروا أوصافه والمعانيا

وما هو الا العين بالعين تلتقى

وإن نوعوا أسبابه والدواعيا

ثم ينتهى أحمد شوقى الى قوله :

وعندى الهوى موصوفه لا صفاته

اذا سألونى ما الهوى قلت ما بيا

والحب جميل لأنه ابن الجمال ، ففى الأساطير اليونانية ان كيوبيد هو الابن الوحيد لفينوس من جوبيتر ، ولأن الحب جميل فهو يجمل ما يتصل به : يجمل وجه المحبوب مهما صدقت فيه نظرية دارون ، ويجمل عيوب من نحب ، ويزوق سخافاته ، وتختلط فيه الأكاذيب بالأحلام ، فلا يعرف الانسان اين أكاذيبه من أحلامه .

والحب هو القدرة على الضعف مهما كنت قويا وجبارا ، وأن تستعذب الاستسلام وأن تشعر ببهجة شديدة لذلك ، بينما كل من حولك يضرب كفا بكف قائلا : لا حول ولا قوة الا بالله .



والحب هو الرغبة فى اسعاد انسان آخر بالعطاء بلا مقابل ، ولهذا وجد الحب من طرف واحد ، ولهذا ايضا لا يعرف الانسان لماذا يحب انسانا بالذات ، فهو ان وجد لحبه سببا أو آخر ، فهو ليس حبا بل مصلحة ، وفى ذلك قيل ـ مثلا ـ : ان المرأة ومالها سرعان ما يجدان زوجا .

والحب مرض وراثى ، فيه أوجه شبه كثيرة من الأمراض التى تصيب الانسان ، ففيه من أمراض القلب سرعة النبض والخفقان وفيه من أمراض العقل عجز المريض عن التكيف والتقدير السليم للواقع الخارجى ، وفيه من الملانكوليا أو الاكتئاب والارق وفقدان الشهية ، وفيه من السعال ان العاشق لا يستطيع كتمانه ، وفيه من مرض فقدان الذاكرة ان الانسان يصحو ذات صباح فلا يذكر ولا يدرى كيف ومتى ولماذا تزوج ؟

والحب حركة وحياء ، لأن كل طرف يجرى وراء الآخر ، فاذا تم الزواج جرى كل منهما امام الآخر من باب الفرار .

ونحن نقول فلان وقع فى الحب ، والوقوع فى الحب تعبير مترجم ومنقول عن الأوربيين ، فليس عند العرب مثل هذا التعبير ، إنما كانوا يعبرون عن حدوث الحب بالقتل ، فإن أحبها فهى قتلته ، والشاعر يقول : قتلننا ثم لم يحيين قتلانا ، وهند تقول لعمر بن ربيعة : ما لمقتول قتلناه قود ـ أى ثأر ـ وفاتنة ابو فراس الحمدانى تسأله : من أنت فيرد : قتيلك .

ورغم شيوع تعبير وقوع الرجل فى الحب ، فلا يزال قتل المرأة للرجل قائما ايضا ، ولا داعى للحديث عن الأكياس ، والحب ضرورة للزواج ، فهو الطريق الى النهاية وخاتمة المغامرة المجنونة ، وأجمل ما فى الحب جنونه ، وفى الأساطير الأغريقية ان اله الجنون اشفق على كيوبيد إله الحب عندما رآه معصوب العينين فتقدم نحوه يقوده من يده وهكذا أصبح الحب : أعمى يقوده مجنون .



والحب هو الأكذوبة الوحيدة الرائعة التى تصدقها رغم تكرار انكشافها ، وهو اكذوبة تستغرق عادة مداها الزمنى دون أن يستطيع احد انتزاعك منها بمحاضرة او نصيحة . فالانسان لا يستطيع ان يتخلص من نار الحب الا بالطريق الطبيعى وهو الزواج من المحبوب .

فالنصائح لا تجدى مع العشاق ، وقديما قالت العرب : ليس فى الحب مشورة ، فالعاشق يسألك الرأى متمنيا فى سريرته ان تجارى رأيه الذى سوف ينفذه فى النهاية ، ورأيه هو عواطفه ، فلا مكان للعقل عند العشاق.فلو أنه مثلا لمحها مصادفة بجوار رجل آخر فى سيارة مرقت امامه ثم انكرت هى التهمة ، فإن الموقف سوف ينتهى بأن يصدقها ويكذب نظارته التى ينبغى تغييرها أو أن يقول : سبحان الله يخلق من الشبه اربعين - إنت أجمل واحدة فى الاربعين .

ونابليون لم يحب امرأة مثلما احب جوزيفين التى كانت تخونه كما تتنفس ، وكان يصدق أكاذيبها لأنه يريد أن يصدقها ، فكل طرف يصدق الآخر بقدر ما يحبه ، واذا كان رصيد الحب عنده ضخما تلقى الكذبة - مهما كانت مفضوحة - بالرضا والقبول ، لكنه يرفض الكذبة المتقنة اذا كان رصيد الحب لا يسمح .

○ ○ ○

ولكى تدلى بمشورتك لعاشق فهذا يتطلب معرفة كل الحقائق ، لكن العاشق عادة يطمس كل الحقيقة أو بعضها فيزعم مثلا أن الخلاف نشب بينه وبينها لأنه يريد قضاء شهر العسل فى البحر الأحمر وهى تريد الساحل الشمالى ، بينما الحقيقة أنه تقدم لخطبتها فطرده ابوها لأنه صايع .

والعاشق - كما العاشقة - يريد كبش فداء لتغطية ضعفه وستر كبريائه ، والنموذج المثالى لذلك .. هى تلك الحكاية القديمة عن

الرجل الذى ضبط حبيبته جالسة على كنبة الى جوار رجل يقبلها فثار وهاج وماج وأقسم أن يبيع الكنبة .

ولأن الحب من الطف انواع الجنون ، فليس هناك أسوأ من الانسان الذى يعرف الصواب تماما ويتجنبه ، وكل العشاق يتجنبون الصواب لأنه عين العقل والعقل يذهب بالحب ، بعكس الزواج الذى يذهب بالعقل .

والحب هو الحب .. من العصر الحجرى حتى عصر الليزر : اللوعة والدمعة .. والحنين .. والشوق .. والفرحة .. والخوف .. وسهر الليل .. وتنهدات المساء .

لكن الذى يختلف من زمان الى زمان هو : أساليب الحب .. وتقاليد الحب .. ووسائل اتصال المحبوب بالمحبوب .

فلو ان عاشق العصر الحجرى مثلا عرف الورق لجنب حبيبته خطر القاء الاحجار نحوها منقوشا عليها رسائله الغرامية ، ولو أنه كان يعرف الماس لما اضطرت المحبوبة الحجرية الى أن تشبك ثوبها جلد الغزال بهديته : بروش جرانيت .

ولو عاش روميو وجولييت عصرنا ، لاضطر شكسبير الى احداث تغييرات جوهرية فى مسرحيته . ان السلم الحريرى الذى كان يصعد به روميو الى شرفة جولييت يعد من اهم المعالم الرومانسية الجذابة والمثيرة فى قصة شهداء الغرام .

فماذا يفعل روميو لوكانت جولييت تسكن الدور العشرين فى عصر ناطحات السحاب ؟ .. طبعاً السلم الحريرى هنا مستحيل ، والحل البديل هو ان يستعير روميو كل ليلة سيارة اطفاء ، ليستعمل سلمها فى الصعود الى الشرفة ، وهذا ايضا غير ممكن ، ويبقى الحل البديل الثانى .. وهو ان يحل التليفون محل السلم الحريرى وسيلة لاتصال العاشقين وتبادل الهمس والنجوى وآهات الغرام .

وليس شك ان التليفون كان سيوحى الى شكسبير بأحداث



تراجيدية جديدة .. كأن يتلقى السيد كابوليت ـ والد جولييت ـ من هيئة التليفونات مطالبة بدفع مبالغ طائلة قيمة مكالمات زائدة عن الحد المسموح به .

هكذا نرى كيف ان التطور الحضارى والتكنولوجى ـ اختراع ناطحات السحاب والتليفون مثلا ـ يمكن ان يلعب دورا مؤثرا على أسلوب العلاقة بين روميو وجولييت .

o o o

ونحن الآن فى عصر الكمبيوتر الذى حل محله العرافة والبصارة وقارىء الكف !

وقد كان العشاق ـ فيما مضى ـ يهرولون الى السحرة والمشعوذين ليسخروا الجن فى اخضاع المحبوب ، وكان العاشق فى الزمن الغابر تحفى قدماه بحثا عن خروف أشقر طلبه ملك الجن ، أو دجاجة سوداء لها فى رأسها « ميش » أصفر ، او حمامة بيضاء يتيمة الأبوين ، أو خنزير أخرس .

وكان السحرة يطلبون هذه المستحيلات حتى يظل العاشق هدفا للابتزاز الدائم .. فهو عليه ان يقدم قرابين أخرى الى ملك الجن توسلا واستعطافا حتى يعدل مطلبه من المستحيل الى الممكن ، وفعلا يتعدل الطلب بعد فترة من حمامة يتيمة الأبوين الى ديك أرمل ، ويستمر العائق فى الدفع بسخاء تقربا الى ملك الجن الذى سوف يأتى بالمحبوب اسيرا راكعا على الركبتين !

الآن الكمبيوتر يؤدى المهمة بشكل آخر وعلى أسس من العلم ، اذ يشبع نزعة التطلع الى الغيب عند العاشق ، فيقدم اليه تنبؤات مدروسة عن الطرف الآخر ، او ردود فعله إزاء تصرف معين ، كما يقدم الاستشارة والنصيحة ، وأهم من هذا كله أصبح الكمبيوتر يقوم بمهمة الخاطبة .

وقد أثبت الكمبيوتر فى البلاد التى لا تركب الافيال أنه قادر



بالتغذية العلمية السليمة على حل أعقد المشكلات .. سواء أكانت شخصية أم عاطفية أم متعلقة باختيار شريك الحياة .

وفى بلاد تركب الافيال قد يتحول الكمبيوتر الى نسخة من أم عبده الخاطبة التى كانت تخفى نصف الحقيقة عن العروسين ، فيتم تغذية الكمبيوتر بكل ما يغرى طرفا للزواج من الطرف الآخر ، ومبروك فتقبض الأتعاب . مثال ذلك ان تسأل العروس الكمبيوتر عن العريس المرشح للزواج منها ؟ فيعطى لها الردود التالية ويخفى الحقائق الموجودة بين قوسين :

— هل هو عدوانى يمكن ان يرفع يديه اذا فقدت يوما أعصابى ؟

— بالعكس . إنه شديد الوداعة ، واذا فقدت أعصابك فإنه لن يرفع يديه (إلا لحماية وجهه) .

— هل هو مطيع ؟ وهل تتوقع ان يطيعنى ؟

— جدا فقد كان متزوجا من قبل (خبرة ١٠ سنوات) .

— تعنى أنه ليس من النوع العنيد المتعب حاد الذكاء ؟

— لا . هو غير حاد الذكاء (بدليل انه مقدم على الزواج)

— تقصد انه بليد الفهم ؟

— اطلاقا . (فهو لم يطلب الاطلاع على صورتك بل على مفردات ثروتك) .

— هل له ماض ؟

— هو مثل كل رجل يقبل على الزواج له ماض طبعا (وليس له اى مستقبل) .

— هل هو نادم على ماضيه ؟

— كلا (فسوف يندم عليه بعد الزواج) .

— هل هو متفائل ام متشائم ام مكتئب ؟

— كلا إنه لم يكتئب بعد ، وهو يستقبل كل شىء بتفاؤل



(ويتزوج كل مرة بابتسامة) .

— تعنى أنه لا يعانى القلق والخوف من المجهول ؟

— الى حد ما ، فالقلق مرض العصر ، وشىء طبيعى ان يشعر الانسان ببعض الخوف من المجهول (الاكياس البلاستيك) .

ومثلما يتلقى الكمبيوتر أسئلة صعبة فإن له احيانا ردودا صعبة ، مثل ذلك الفتى الذى عرض على الكمبيوتر تفاصيل كاملة عن اربع فتيات من زميلاته وطلب الى الكمبيوتر ان يختار منهن واحدة تكون على نقيضه تماما حتى يكمل كل منهما الآخر .

فرد الكمبيوتر :

— تستطيع ان تختار اية واحدة منهن . فكلهن فى منتهى الذكاء ..

ورغم ان الكمبيوتر حقق الكثير من الزيجات الناجحة .. وأدلى باستشارات رشيدة ، إلا أن له احياناً ـ لسبب أو آخر ـ تجاوزات قد تؤدى الى المتاعب .

مثلا .. زوجة عرضت مشكلتها على الكمبيوتر قائلة : عندما افتش جيوب زوجى كل ليلة خلال نومه اعثر على صورة قصاصة من صحيفة بها خبر يقول : رجل يقتل زوجته لأنها تفتش جيوبه ، ترى هل ينوى زوجى قتلى حقا ؟

ورد الكمبيوتر :

— هناك احتمال ان يفعل ذلك بعد هذه الانذارات ، لكنه رجل متوحش إذ ينوى قتلك بهذه الطريقة .

وأسرعت الزوجة ترفع دعوى تطلب الطلاق مستشهدة بالكمبيوتر ، وتوجه الزوج الى نفس الكمبيوتر ليستوثق من ادعاء الزوجة .. ورد الكمبيوتر على الزوج قائلا :

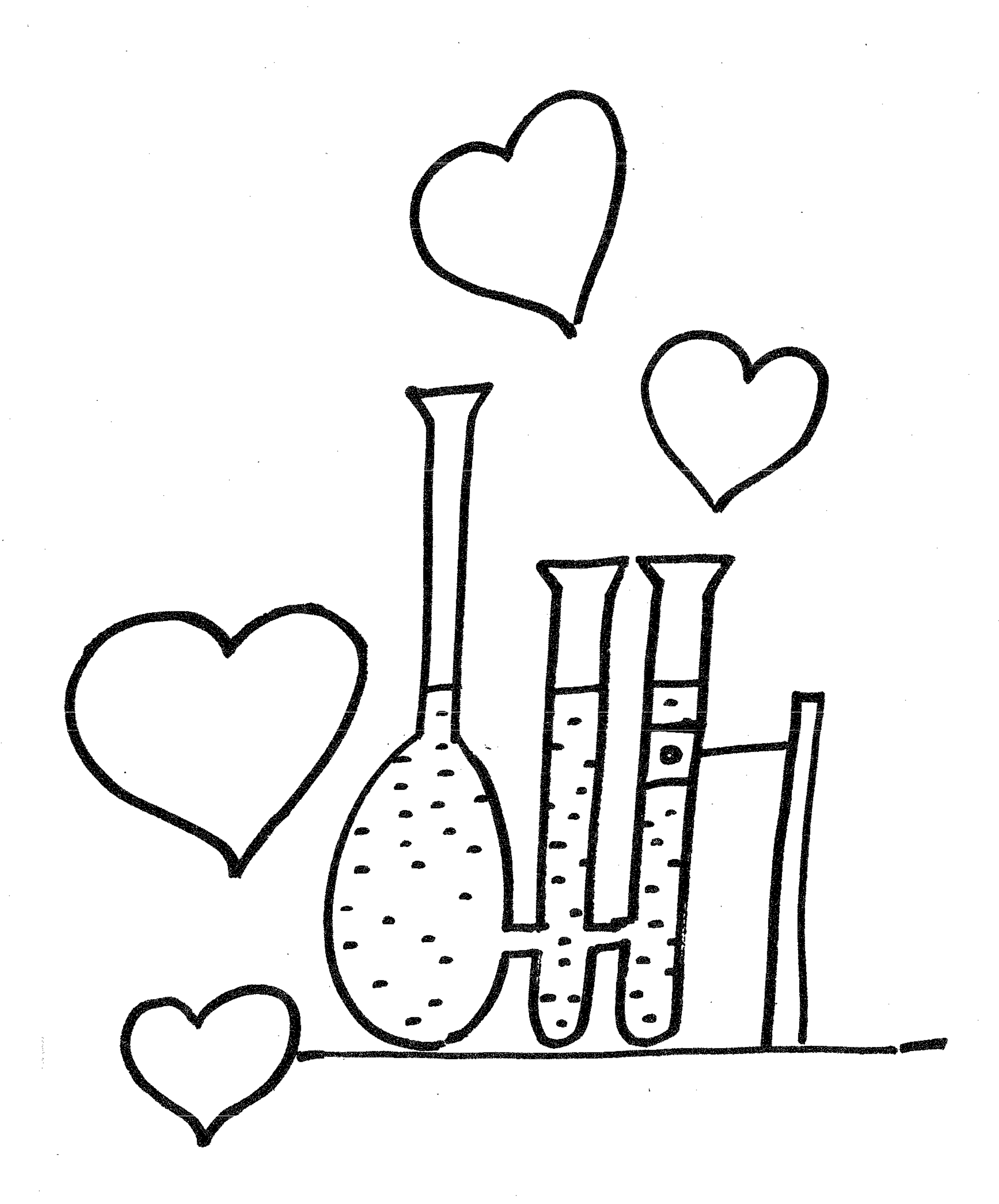
إن اصرارك على وضع قصاصة الجريدة عن الزوج الذى ذبح زوجته فى جيبك يوضح عزمك على قتلها بهذه الطريقة المتوحشة ..

لماذا لا تكون انسانا وتقتلها برصاصة ؟

وسوف يذهب عصر الكمبيوتر ليأتى عصر الحب الكيميائى ! فمادام جسم الانسان عبارة عن كيمياء وكهارب ، فكل احلام الحب ممكنة التحقيق !

○ ○ ○

حب وكيميا وسبانخ





ان العلماء يقولون انهم لا يزالون يدورون حول كوكب المخ الانسانى المجهول ولم يهبطوا عليه بعد ليعرفوا خفاياه . ولهذا فإن معظم الاكتشافات التى تؤثر فى كيميائيات المخ جاءت بالصدفة .

فقد لوحظ مثلا أن عقارا استخدم لعلاج السل كان يجعل المرضى يمرحون ويرقصون فى العنابر ، وهذه الملاحظة قادت العلماء الى الكيميائيات التى تعالج مرض الاكتئاب النفسى ، كذلك كان الجراحون يستخدمون عقارا لتخفيف الآلام . وعندما تعاطاه مصابون بأمراض عقلية بعد عمليات جراحية عادية ، تبين ان العقار مهدىء للهياج العصبى والعدوانية كما أنه يخفف من التفكير المضطرب والهلوسة أى أنه يصلح جدا للمتزوجين .

○ ○ ○

ولا يزال العلماء يبحثون فى العلاج الكيميائى ، عن طريق المخ للانحراف والاجرام والادمان والجنون ، وهناك علماء يتفرغون لبحث العواطف بالمعادلات .. فالعواطف كيمئياء وكهارب ، القبلة كيمياء ، والضمة كيمياء والغيرة كيمياء والضنى واللوعة ودمع العين ولقاء المحبوب بالمحبوب فيه شحنات سالبة وشحنات موجبة والكترون وأيون وذرات تنفصل ومواد تتحد ، ومعمل كيميائى شغال طول ما اليد فى اليد والعين فى العين والتنهيدة ترد على تنهيدة ..

وليس شك ان اكتشاف خفايا قارة المخ المجهولة سوف يساعد كثيرا على تخليص الحب من آفاته ، كالخيانة والخداع ونقض العهد ، وسوف يمكن تدعيم الحب كيميائيا بتغذية مراكز اللهفة والشوق والحنين فى المخ ، كما يمكن تزويد المخ كيميائيا بما يجعل



الرجل ـ او المرأة ـ لديه جهاز انذار مبكر فى المخ يستشعر به فى الوقت المناسب وجود اى خلل عاطفى عند الطرف الآخر !

ومادامت الغدد الرومانسية تتعطل بعد الزواج ، فسوف يكون هناك كبسولات او أقراص أو أمبولات تحمل الخلاصات الرومانسية يتعاطاها الزوج بعد عشرين سنة زواج ، فيجلس يغمز لزوجته من وراء الأولاد ويسبل لها العينين ويرسل لها قبلات فى الهواء ويهمس اليها بأن يتناولا العشاء فى الخارج ، او تلتقى به بعد ساعة على شط النيل .

والأمر يقتضى ـ فى هذه الحالة ـ ان تتعاطى الزوجة نفس الاقراص الرومانسية حتى اذا رأت زوجها يقوم بكل هذه الحركات فلا تشهق وتقول جرالك ايه ياراجل ياخرفان ؟

بعد اقل من خمسين سنة سوف تصبح هذه الاحتمالات او الخيالات حقائق ملموسة عندما ينتهى العلم من اكتشاف كوكب المخ الانسانى وترجمة كهاربه وكيميائياته الى مشاعر وأفكار وحب ونبض وحنين ونفور ، ويعرف العلماء علاقة العواطف الانسانية بمكونات الجسم الانسانى من اوكسجين وكربون وهيدروجين ونيتروجين وكالسيوم وفسفور وبوتاسيوم وكبريت وصوديوم وماغنسيوم وزنك .. الى آخره !

بعد اقل من خمسين سنة سوف يقال : هذا هو العصر الذهبى للعشاق فقد انتهت مآسى الحب ، واختفت دموع الصد والهجران ، وتبدد أنين الفراق وأصبح الحب نعيما فى نعيم .

لقد أصبح المخ كتابا مفتوحا يمكن قراءته بسهولة على شاشات الأجهزة .. ومعه بيانات المعادلات الكيميائية الدقيقة التى تحكم تصرفات الانسان من كربونات البوتاسيوم الى ميتافوسفات



الصوديوم الى بيروفوسفات الكالسيوم !

○ ○ ○

زمان كان العزول يفسد ما بين الحبيبين بالوشاية ، وكان الاصدقاء يصلحون ما بينهما بالكلمة الطيبة ، والآن الأمر يختلف تماما ! لقد اصبح ترمومتر العواطف متعلقا بأكل حزمة جزر او طبق بسلة ، وقد يفسد ما بين الحبيبين تعلق الحبيبة بأكل الكرنب ، وقد يعيشان فى جو حالم من الحب والشعر والخيال اذا كانت المحبوبة تهوى أكل سلاطة الحمص ! ـ

تعالوا نسمع هذا الحوار بين زوجين فى أعقاب شهر العسل :

— لست أدرى ياحبيبتى ما الذى أغضبك ؟

— لن أبقى ..

— لا تفسدى حياتنا ..

— لقد فسد كل شىء ..

— كلا .. فما تزالين على حبك لى .

— تحدث عن مشاعرك وحدك ..

— أحبك بجنون ..

— لا تكذب .. لست الا مجرد قصة قصيرة فى حياتك ..

— بل أنت حب الأبد ..

— حبك الأبدى ليلى ..

— ليلى مرة أخرى ؟

— ... وتصر الزوجة الشابة على أنه لا يزال متعلقا بخطيبته الأولى .

وتنصرف الزوجة غاضبة الى احدى الغرف ، ويتجه الزوج نحو التليفون يطلب الطبيب المختص فى مركز التوافق الزوجى الذى يقوم بإعداد الخطيبين قبل الزواج كهربائيا وكيميائيا ليتوافقا معا ..



— لقد عادت تكرر قصة خطيبتى السابقة يادكتور ..

— ماذا أكلت زوجتك اليوم ؟

— لا أعرف كنت مدعوا الى غداء عمل بمفردى ..

— من المؤكد ان زوجتك أكلت سبانخ .. ألم أحذرها من ذلك ؟

... ويسعى اليها الزوج يسألها فى لطف :

— هل أكلت سبانخ اليوم ... ياحبيبتى ؟

— أجل .. أكلت سبانخ ..

— ألم يحذرك الطبيب منها ؟

— غير معقل ان أحرم من اشهى طعام إلى نفسى من اجل حبيبتك ليلى ..

ويعود الزوج وفى يده كوب من اللبن .. ولابد من ان تشرب هذا اللبن حتى يعود الصفاء .. فإن أكل السبانخ يعوق امتصاص الكالسيوم فى الدم ، والكالسيوم ضرورى لعمليات كيميائية أخرى تحد من نشاط بؤرة كهربائية فى المخ .. فالنشاط الزائد لهذه البؤرة هو الذى يدفع الزوجة الى اجترار قصة ليلى وترديدها !

لكن المشكلة ان الزوجة تكره اللبن وتحب السبانخ .

○ ○ ○

وممكن جدا ـ بعد اقل من خمسين سنة ان يتكرر هذا المشهد لرجل وامرأة على رصيف محطة السكة الحديد او صالة مطار :

— عمر ؟ ؟ غير معقول !

— « مندهشا » أفندم ؟

— لم تتغير كثيرا ياعمر ..

— ....

— عمر .. انا هند .. الا تذكرنى ؟

— أخشى أن اقول ان سيدتى قد أخطأت ..



— لا يمكن ألست عمر ؟
— بلى ..
ـ وهذه الندبة الصغيرة فى أذنك .. ألا تذكر هند خطيبتك ؟
— خطيبتى ؟ ؟ ولكن لم يسبق لى أن خطبت ياسيدتى ..
— أنت مجنون !
— يبدو أنك سيدة غير مهذبة ..

إنها على حق وهو على حق ايضا ، كانت خطيبته فعلا ، وأحبها الحب الداهم الذى يتسلط على الكيان ، لكن اسرته أعلنت الحرب على الفتاة ، وحتى يجنبوه آلام الفراق ، تم تخديره فى غفلة منه ، ثم أدخلوه الى جهاز خرج منه وقد فقد الذاكرة فى كل ما يتعلق بهند فقط وقصته مع هند .

ولكن .. هل يصبح للحب طعم بلا لوعة ولا دمعة ؟ .. واى حب هذا الذى لا يعانى فيه الانسان ذلك الألم المستحب والسهد الجميل والأوجاع الممتعة فى المشاعر ؟

واى زمان هذا الذى يحول فيه العلم بين الانسان وبين عذابات الهوى ، فيسمع ام كلثوم تغنى : « هجرتك يمكن أنسى هواك » فيتلقى هذه الكلمات وكأنه يسمع قائمة بيع بالمزاد العلنى ؟

اننى شخصيا ـ أفضل حبنا التقليدى على حب العصر القادم .. وافضل زواج العصر القادم على الزواج فى القرن العشرين ، فسوف يصبح من السهل جدا خلق الائتلاف بين الخطيبين عن طريق المعادلات الكيميائية ، وبرمجة مخ الخطيب ومخ الخطيبة اذ سيتمكن العلم من معاملة المخ معاملة الكمبيوتر من حيث تخزين المعلومات والتصرفات المطلوبة فى مواقف معينة ، وبذلك تأتلف طباع الاثنين فى حياة زوجية منسجمة خالية من الصدامات والتوترات . وقد تلجأ العروس الى تقديم الهدايا الثمينة



خفية الى القائمين على برمجة مخ العريس ليقوم بغسل الصحون ومسح البلاط ، ولابد ان الاكرامية لهم ستكون أكبر اذا طلبت منهم برمجة مخه بحيث يهرول فى اشتياق ولهفة فاتحا ذراعيه كلما رأى أمها قادمة ..

○ ○ ○

الحب البيتى
.. والسينمائى
.. والخنفشارى





نحن مصابون بالحول فى النظرة الاجتماعية الى الحب ، نحن نستنكر الحب فى واقع حياتنا ، لكننا نرحب به فى الكتب والاذاعة والتليفزيون والسينما . الاذاعة ملأى بعشاق يصرخون بآهات الحب ليلا ونهارا ، التليفزيون فيه حكايات غرامية ومسلسلات ، وفى السينما راجل وامرأة فى حالة حب يحفل دائما بالأهوال وبعد الأهوال ، يأتى الزواج ، وفى واقع الحياة بعيدا عن السينما لا يأتى الزواج بعد الأهوال وانما تأتى الأهوال بعد الزواج .

والكبار ـ فى واقع الحياة ـ اعتادوا ان يسموا الابن العاشق الولد المفعوص ، اما البنت فاسمها مقصوفة الرقبة ، والكبار لا يؤمنون بالحب لأن التجربة علمتهم ان الحب هو مجرد احساس كاذب يتوهم فيه كل طرف انه التقى بانسان يختلف تماما عن بقية البشر ، من هنا يعتقد الكبير أن الصغير أساء الاختيار فيسعى إلى إنقاذه من هذا الوهم بالاكراه .

بينما فى السينما نرى شرير الفيلم يحارب الحب فيتعاطف الكبار مع الحبيبين . ولعلنا نتميز بأن الحب عندنا يقترن باللوم الدائم الذى يوجه الى العشاق ابتداء من أمير الشعراء الذى يقول : يالائمى فى هواه والهوى قدر .. الى ذلك العاشق الذى يخرج لسانه قائلا : ياعواذل فلفلوا .

ففى واقع الحياة ـ تماما كما فى الأغانى ـ فريق يتولى لوم الفتى بترديد التهم التقليدية المنسوبة الى فتاته ، كما ان هناك فريقا يتولى لوم الفتاة لأنها تحب انتهازيا أو سافلا ، او جاهلا لم يكمل تعليمه الالزامى ويؤلف مسلسلات .



ولذلك يؤثر العشاق الأختفاء عن الناس والسنة الناس واللقاء بعيدا عن العيون ، حتى اذا شعر كل منهما بالوحدة وهما معا وراودهما الحنين الى الاختلاط بالناس فإن معنى ذلك انهما قد أصبحا زوجين .

هناك خصومة مستمرة من قديم الزمان بين الناس جميعا وبين الانسان العاشق . فحتى الذين مارسوا الحب عفيفا طاهرا لم يسلموا من مسك سيرتهم الى يومنا هذا : فقيس ابن الملوح مجنون ، وقيس لبنى مضطرب العقل ، وكثير عزة ملتاث ، وجميل بثينه مختل .

وفى العصر الحديث وقف الناس والدولة ضد حب الملك ادوارد ومسز سمبسون ، وفى العصر القديم وقفت روما بحد السلاح ضد حب كليوباترا ومارك انطونيو .

وفى المقابل يقف العشاق فى موقف النفور الشديد من الناس ، فقصائد الشعراء وأغانى العشاق تندد بالناس : اللائم منهم والعاذل والشامت فيقول شوقى : ما بال العاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده .

وتعبر الأغانى عن دسائس الناس تجاه الحبيب والمحبوب فيقول عبد الوهاب : أحبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه ، ويقول عبد الحليم : قالولى الناس هواك حيرة ، وتعبر ام كلثوم عن رأى العشاق جميعا فى ان البعد عن الناس غنيمة : بعيد انا وانت .. بعيد بعيد وحدينا .

وقبل أم كلثوم قال قيس :

تعالى نعش يا ليلى فى ظل قفرة

من البيد لم تنقل بها قدمان

ولست اعرف ـ على وجه التحديد ـ سر هذه الخصومة بين الناس والعاشق ربما لأن الناس يحسدون المحبين فيقول عبد الوهاب :



حسدونى وباين فى عنيهم ، ويقول عبد الوهاب ايضا ـ وقد تقمص شخصية قاسم السماوى : يصعب عليه اشوف غيرى عاش متهنى . لكن يجوز ايضا ان يكون سبب هذه الخصومة ان العاشق تحدث له تغييرات فسيولوجية تؤثر على منطقية تفكيره فيختلف فى سلوكه عن الناس .

ان اللوعة مثلا تسبب افرازات غدد معينة ، والغيرة لها افرازات اخرى ، ولقاء الحبيب يسبب هبوطا شديدا فى المصران الغليظ . وكل هذه التغيرات والافرازات تؤثر على كيميائيات المخ وقد تنتقص من كفاءة أداء المخ فيبدو الانسان شاذ التصرفات يفتقر الى الانسجام مع المجتمع الذى حوله ، ولهذا فلا عجب ان الانسان العاشق يسعى دائما الى الزواج لأن الزواج لا يحتاج الى اى مخ .

○ ○ ○

وعن أغانينا فهى تعطى صورة مشوهة للحب وتصوره عذابا ونواحا ومندبة ، والدنيا تغيرت ، لكن اغانينا لا تزال تنتمى الى منابعها الأولى فى عصر الحرملك ، وفى عصر الحرملك كان عثور الشاب على فتاة يحبها مشكلة كبرى ، اما فقدان هذه الحبيبة فمصاب جلل يقتضى اقامة سرادق عزاء .

ولا تزال اغانينا التى تحمل طابع عصر الحرملك توحى للعشاق بالرعب من فقدان المحبوبة ، مع ان المرأة ـ فى نهاية القرن العشرين ـ لم تعد عملة صعبة ، بل اصبحت ـ مثل الرجل ـ كالجنيه المحلى ، ولا يزال هناك من يغنى ـ فى آخر القرن العشرين : ياخوفى لا تكون قرفان من حبى ولاقيك طفشان .

واغانينا لا تعبر عن حقيقة الحب ، فالحب فيها غير صحى ، أو هو حب من طرف واحد .. يؤله المرأة ويستعطفها ويسترحمها ويتسول رضاها ، وهى معان أوحت الى العشاق ـ جيلا بعد جيل ـ



ان الحب مذلة مشروعة ومستحبة ، وأن الحب له طقوس تبدأ بالمشى فى طريق الشوك ثم الوصول الى حائط المبكى ، ثم حائط الللطمة ، ثم الانهيار فوق الأرض مولولا : انا هويت وانتهيت .

وليس معنى ذلك ان يهين الرجل حبيبته او يحط من قدرها ، فالحب احترام متبادل ، والرجولة فروسية من ابرز سماتها احترام المرأة .

والحب فى حقيقته ـ بعيدا عن اغانينا ـ بهجة ومرح وتفاؤل ورؤية للحياة جميلة ومثيرة ومدهشة ، لكنه لا يخلو من لحظات شجن أو ساعة فراق حزينة ليس رد الفعل لها الوقوف على حائط المبكى ، وإنما كما تقول كلمات اغنية فرنسية : يجب ان نعرف كيف نبتسم عندما يذهب الأفضل ويبقى الأسوأ . يجب ان نعرف متى نترك المائدة عندما يزول الحب . يجب ان نعرف كيف نبتعد دون ان ننظر الى الوراء ، يجب ان نعرف كيف نحبس صرخات الألم التى هى آخر كلمات الحب .

لكننا لا نعرف كيف نحيل الحب الى بهجة . فنحن بارعون فى ان نضفى الأحزان على كل شىء : العيد بهجة ومع ذلك نقضيه فى زيارة المقابر ، والتليفزيون ترفيه جميل ومع ذلك يقدم الينا البكائيات . واغانينا كأفلامنا من عصر الحرملك الى عصر الليزر كلها صويت ونهايات باكية لحب مريض وأفلامنا تنتهى دائما بالزواج ، وهى نهاية يزعمون انها سعيدة .

○ ○ ○

وأغانينا ايضا تحفل بتفكير خنفشارى لا يمت للطبيعة الانسانية بصلة ولا يوجد الا فى روايات العصور الوسطى وحواديت امنا الغولة والأفلام المصرية . فنحن نسمع فى تلك الأغانى من يقول : انا يسعدنى تبعد عنى وتجرب غيرى فى هواك ، وأغرب من ذلك ان



نسمع من يقول : ولما اشوف حد يحبك يحلالى اجيب سيرتك وياه ، واعرف جراله ايه فى حبك وأد ايه صانه ورعاه .

والحب الحقيقى لا يعرف هذا التفكير الخنفشارى . الحب لا يعترف بأى شريك فى الحبيب لأن الغيرة تولد مع الحب ، والغيرة هى صوت الاستئثار بالحبيب والانفراد بتبادل الحب معه .

ان الرجل مثلا تشترك فى حبه زوجته وأمه وأخته ، والزوجة ترفض هذه المشاركة .

والأم والأخت فى الجانب الآخر لهما نفس الموقف .

وفى ذلك تقول الأمثال الشعبية على لسان الزوجة : الحما حُمىً واخت الجوز عقربة سامة . وعن مشاركة زوجة اخرى للزوجة فى زوجها قالت الأمثال : الضرة ما تحب لضرتها الا المصيبة وقطع جرتها .

والغيرة عند الرجل الشرقى دماء حارة تفور وأعيرة نارية تنطلق ، بينما الغيرة عند الرجل الغربى امتعاض ، فالرجل الشرقى اذا رأى انثاه فى حضن رجل غريب جالسين على كنبة فهو يفتك بالاثنين اما الرجل الغربى فيكتفى بالتخلص من الكنبة .

وعندما أراد شكسبير ان يصور تأثير الغيرة فى الرجل .. أختار رجلا شرقيا حار الدماء هو القائد المغربى عطيل ، فى حين نرى أمير الشعراء فى مسرحية مجنون ليلى يقع فى غلطة درامية غير مستساغة فيحول رجلا عربيا ساخن الدماء الى اوربى شمالى من ذوى الدم البارد وهو « ورد » زوج ليلى الذى يسأله قيس :

بربك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح او قبلت فاها

فلا تثور دماء الأخ ورد بل يتحول الى مستر ورد ويرد ببرود : أجل قبلتها من الرأس الى القدم ، ويرد قيس بوقاحة يصف قبلة ورد لليلى : قبلة الذئب اذا الذئب على الشاة جثم . وينتهى هذا الموقف

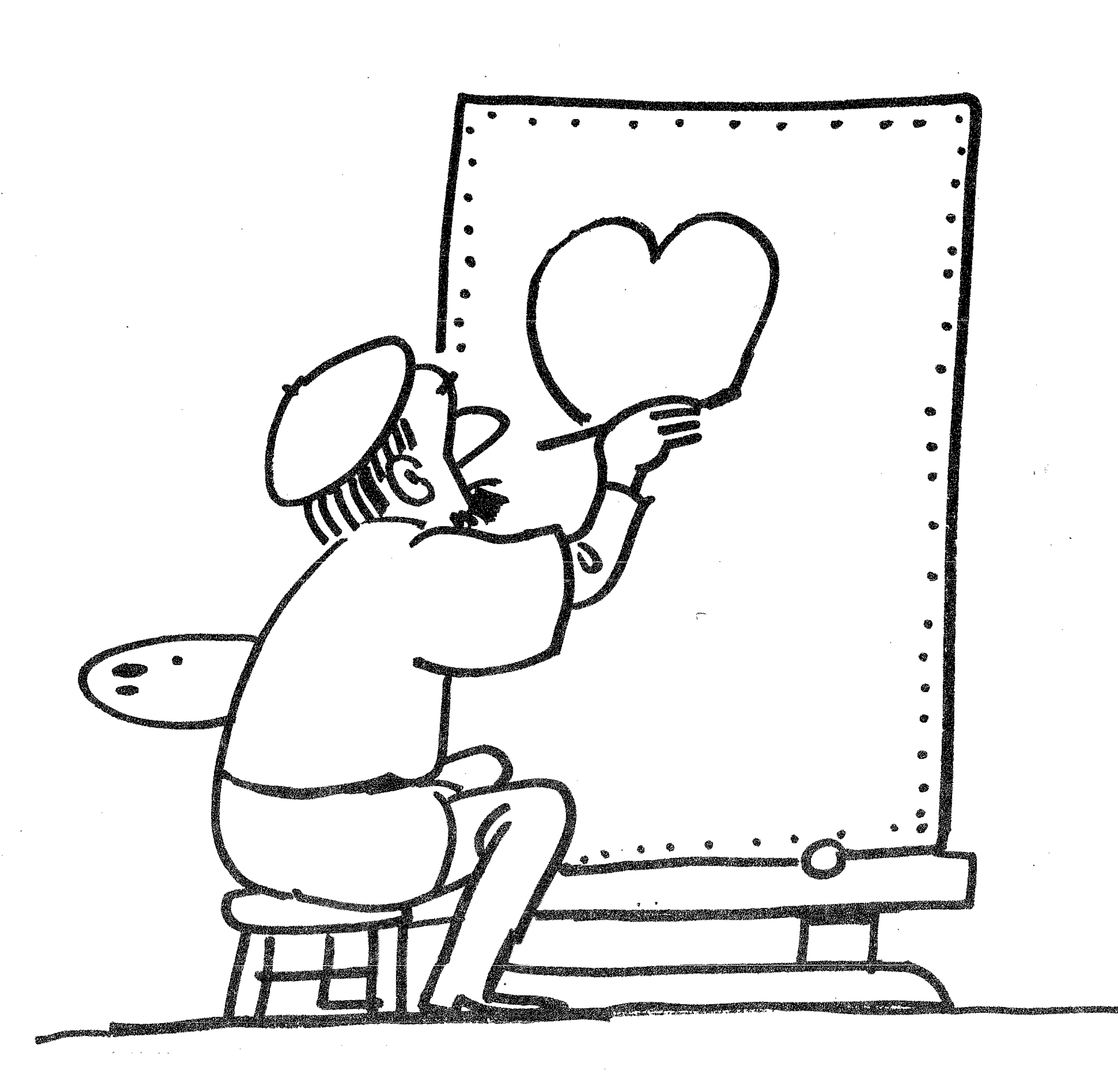
اللا معقول الى خاتمة اشد لا معقولية فينادى ورد زوجته ليلى لتقابل حبيبها قيس ، ويستأذن الزوج منصرفا وهو يقول :

قيس أرى الموقف لا يجمعنا
أنت حبيب القلب والزوج أنا

ثم ينصرف تاركا قيس يحب ليلى على راحته . وواضح ان الذين اختاروا لورد اسمه ـ وهو اسم نبات ـ كان جديرا بهم أن يختاروا له اسم نبات آخر هو قلقاس .

ο ο ο

الحب فن وصنعة





يقولون إن قصص الحب الخالدة كلها قديمة وليس بينها قصة حديثة واحدة ، وهذا دليل على أن الأجيال الحديثة افتقدت القدرة على العطاء العاطفى ، فلم تتكرر قصة قيس وليلى فى الشرق أو روميو وجولييت فى الغرب !

لكنى أعتقد ان كل زمان فيه قصص حب جميلة يمكن أن ترشح للخلود لكنها لم تصل إلينا لسبب أو لآخر ، أو ان القصة نفسها وصلت الى حيث يموت الحب وتنتحر الأشواق فى بيت الزوجية !

وقصص الحب القديمة وصلت إلينا إما لأن كبار الكتاب والشعراء تناولوها مثل روميو وجولييت وكليوباترا ومارك أنطونيو ، وإما لأن العشاق فى تلك القصص قاموا بفضح وتجريس المحبوبة مثلما فضح كثير عزة وفضح جميل بثينة ، وفضح قيس ليلى ، فلولا سفالة هؤلاء العشاق لما وصلت إلينا أشعارهم تروى قصص الغرام .

لكن يبقى من ناحية أخرى أن بعض هؤلاء المحبوبات ارتحن الى هذه الفضائح ، فالشعر الذى قيل كان يمجد فيهن الجمال والدلال ومعاناة العاشق ، حتى اننا نرى ليلى العامرية وكأنما تحاول أن تستزيد المجنون كلاما حلوا فيها فتزعم انه لا يحبها ، ونرى المجنون يرد على ذلك قائلا :

وتزعم ليلى اننى لا أحبها ..

بلى والليالى العشر والشفع والوتر .

لقد كان المجنون أول محطة إذاعة متنقلة تذيع يوميا أخبار ليلى



العامرية ، وإذا كانت هناك قصص حب خالدة فى زماننا ، فلن يتسنى لنا معرفة أى قصة من هذه القصص إلا إذا ظهر العاشق على شاشة التليفزيون ليحكى لنا أخبار غرامه مع ليلى العصرية ، ولا أظن أن المشاهدين سوف يكون لديهم أى استعداد لهذا النوع الجديد من المسلسلات ، وحتى لو فرضنا ان العاشق العصرى سيهيم على وجهه فى الشوارع ليحكى أخبار غرامياته ـ دون الاستعانة بالاذاعة أو التليفزيون ـ فلا أحسب ان رد الفعل عند الناس سوف يخرج عن هذه الاحتمالات :

- الاتصال بشرطة النجدة .
- أو الاتصال رأسا بمستشفى الأمراض العقلية .
- صفعة على الوجه والقفا حتى يكف عن فضح بنات الناس .
- أن تحيط به كوكبة من الأطفال تزفه فى الشارع بوصفه من المجاذيب .

وبذلك نرى استحالة ظهور عاشق يروى قصة حبه فى الشوارع أو على شاشة التليفزيون . والحب الكبير لا يمكن أن ينقرض أبدا من الأسرة الانسانية ، والظروف هى التى تخلق أى حب ، وهى أيضا التى تجهز عليه .

أمامنا مثلا قصة ادوارد الثامن ومسز سمبسون .

فى هذه القصة نرى شابا مهنته الأساسية الحب وهوايته أن يعمل ملكا لبريطانيا فى أوقات الفراغ ، فهو متفرغ تماما لحب مسز سمبسون ، منتهى أمل كل امرأة أن يتفرغ حبيبها لحبها ، فالمرأة ـ بطبيعتها ـ متفرغة للحب كل الوقت ، فالعاطفة هى العمود الفقرى لحياتها .

كل عشاق التاريخ فى قصص الحب الخالدة كانوا متفرغين للهوى دون أن يشغلهم عنه كسب رزق . بعضهم أغنته حياة البداوة البسيطة عن طلب المال مثل قيس ، وبعضهم ولد بملعقة ذهبية فى

فمه مثل مارك أنطونيو ، ولو كان الملك ادوارد الثامن قد ولد فى أسرة بسيطة ، فربما تغير مسار القصة ، فإن كسب العيش كان من الممكن أن يعوقه عن التفرغ للحب ، وربما اضطر الى السفر ـ بعد الدوخة على عقد عمل فى الخارج ـ حتى يدبر خلو الرجل أو ثمن الشقة . فالحب الناجح هو مجموعة ظروف حسنة أهمها التفرغ ، لهذا نجد فى أفلام زمان بطلا يحب طول الفيلم ولا نعرف له مهنة ، بينما الأفلام الحديثة تحدد المهنة لكنها تجعل منها مسألة هامشية . الحب هو المهنة الأصلية للبطل .

لقد ظهرت قصص الحب الخالدة عندما كانت الحياة سهلة والرجالة فاضيين ورايقين ونازلين حب ، هنا بالقصائد فى البادية ، وهناك بالجيتار تحت النوافذ .

○ ○ ○

وفى رأيى ان قصص الحب الخالدة هى قصص عادية جدا تحدث كل يوم ولكن الفن مسها بسحره ، ففى روميو وجولييت يجرى الكلام فى المسرحية على ألسنة العاشقين بأفكار شكسبير وكلمات شكسبير ، ولو تحرينا واقع الأمر فسوف نجد ان روميو فى حقيقته كان عاجزا عن أن يقول عبارة لامعة واحدة من تلك التى قيلت على لسانه ، فروميو وجولييت فى النهاية أسطورة رومانسية صنعها الشعراء والكتاب وسيمفونيات بيتهوفن وبرليوز وتشايكوفسكى .

لقد تلاقوا جمعا ـ بلا اتفاق ـ على صياغة أكذوبة فنية خالدة ترددها الأجيال فى انبهار وفى حسرة أيضا لأنها لن تتكرر ، وهى لن تتكرر لا لأن العصر لا يسمح بتكرارها ، ولكن لأن وجود روميو وجولييت جديدين يحتاج الى جيش جديد من الشعراء والكتاب والفنانين ليخدعونا هذه الخدعة الجميلة كما خدعنا محمد عبدالوهاب بصوت قيس ، وخدعتنا أسمهان بصوت ليلى ، وخدعنا



أحمد علام أجمل فتيان عصره بتمثيل دور قيس ، مع أن قيس الحقيقى المشرد فى الصحراء - كمجاذيب قهوة الحسين - كان لا يمكن لإنسان أن يقف أمامه دون أن يسد أنفه .

○ ○ ○

وعن كليوباترا نظم الشعراء وكتب الرومانسيون وألف الموسيقيون . وجسدتها اليزابيث تايلور على الشاشة ملكة للفتنة والأنوثة ، بينما المؤرخ بلوتارك يقول : انها لم تكن على جمال غير عادى لكنها كانت محدثة ساحرة تتقن تلوين صوتها الأنثوى .

وبينما يبرزها الفن كعاشقة رومانسية تفانت فى الحب الى درجة الموت ، نراها فى حقيقتها امرأة مغرضة تسعى الى تحقيق مصالحها فتزوجت من يوليوس قيصر الذى يكبرها بثلاثين عاما ليعيدها الى عرشها ، ثم مارك أنطونيو لاستعادة أملاك مصر الفرعونية ، ولم تنتحر حبا فى أنطونيو ، بل تجنبا للإذلال ، والكتاب الرومانسيون الذين صوروا الجلسات العاطفية بين كليوباترا وأنطونيو تجاهلوا ما كتبه المؤرخون الأوائل من ان هذه الجلسات كانت تزخر بالبذاءات والنكت الأبيحة .

فالفن له مس السحر . والفنانون الذين مثلوا قصص الحب على الشاشة وشغلوا نساء الدنيا مثل : تايرون باور ومونتجومرى كليفت وايرول فلين وروك هدسن كانوا فى حقيقتهم مصابين بالشذوذ الجنسى ، غير أن الفن أضفى عليهم بريقا آخر بهر الدنيا ، ورودلف فالنتينو كان حلم كل فتاة فى العشرينات ، وكانت وفاته مأتما نسائيا عالميا ، ثم أنتجت هوليوود فيلما عن قصة حياته يكشف عن كيف يصنع الفن الأساطير ، فقد كانت بداية هذا الفيلم مشهدا لرودلف فالنتينو وهو يتسلل ليلا الى أحد المنازل ليمارس مهنته الأولى المفضلة : حرامى !

○ ○ ○



وهذا يجرنا الى الحديث عن الحب السينمائى .

فى السينما الحب دائما مصقول ولامع وجذاب لأنه سلعة معدة للزبون الذى هو المتفرج ، فالحوار والمواقف العاطفية يستغرق اعدادها زمنا ، والاخراج يستلزم زمنا آخر ، بينما الحب على الطبيعة - بعيدا عن السينما - خام وجميل وبعيد عن الصنعة .

وفى السينما نرى البطل والبطلة ملاكين لا ينتميان الى البشر ، فيغفر كل طرف أخطاء الطرف الآخر ، بينما فى واقع الحياة نرى كل طرف يغفر أكبر الأخطاء إذا كان الخطأ خطأه هو ، وفى السينما مثلا نرى الزوجة السينمائية شديدة التقدير لزوجها ، بينما الزوجة - فى واقع الحياة - يزداد تقديرها لزوجها كلما اختفى عن وجهها .

وفى تسعين فى المائة من الأفلام السينمائية نرى البطل يقول للبطلة مع أول أزمة عاطفية : أنا كنت مخدوع وفاكرك بتحبينى .. ثم يتصافيان ، أما فى واقع الحياة فإن الرجل لا يقول أبدا أنا كنت مخدوع إلا بعد الزواج . ولعل من أكبر المضحكات التى تدل على سذاجة الفكر السينمائى هو ذلك الاعتقاد السينمائى الراسخ الذى يعتبر الزواج نهاية سعيدة !!

وفى الحب السينمائى ، كما فى قصص الحب الخالدة : هناك كاتب محترف يكتب عبارات الحب البراقة وكل عبارة تكلفه انحناءه على المكتب ثم كتابة ، وشطب ، وتمزيق ورق ، وكذا فنجان قهوة وكذا سيجارة .

وإذا كان الحب ينمقه التمثيل السينمائى أو المسرحى ، فالتمثيل يدين للحب باختراعه .. فما من عاشق يجلس الى المحبوبة إلا ويحكى ما يكابده من لوعة الحب ، وهو لابد أن يدعم هذه الحكايات بحركات اليدين والذراعين وتعبيرات الوجه ونظرة العينين



حتى يضفى الصدق على كلماته ، ولا شك إذن فى أن الذى اخترع التمثيل عاشق ، فهو أول من ابتكر الأداء الرومانسى وأغمض العينين وسبل الجفنين وأخذ يد المحبوبة ليلصقها بخده متنهدا بحرقة ، وهو أول من ركع على ركبة واحدة وانحنى للمحبوبة ودموعه تسح ، وهو أول من ابتدع تلوين الصوت بالهمسة الحالمة والنبرة المتألمة .

ان الحب هو أول معهد تمثيل فى الدنيا ، والعاشق هو أول من قدم الحب صوتا وصورة أمام الحبيبة قبل اختراع المسرح والسينما والتليفزيون ، وهو أول من قدم للمحبوبة برامج المنوعات بالعزف على الجيتار تحت شباكها .

ولو كان روميو قد تزوج من جولييت لاختلفت القصة تماما . فمن بؤس النساء مع الرجال ان التعبير عن الهوى بالصوت والصورة يتقلص فى أعقاب ليلة الزفاف ، فلا نرى روميو يفرد الذراعين ويشير الى قلبه قائلا : أحبك ، إذ ان كلمة أحبك نفسها تبدأ حروفها فى التآكل بين شفتيه ، أما اشارات اليدين وتعبيرات الوجه فتدخل فى مراحل تطور متخلفة ، إذ تتحول شفتاه من تشكيل علامة القبلة الى تكوين علامة امتعاض حيث يمط شفتيه بمناسبة ومن غير مناسبة ، وتتحول حركات اليدين الرومانسية الى خبط على المنضدة ثم يترك المكان غاضبا الى غرفة داخلية يظل يصيح فيها مهددا ، ثم يتضح أنه يكلم نفسه لأن جولييت غادرت المكان الى بيت أمها .

○ ○ ○

الوقــوع !





الرجل يكون أكثر اقترابا من المرأة عندما يحدق به خطر ما ، فى زمن الحرب مثلا يزدهر الحب ، فأجمل قصص الحب الرومانسية التى قدمتها السينما العالمية تدور بين رجل يتهدده خطر الموت فى الميدان وامرأة تشاركه الموقع أو يسعى للقائها فى اجازات خاطفة ، ومن هذه الأفلام مثلا (شارع هانوفر) لهارسون فورد و(الحب شىء متعدد الجمال) لجنيفر جونس ، وبالرغم من ان الزواج هو أكبر خطر يتعرض له الرجل إلا انه يندفع الى الزواج عندما يتهدده الخطر !

فالرجل مهما كبر ونضج يظل بداخله ذلك الطفل الذى يتشبث بحضن الأم فى ساعات الخوف ، والمرأة التى يصادفها وهو يفتقد الأمان هى هذه الأم التى يجنح الى الاحتماء بحضنها ، وتذكر الاحصائيات ان المضيفات الجويات يفزن أحيانا بأزواج من أصحاب الملايين عندما تتعرض الطائرة للخطر أو عندما يكون المليونير ممن يعانون من رهبة ركوب الطائرة ، فالمضيفة احترفت - ضمن مهنتها - بعث الثقة والطمأنينة ، وهى بابتسامتها وهدوئها تضفى على الخائف أمنا نفسيا يجذبه نحوها .

والذين يعانون أوهام المرض وهم أصحاء ويترددون على المستشفيات للفحوص والتحاليل ينتهى الأمر ببعضهم الى الوقوع فى حب الممرضة . وهناك عاملة أسانسير نيويوركية كانت تزيل مخاوف مدير الشركة صباحا ومساء ، فما أن يغلق باب الأسانسير ليصعد به الى الدور العشرين حتى يستبد به جنون - أو رهاب - الأماكن



المغلقة ، وانتهى الأمر بالمدير الى الوقوع فى حبها ، وهكذا كل رجل فى وقت الخطر يتطلع الى الهروب بين أحضان الأم البديلة ثم لا يلبث أن يتبين انه وقع بين أنيابها .

ان الحب الناضج لابد أن يعززه القبول العقلى ، والحد الأدنى المطلوب لنمو هذه العاطفة هو ألا تصطدم بالرفض من جانب العقل ، ربما تكون فى شخصية الانسان الذى تحبه جوانب سلبية ، لكننا هنا نقبلها من منطلق لا يوجد انسان كامل ، وليس من منطلق ان الحب أعمى بلا عقل ، أما إذا استمرت العاطفة مفتقرة الى اقرار العقل لها فلا يمكن الارتفاع بها الى مستوى الحب الناضج ، لكن يمكن اعتبارها نزوة أو رغبة جامحة تتسم بالطيش ، وكل انسان يحب بشروط حبيبه لا بشروطه هو ، ومن هنا تأتى التنازلات وتبادل التضحيات بين اثنين لا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر .

ان الحب عاطفة لا ارادية تجتاح حياة الانسان على غير استئذان وأحيانا على غير رغبة من العقل ، وهزيمة العقل والمنطق أمام الحب لها وقائع تملأ مجلدات ، وأعظم قصص الحب هى التى يضرب لها الناس كفا بكف وهم يفكرون فيها بالعقل لا بعواطف المحبين .

انهم مثلا يذهلون لأن ملك بريطانيا ترك العرش الذى يحكم العالم من أجل امرأة أحبها ، مجنون هو فى نظرهم ، مخبول ، تماما مثل مارك أنطونيو امبراطور العالم القديم الذى ركل الامبراطورية ليبقى بجوار المرأة التى أحبها ، مجنون رسمى بكل المقاييس ، وأكبر قصة حب فى التراث العربى اسمها ليلى والمجنون ، وحماقات العشاق الجنونية تتحول عندهم مع الزمان الى ذكريات غالية ، وليس أدل على جنون الحب من انه يدفع الانسان إلى التساؤل بعد



أن يفيق : كيف ولماذا تزوجت ؟؟

○ ○ ○

ولا يوجد فى العلاقة بين الرجل والمرأة ما يسمى بالحب الأفلاطونى ، وهناك وهم شائع بأن الحب الأفلاطونى حب تصوره أفلاطون فى جمهوريته متساميا الى التأمل الصوفى فى الخير والحق والجمال ، وقد شاع معنى الحب الأفلاطونى باعتباره لونا منزها عن اللمسة والقبلة والجنس .

والحقيقة ان الحب الأفلاطونى هو أقبح ألوان الحب ، فقد قسم أفلاطون سكان الجمهورية التى تصورها الى ثلاث فئات : الفلاسفة والجيش والعبيد ، وقد رأى أفلاطون أن يحرم الزواج على الفلاسفة - وهم الذين يتولون الحكم - حتى لا يكون لهم زوجات ولا أبناء فلا يرتشون ولا يستغلون الحكم فى السعى الى ثراء غير مشروع ، ورأى أفلاطون أن يخصص لهم - بدلا من الزوجات - مجموعة من النساء يختلطن بهؤلاء الفلاسفة بلا أى رباط رسمى ، والأطفال الذين يكونون ثمرة هذه العلاقات تتبناهم الدولة لأنهم مجهولو الآباء ، كما أباح أفلاطون الشذوذ الجنسى بين هؤلاء الصغار والكبار !

هذا هو الحب الأفلاطونى !!.

○ ○ ○

كذلك الحب العذرى الذى لا يستمد اسمه من الحب العفيف كما يوحى اسمه بذلك ، بل هو منسوب الى قبيلة بنى عذرة التى ينتمى اليها العشاق الرومانسيون الأمويون مثل جميل بثينة ، ومثل هؤلاء العشاق ابتداء من قيس وليلى ومرورا بكثير عزة لم يكن حبهم منزها عن الحس فقد وصفوا مفاتن الحبيبات ، ومنهم من أهدر الوالى دمه ويقول قيس مثلا :



منى النفس ليلى قربى فاك من فمى
كما لف منقاريهما غريدان
نذق قبلة لا يعرف البؤس بعدها
ولا السقم روحانا ولا الجسدان

فلا يوجد حب غير حسى مادامت مفاتن الأنثى هى الفخ الأبدى المنصوب للرجل لاجتذابه وتكوين العش والأسرة ، لقد أسندت الى الرجل مهمة الجرى خلف المرأة مأخوذا بالمفاتن حتى إذا أوقعته فى حبائلها وأدخلته العش استأنف الجرى خلف الأخريات ، وهكذا كتب على الرجل أن يجرى دائما : مرة خلف زوجته مطاردا لها ، ومرة أمامها هاربا منها .

○ ○ ○

الحب يحدث تغييرا مؤقتا فى سلوك الانسان ، فكل من الطرفين يقدم أفضل ما عنده للتمثيل على الآخر .. العصبى يصبح حليما ، والبخيل كريما ، وقليل الأدب لسانه سكرة؛ ولهذا تعتبر فترة الخطبة فرصة طيبة لإخفاء البلاوى التى سيعانى منها الآخر .

ومن متغيرات السلوك مع الحب أن أشد الرجال وقارا واتزانا يصاب بالخفة والطيش عندما يستبد به الهوى ولا يتاح إلا للمرأة المعشوقة فقط رؤية الرجل العظيم الرزين وهو يتحول أمامها الى شىء يفطس من الضحك ، ولأن المرأة تفتقد روح السخرية فهى لا تضحك على حماقات الرجل أمامها بل تعتبرها جزءا متمما لطقوس الحب التى ترضى كبرياء أنوثتها ، وفى كل الأحوال يعتبر الجنون هو القاسم المشترك بين جميع العشاق ، فالحب يدفع الانسان الى أن يأتى أفعالا يمكن أن تستدعى انتباه أطباء الأمراض العقلية .

خذ مثلا هذا العاشق الذى يتحدث بلسانه عبدالوهاب فى أغنيته



الخالدة : لما انت ناوى تغيب على طول . إذ يقول :

أشوف خيالك فى الوحدة جه قدامى ، أكلمك واسمع حسك واشكى غرامى ، وأقوم اضمك مالقاش غير أوهامى .

مثل هذه المعاناة فى العشق لن يرضى عنها طبيب الأمراض العقلية ، فلو رأى الطبيب هذا العاشق يكلم نفسه ويقوم ويقعد ويحضن الهوا لكتب على تذكرته يحول الى عنبر خمسة جنون هلاوس .

بل ان العاشق الذى يتخذونه مثلا للحب المتفانى اسمه المجنون أو مجنون ليلى ، وقصائد الشعراء تتحدث عن مصرع العقل أمام الجمال ، والشاعر القديم يمزج الجنون بالحب فيقول :

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا .

وأخرى بنا مجنونة لا نريدها .

فالجنون يدخل فى نسيج الحب لأن الحب إذا لم يقترن بالجنون فقد أهم أركانه ، وهذا الجنون هو الذى يدفع العاشق الى نهايات مأساوية كالانتحار والزواج .

○ ○ ○

رب امرأة تصدك خير من امرأة تحبك .

هناك امرأة تتظاهر بحبك لسبب أو لآخر .. فلوس أو زواج . وهناك امرأة تحبك فعلا ، والتى تتظاهر بحبك تحرص على التظاهر بالغيرة الشديدة عليك بقدر حرصها على الزواج منك ، أو حرصها على أن تكتب لها كلمات الحب على دفتر شيكات .

المرأة التى تحبك بصدق واحدة من اثنتين : امرأة أنت أول بختها فتكون أمك داعية لك ، وامرأة تعانى مرارة تجربة قاسية فى الماضى فتكون أمك داعية عليك ، لأن مثل هذه المرأة تعتقد غالبا ان الرجال مصنوعون من مادة واحدة غير قابلة للغسيل ، فإذا بدا لها



ان كل شىء نظيف فيك راحت تتقصى الحقائق عنك بحثا عن بقعة سوداء ، فإذا لم تجدها تجدد أملها فى أن تعثر على ملف لك فى مكتب مكافحة النصب على عواطف النساء .

بقدر مرارة تجربة الماضى عند هذه المرأة سوف يكون عذابك ، فأنت مشتبك فى حب مع امرأة مريضة تبحث عن اليقين الذى يقنعها انك غشاش وخائن ، فهى امرأة أصدرت حكمها عليك لكنها لا تجد الأدلة .

والمرأة التى تحبها يتغير اسمها مع مراحل الحب ، فهى فى البداية اسمها عاشقة ، وإذا اشتدت غيرتها فاسمها سجانة ، وقد يصبح اسمها متهمة بينما أنت داخل الكيس .

والانسان يصاب بعمى الألوان فلا يميز بين الأحمر والأخضر ، ويداهمه الحب فيصاب بعمى الأشخاص فلا يميز اطلاقا ، إذ يرى الغانية ملاكا ، وأم سحلول مارلين مونرو ، بينما ترى هى النذل فارسا باهرا قادما من زمن النبلاء .

وفى الزواج ينتقلان الى مرحلة جديدة فيبدأ كل منهما يلعن الآخر فى بيت الزوجية ، فالحب يؤثر على القوى العقلية وعلى أعصاب البصر والبصيرة وعلى ملكات الادراك و التمييز بدليل انه يدفع الانسان الى الانتحار أحيانا والى الزواج أيضا . وكم من عاشق أفاق ليكتشف انه ارتبط بالشخص الخطأ ، لكن لا ينبغى فى كل الأحوال أن نحمل الطرف الآخر مسئولية اغتيال الحب .. هى أيضا ممكن أن تكون قد اكتشفت انها ارتبطت بالشخص الخطأ .

ان الحب - شئنا أم أبينا - عبارة عن اثنين يتلاقيان ويوقعان ضمنيا عقد خداع يتعهد فيه كل طرف أن يخدع الآخر بالوهم الجميل ، والطرف الذى يكتشف الخداع أولا .. من حقه أن يفسخ العقد أو يقبل الهوان .

عندما يتساءل رجل هل يتزوج الجميلة رغم غباوتها ؟! فهذا دليل



على انه لا يحبها ، فلا توجد امرأة جميلة ، وغير جميلة وامرأة ذكية وأخرى غبية ، بل هناك امرأة تحبها فتصبح هى الأجمل والأذكى والأكمل والأرق والأشد سحرا .

وكلما كانت لدى الطرفين القدرة على رؤية الحقائق السخيفة فى الطرف الآخر ، فالعلاقة بعيدة عن جنون العاطفة لأن الحب صلة باهرة بين اثنين يخفى ابهارها كل نقائص الآخر ، وبسبب هذا الابهار ظهرت طبقة العواذل الذين يرون حقيقة الاثنين ، وهم يمصمصون الشفاه وأحدهم يقول للآخر : هل علمت ماذا جرى أمس لمحمود ؟ فيهز الآخر رأسه فى أسى : نعم حضرت فرحه .

فمن أكبر عيوب الغرام انه يجعلنا نرى ولا نلاحظ ، وفرق كبير أن ترى ، وأن ترى وتلاحظ ، الأمر الذى تترتب عليه نتائج تقليدية عندما تدركنا الملاحظة بعد فوات الأوان ، فتشكو الزوجة مثلا من بخله الشديد ، بينما هو يستغيث من اسرافها ، أو تشكو لأهلها انه يقول عنها حمارة وغبية ومغرورة ، فيقسم على المصحف انه لم يقل مغرورة ، ودائما نرى ونلاحظ ونعقل بعد فوات الأوان ولذلك تزدحم الدنيا من قطبها الشمالى الى قطبها الجنوبى بقاعات تلقى فيها المحاضرات المستمرة عن مساوىء الزواج وهى قاعات محاكم الأحوال الشخصية .

ويمكن ان تتأكد من وقوعك فى حبها فعلا إذا اكتملت الشروط الآتية :

١ ـ أن تتصرف ببلاهة دون أن تشعر انك أبله .

٢ ـ أن يثيرك وجود رأيين بشأنها ، الرأى الأول يقول انها لا تصلح لك ، والرأى الثانى يقول انها ملاك من السماء ، الرأى الأول رأى الناس والرأى الثانى رأيك أنت فقط .

٣ ـ أن تعترف لها بكل مصادر دخلك .. الأمر الذى سيورطك كثيرا فى محاولات اخفاء دخلك عندما تصبح زوجتك .



٤ ـ أن تتساءل فى حيرة كيف كان يمكنك أن تحيا بدونها ؟ وهى تعادل الحيرة التى تحدث بعد شهر العسل كيف يمكنك أن تحيا معها ؟

٥ ـ أن تحب من طباعها ما يناسب طباعك وأن تعتقدأن باقى طباعها غير المستحبة أشياء تافهة يمكنك أن تخلصها منها فى المستقبل أو فى المشمش .

٦ ـ أن تصدقها على طول الخط وتكذب أقرب الناس اليك .

٧ ـ أن تظهر عليك أعراض التصرفات الحمقاء مثل الرغبة فى الزواج .

○ ○ ○

لا قانون للحب !





عندما يداهمك الحب فأنت لن تفرق بين الدكتورة الجامعية وراسبة الإعدادية . وبين الجميلة وغير الجميلة ، فالحب يخفض قوة الإبصار الى ستة على ستين ، وقوة البصيرة الى واحد على عشرة ، وبذلك يصبح كل مايصدر عن الحبيبة من جنون هو جميل وأخاذ وباهر ومدهش ، وكل شىء فى ملامحها ورسمها فتنة تخبل العقل ، ولعلك تعرف حكاية الشاب الذى أحب فتاة أنفها مسطح تماما فكان يتباهى بأنها ملاك هبط من السماء على أنفه .

والأنوثة ثوب نسائى موحد ترتديه كافة نساء الأرض ، وهو ثوب يجتذب الرجل ويجعله منقادا خلف المرأة سواء كانت تلبس تاج ملكة أو مريلة شغالة (راجع مسلسلات الزواج من الشغالات) .

وقانون الانقياد خلف الأنثى لايتجزأ ، ابتداء من سمك البساريا فى البحر الى ذكر الفراش الذى يطير نحو الفراشة وهى على بعد كيلو مترا منه مسترشدا بعبيرها الانثوى ، الى ذكر العقرب الذى يسعى خلف انثاه دون ان يعرف هل طيبة هى أم شريرة ، عاقلة أم مجنونة ودون أن يتوقع طبعا ماحدث لكل عقرب فى ليلة الزفاف ، اذ ان عروس العقرب من أبعد الأناث نظرا ، فهى تفضل أن تكون أرملة تلدغه وتستريح من قرفه منذ الليلة الأولى .

والمرأة لاتنفذ الى قلب الرجل من خلال العقل او الثقافة وإلا لما أحب معظم عباقرة الفكر الانسانى نساء متواضعات التفكير ، ورغم ذلك كانت العبارة الساذجة التى تخرج من فم الحبيبة البسيطة تتحول فى وهم العاشق العبقرى الى كلمات يتأملها ويحللها ويضفى عليها من

فكره ويستشف منها وجه الحكمة والجمال !

كذلك نجد أن معظم النساء اللاتى ساهمن فى تشكيل التاريخ لاعلاقة لهن بالشهادات او الثقافة ، ابتداء من شجرة الدر ـ جارية نجم الدين ايوب ـ الى ايفا براون عشيقة هتلر التى كانت عاملة باستوديو تصوير ، الى ايفا بيرون فتاة الكومبارس التى حكمت الأرجنتين .

وفى كافة العصور ـ خصوصا العصر العثمانى ـ كان حريم السلطان من المحظيات والخليلات والجوارى يلعبن دورا هاما فى تسيير دفة السياسة وفى الانقلابات الصامتة التى تتم بدس السم لأن الأكياس البلاستيك لم تكن قد ظهرت بعد .

والحب كلام وأفعال ، وهو يتوهج بالكلام ويمتحن بالأفعال ، فإذا رسب الرجل فى الأفعال نجح بالتعويض اذا كان فهلوى الأقوال ، وكلمة الحب عند المرأة بالدنيا كلها ، فالرجل يجذب المرأة وراءه من أذنها بمعسول الكلام ، وينتهى الأمر عادة بأن تجذبه هى من رقبته مسلسلا الى المأذون .

والمرأة لاتشبع من كلام الحب ، وفيما يختص بالغزل .. فالمرأة ذات ذاكرة تيفال لايلتصق بها اى غزل .. يعنى هى فى حاجة الى تذكرها كل دقيقة بما قلته من أنك تحبها ، وأن عينيها هى أجمل مارأيت فى دنياك ، وأن وأن وأن ، ولابد ان تكرر هذا الهمس مرة خامسة وعاشرة وعشرين ومائة .

فالمرأة تعبد كلام الحب وتنساه أو تدعى نسيانه ، وليلى لم تحب المجنون بقدر ماأحبت كلامه ، والمرأة لايخلو صوتها من رنة سعادة وهى تستدعى الشرطة لأنك قلت لها ياقمر . والمرأة لاتحب اللغة الفصحى الا فى رسالة غرام بين يديها نقلها الحبيب طبعا نقل مسطرة من كتاب دليل المشتاق فى رسائل العشاق ، وكل حب ينسج خيوطه الأولى بالكلام : نظرة فابتسامة فسلام فكلام ، وهو يدعم خيوطه الأولى

بالمرحلة الكلامية الثانية التى تعرف بأنها وعود الحب !

ووعود الحب هى الحب نفسه ، فهى خيوط أساسية فى نسيجه ، ومن أوهامه الجميلة تنسج الأوهام . ووعود الحب بعضها رومانسى ومعظمها مادى . فالمرأة تحب الفلوس والجواهر والملابس والحياة الباهرة ، وقيل فى ذلك ان الغانية تفضل أربعة أنواع من الحيوانات : الخنزيرة فى الجراج ، والمنك حول أكتافها ، والثعبان الذهبى حول معصمها ، والحمار الذى يتكفل بكل هذه النفقات .

ومن سحر الحب أنه يجعل كل شىء قابلا للتصديق ؛ لأن الحب لايعرف المستحيل ، ونظرا لأن الرجل يبحث عن كافة السبل لجلب رضا أنثاه ، فهو فى سكرة الحب يبذل الوعود المادية ، واذا قال لها أصبرى ياحياتى وأنا أجيب لك مال قارون ، فهو يستطيع ان يحقق هذا الوعد مع الوقوف أمام رئيس نيابة المخدرات .

ووعود الحب نادرة التحقيق لأنها تكلف الرجل كثيرا وأحيانا تكلفه عمره كالزواج ، وعندما قال ملك بريطانيا لمسز سمبسون : سوف أتنازل عن العرش لأتزوجك ، كان تحقيق وعده ـ بالتأكيد ـ شيئا مثيرا لسعادتها ، وكان بالتأكيد أيضا شيئا مثيرا لغضبها عندما كان يردد فى البيت أنا تنازلت عن العرش من أجلك وذلك أثناء خناقات الزواج .

وعموما يجدر بالمرأة العاقلة أن تتلقى الوعد الجميل بكثير من التحفظ وباعتباره مجرد هذيان فى سكرة الغرام ، فاذا قال عاشق لحبيبته : ابنى لك قصر عالى وأخطف نجم الليالى . فمن السذاجة أن تسأله هى بعد ذلك ان كان قد تعاقد مع المهندس الذى سيبنى القصر العالى أو تستفسر منه على الخطوات التى اتخذها مع وكالات الفضاء ليخطف نجم الليالى .

وفى وعود الحب تنتشر هدايا العيون : خد عنيا واعطف عليا ، وخد عينى منى وكلمنى ، فاذا قال لها خدى عينى منى وقابلينى ، فلاشك أنها سوف تكون فى منتهى التخلف العقلى اذا تصورت أنه سينصرف

من الرانديفو بعين واحدة .

وغالبا لايوجد حب يظل على قوته ، فالحب مراحل ، او هو كأوتار الكمان ، كل مرحلة تعطى نغمة مختلفة ، وفى النغمة العالية يعتبر كل طرف أن الآخر ركن جوهرى فى حياته لاحياة بغيره ، ولابديل له ، وهو غير كل البشر ، وفقدانه هو نهاية العالم وخراب الدنيا ، والذين مروا بهذه المرحلة يدهشون بشدة كيف كانوا كذلك ، وتنتابهما هذه الدهشة عادة وهما يقفان أمام محكمة الأحوال الشخصية .

فالحب يحتاج الى اثنين ، والخلاف ايضا لابد له من اثنين ، واستمرار الحب على قوته يتطلب من الطرفين نموا متقاربا فى النضج العاطفى والعقلى والنفسى ، ان رجلا قد ينبهر بامرأة ـ أو العكس ـ ثم لايلبث أحدهما أن يكتشف أنه أساء التقدير .

ولعل أخطر اللحظات هى عندما يخلو احدهما الى نفسه ويبدأ فى البحث عن أسباب وجيهة تبرر حبه للآخر ، فالحب هو الوهم بأن انسانا معينا يختلف عن الآخرين فنمنحه مشاعر خاصة جدا ، واستمرار الحب ـ بنفس القوة ـ مشروط بألا يفيق أحد الطرفين من هذا الوهم قبل الآخر .

ان البداية دائما رائعة ومثيرة ، فكل طرف يدعو الآخر الى أن يدخل معه شريكا فى المشاعر والاحلام ، وكل طرف يقدم افضل ماعنده ، ثم ـ لأمر ما ـ يختفى الأفضل عند أحد الطرفين ولايبقى الا الأسوأ ، والأسباب لذلك كثيرة ، كأن تتبين هى مثلا أنها أحبته لشخصه ثم اتضح لها انه ليس مليونيرا .

والحب ينمو فى اتجاه الفراق والانفصال عندما يحب الرجل غانية او تحب امرأة رجلا لعوبا ، وفى الحالتين يتجه الحب منذ بدايته الى النهاية ، فلا كازانوفا اللعوب يكف عن الخيانة ، ولا الغانية تطيق الاخلاص .

ولاتوجد أبدا علاقة بين رجل وامرأة بلا خلافات او متاعب ،

والمتاعب تنقسم الى قسمين :

متاعب جميلة فى الحب ، ومتاعب فقط فى الزواج . فالمرأة مشكلة الرجل ، والرجل مشكلة المرأة ، وكل من الطرفين هو ايضا الحل لمشكلة الآخر ، والرجل اذا لم يجد من يحبها عاش فى مشكلة ، واذا وجد من يحبها عاش فى مشاكل ، واذا تزوجا أصبحت المشاكل بالدستة ، واذا انفصلا ، كانت المشاكل أشد تعقيدا ، ولايستريح كل طرف من الآخر إلا إذا حمل لقب المرحوم .

فالحياة رجل وامرأة ، أو هى شركة أبدية بين رجل وامرأة ، واحد شريك والثانى الشريك المخالف ، وطبيعة الانسان ان يختلف فى الرأى ليس مع غيره فقط ، بل مع نفسه ايضا ، ويقال فى هذه الحالة انه « غير رأيه » كالشاب الذى طلب يدها فقبلت ، ثم عاد فى الليلة التالية يطلب يدها من جديد لعلها ترفض !

وفى عز الهوى واشتعال النار نرى العاشقين يتعاملان ليس فقط كشخصين على خلاف ، بل كخصمين لدودين ، فالمرأة مثلا تشعر بسعادة غامرة عندما تعرف انه يقاسى فى البعد عنها او يصاب بالخبل إذا تحدثت الى رجل آخر ، كذلك ينتشى الرجل وينتفش كالديك الرومى عندما يعرف انها لاتنام الليل بسبب سفالته وخيانته .

معنى هذا كله ان الخلاف بين العشاق لاينتهى أبدا سواء كان العاشقان فى أحسن الأحوال او اسوأ الأحوال .

والحب لايذهب دفعة واحدة ، بل يعبر أبواب النهاية بابا بعد باب ، وهو يبذل الكثير للدفاع عن بقائه ، وهو فى رحيله التدريجى يتنكر وراء أقنعة عديدة .

فاذا قال رجل عن امرأة ربطته بها علاقة : إنى أكرهها ، فهو يحبها ، واذا انتوى الانتقام فهو يعشقها ، واذا فكرت هى فى قتله فهى تعبده . فالحب فى كل أطوار تشنجاته وغضبه يضع أقنعة الكرامة أو الخصومة المتهورة او الانتقام ، ولكنه فى جوهره حب يحتضر ، فعطيل

كان يقتل ديدمونة ويخاطبها ـ دون ان يشعر ـ : ياحبيبتى ، مبتهلا الى الله ان يرحمها ،والحب يخلع كل أقنعته عندما يهدأ ويموت ، فالانسان يعرف انه شفى من الحب اذا التقى بها والتقت به ، المشاعر هادئة ومحايدة وكأنه لقاء زوجين فى البيت .

عند نهاية الحب ، من الحماقة ان يبتعد الانسان برضاه عمن يحب وهو غير مؤهل لهذه القطيعة . قرار القطيعة يحتاج الى تمهيد . يحتاج الى تعبئة المشاعر ضد الطرف الآخر . ان يقترب اكثر . ان يستمر معه ليرى الوجه القبيح منه ، حتى يصل قرفه منه الى درجة التشبع .

ان الانسان لايختار الحب ، الحب هو الذى يختار الانسان ، ولذلك فالمرأة ـ أو الرجل ـ لاتملك ان تنسى حبها ، الحب هو الذى يملك ان ينساها ، فابتعاد الحب من تلقاء نفسه هو النجاة الحقيقية أو الانسحاب بلا خسائر ، والحب يبتعد من تلقاء نفسه عندما يقترب الانسان اكثر ليرى الآخر على حقيقته .

وليس على الانسان عندئذ ان يندب حظه لأن حبه قد فشل ، فكل حب يولد لكى يكون فاشلا،لأنه إما ان ينتهى بالخلاف وإما أن ينتهى بالزواج .

والكذب نصف الحب ، ومن الممكن ان يقال الكذب كل الحب ، فالحب عقد لتبادل الوهم الجميل بين رجل وامرأة . هى تجد متعة فى الكذب عليه ، وهو يرضى غروره بالكذب عليها ، والكذب فى الحب جميل ومستحب مادام يرضى كل الأطراف . ان الشفاه الجميلة تجعل الكذب أشد اقناعا وأقوى منطقا ، والمرأة اذا كانت صادقة فقدت سحرها ورقتها وأفقدت الرجل نعمة الاستمتاع بكذبها ، فأن تقول ـ وهى مسبلة الجفنين ـ احبك وتتركك هائما فى اكذوبة جميلة ، خير من أن تقول لك الحقيقة وهى أنها لاتحبك وانما هى تأمل ان تحبك يوما وتنسى بك حبا فاشلا كسر قلبها .

ولعل من محاسن الصدف فى الحب ذلك التوافق الطبيعى بين

الطرفين : العاشق يكره الحقائق والمرأة تموت فى الكذب ، فهو يفضل ألا يراها بغسيل وجهها ، وهى بعد ان تتزين يتملى من جمالها رغم انه يعرف ان خدودها ليست بهذا اللون التفاحى ، ولا الأحمر النارى هو لون شفتيها ، ولا كحلة العين ربانى ، لكن الغش مباح والكذب مغفور فى الجمال والحب ! .

والمرأة تجد متعة كبرى فى الكذب على الرجل .

ان الكذب عندها انتصار على الرجل واستغفاله وتحايل على قيوده . الكذب عندها تضليل للرجل وارضاء كاذب لغروره وغيرته ، فهى تفعل ماتريد وتجعله يصدق ماتشاء .

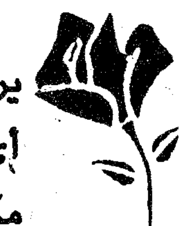
والمرأة تغير رأيها كثيرا ، فهى مضطرة الى المزيد من الكذب لتبرر مواقفهاالمتناقضة ، أما عندما يتعلق الأمر بالفلوس فهى لاتغير رأيها ابدا ولاتغير الموضوع .

ان الرجل ينبغى ألا يغضب اذا كذبت عليه المرأة حرصا على مشاعره ، ولابد ان يروض نفسه على تقبل الكذب بروح طيبة ، وهى فى الزواج ـ كما فى الحب ـ تكذب عليه أكاذيب صغيرة حرصا على أشياء اكبر ، بينما هو فى الزواج يكذب عليها أكاذيب كبيرة إخفاء لأشياء أصغر .. أصغر سنا من زوجته !

هل يتأثر الحب بالمادة ؟ هل الحب له مطالب مادية ، أم انه يشد بين قلبين ولايعنيه شىء سوى ذلك ؟

ان الحب غير الزواج .. ففى الحب الكلام همس وفى الزواج زعيق . فالحب حلم والزواج علم ، وفى الأحلام والحب لامستحيلات : بنت السلطان تحب الشاطر حسن ، والأمير يحب بنت الخفير لأن الحب محطة كبيرة يلتقى فى ساحتها ركاب التكييف وركاب السبنسة وركاب سطح القطار ايضا ، بينما الزواج غرفة انتظار تتسع لشخصين أحدهما دائما فى انتظار الآخر لاستجوابه (غالبا عن الفلوس) .

والحب الحقيقى هو القدرة على العطاء بلا مقابل ، فالحب ـ دائما ـ



يرفع شعار : بلا مقابل ، والانسان يحب ـ أحيانا ـ من طرف واحد .. إى بلا مقابل وأنت مثلا تستطيع ان تحب بلا مقابل او مجانا فى أى مكان .. فى الهواء الطلق أو على شط النيل ، ولكنك لاتستطيع ان تتزوجها الا فى شقة تمليك .

والحب دائما يحلق فى السماء ، والزواج له بيت لصيق بالأرض .

والحب غير مسئول لأنه دائما نشوان وسكران ، وياحبيبى انت خمرى وكأسى ، وفى السكر يهذى السكارى بالكلمات الشهيرة : أعيش معاك وآكلها بدقة ، أما فى الزواج فإن الكلام محسوب وخال من أى هذيان رغم ان الزواج فى النهاية قد يؤدى الى حالة هذيان .

وفى الحب بصلة المحب خروف . وفى الزواج بصلة الزواج حقيقية ، واذا استمر يطعم زوجته هذه البصلة فسوف يدفعها الى أن تفتش فى نصوص قانون الأحوال الشخصية عما ورد بشأن هذه البصلة .

وتسعون فى المائة من خناقات الحب سببها الغيرة ، وتسعون فى المائة من خناقات الزواج سببها الفلوس ، فالحب لايعرف أول الشهر من آخر الشهر ، ولكن الزواج ينتظر دائما أول الشهر لتبدأ المعارك .

○ ○ ○

وهذا يجرنا الى حديث آخر .. هل أصبح الحب يبحث عن المادة واختلف بذلك تماما عن حب زمان ؟ ان الحب هو الحب فى كل زمان .

أولا : وليس صحيحا أننا فى عصر ينفرد بعبادة المال ، الصحيح ان الناس تموت فى الفلوس وأن المال يلعب دورا رئيسيا فى الحب من قديم الزمان .

قالت ستى فى أمثالها : معاك قرش تساوى قرش ، وبفلوسك بنت السلطان عروسك . وقال العرب القدامى : اظهروا للناس زهداء وعلى الدينار داروا وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا ، وقال الانجليز فى أمثالهم : اذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من النافذة ، وقال الفرنسيون : عندما يتعلق الأمر بالمال فكل الناس لها تفكير واحد ،

وقال مثل اوربى : ثلاثة هم اخلص الأصدقاء : زوجتك العجوز وكلبك الوفى وفلوسك الجاهزة ، وأجمل الجميلات يتزوجن العواجيز المليونيرات ، فالمرأة أمام الشباب والمال لا تملك حق الاختيار .

وثانيا : ان الرجل المعاصر لايختلف عن الرجل القديم فى العلاقة بالمرأة . فبلاهة الرجل قديمة قدم حادث التفاحة ، واهتزاز ارادته امام المرأة أمر لاجدال فيه ، ويقول الله تعالى عن آدم : (ولم نجد له عزما) .

لقد سقط آدم فى الامتحان ولايزال يسقط كل يوم ، وكل يوم تخرجه امرأة من جنته : جنة الراحة ، أو جنة النجاح ، او جنة المجد ، أو جنة المنصب ، ولاعبرة لأنه لايريد ان يعتبر ، فعنده عذر جاهز يردده من آلاف السنين : (أحببتها وكنت أعمى) ياعينى على خيبتك ، ان أبلغ ما ماقالته ستى عن الرجل فى أمثالها الشعبية : العايز أهبل .

ثالثا : لعل الذى تغير فى الأطراف الثلاثة : هى وهو والحب : المرأة ، ذهب عصر الهوانم والنواعم وجنحت المرأة الى العنف ، لقد أخذت من الرجل شراسته وفظاظته ، وتركت له عبطه ، وتركت أيضا فروسيته ، فالرجولة الحقة فروسية ، وعيب المرأة التى سوف يطاردها الى الأبد أنها مش راجل .

كيف يتحقق كل طرف من عواطفه وعواطف الآخر ؟

ان المرأة مزودة بحاسة فطرية تميز بها صدق العاطفة من كذبها ، وهى فوق هذه الحاسة تقيس حب الرجل بقدر ماتحمل فى سبيلها من تضحيات وماحطمه من عقبات للوصول اليها ، لكن بعض النساء يقسن حب الرجل بمقياس خاص لايوجد الا عند الجواهرجية .

والمقياس الصحيح لحجم الحب يظهر بوضوح فى حجم كمية الحماقات ، فالحب مجموعة من الحماقات الجميلة بين رجل وامرأة تنتهى عادة بحماقة كبرى عند المأذون ، وعندما تتسم التصرفات بين رجل وامرأة بالعقل والاتزان فهذا ليس غراما ولكنه زواج .

وحماقات الحب هى توافه صغيرة وقلة عقل لامثيل لها ولكنها ذات قيمة كبيرة عند الاثنين ، فأجمل مافى الحب هو حماقاته وبلاهاته ، ولعل نابليون كان يقصد تلك الحماقات عندما قال : ان اخطر النتائج تترتب على أتفه الأسباب .

والحماقات متنوعة بلا حصر ، ويحكى ان فتاة كانت سعادتها فيما عودها عليه حبيبها ، إذ كان يلعق ظهر طابع البريد فى خطاباتها اليه لأن صمغه امتزج بلعابها ، وعندما كانت توجه اليه رسالة غاضبة ، كانت تنتقم منه فتبلل طابع البريد ـ قبل لصقه ـ من أنف كلبها .

ومن حماقات الحب ان المقدمات فيه لاتؤدى الى النتائج : فتاة يعلم الشاب انها تعرف اربعة آخرين غيره ومع ذلك يسقط صريع هواها . حتى ابو فراس الحمدانى بجلالة قدره يقول :

وفيت وفى بعض الوفاء مذلة .

لفاتنة فى الحى شيمتها الغدر .

وعبدالوهاب يقول : أحبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه . فالحب يمحو كل عيب فى المحبوب .

والحب أكبر جراح تجميل ، فالعاشق يرب أنف حبيبته نبقة من الشام مع انه فى حجم كوز الفلفل الأخضر . والمحب يقنع بالقليل : لمسة يد ، نظرة ، كلمة ، ويقول اسحق الموصلى : ان ماقل منك كثير عندى .. وكثير من الحبيب القليل ، والخلاصة ان الحب يقاس بكمية الحماقات الجميلة فيه .

ويمكن قياس الحب عند الرجل بالتغيرات الفسيولوجية عند لقائها .

يقول اهل العلم : ان الحبيب عندما يرى الحبيبة لحظة اللقاء فالتأثير يكون نابعا من المخ الذى يحدث التغيرات التالية عن طريق الجهاز العصبى : رجفة خفيفة فى اطراف الأصابع ـ تلعثم فى النطق ـ جحوظ العينين مع زغللة خفيفة ـ عدم وضوح الرؤية للحظة ـ ازدياد افراز العرق ـ وقوف الشعر ـ اختفاء الاحساس بالجوع والعطش ـ

ارتفاع ضغط الدم ، وتغيرات عديدة أخرى بينها ازدياد دقات القلب .

لماذا ترك الكتاب والشعراء كل التغيرات الكيميائية والحركات غير الارادية وتمسكوا ـ فقط ـ بما يحدث للقلب ، وجعلوا من هذا القلب مركزا للحب والغرام ؟

ربما لأن دقات القلب هى المحسوسة أكثر ، أو هى الايقاع العالى فى سيمفونية اللقاء ، واذا كان اضطراب المصران الغليظ من علامات هذا اللقاء . فمن العسير ـ فيما أظن ـ على شاعر غنائى ان يقول : وشفتك تانى .. وانخلع مصرانى ، أو يقول : وقابلتك يومها وأول مارأيتك .. اضطرب مصرانى وأتابينى حبيتك .

وعن ارتفاع ضغط الدم لحظة اللقاء فإننا اذا سمعنا شاعرا يقول : زودت عليا الهم .. ورفعت ضغط الدم . فهذا ليس كلام عشاق وانما كلام متزوجين .

وعن جحوظ العينين والعرق والافرازات الكيميائية لمختلف الغدد فإن العاشق اذا غنى : وقالولى عنيك طلعت بره ودمك قايد .. وقالولى غددك سايحة وعرقك بارد ، فهذا العاشق قطعا ليس فى موعد غرام وإنما فى قصر العينى أثر حادث أليم .. من هنا أصبح القلب هو الرمز اللطيف للحب رغم أنه مجرد مضخة تضخ الدم فى الجسم ، ومن هنا سمعنا حليم يغنى عن دق القلب اللى زايد دقتين وكيف وضع الطبيب السماعة على هذا القلب وقال ده رمش عين ، والظاهر انه كان طبيبا شرعيا فقد حدد مدة وجود الرمش فى القلب وقال بقاله جمعتين .

ولعلك تلاحظ ان مؤثرات اللقاء فى الحب لاتختلف عن مؤثرات اللقاء فى الزواج ، فما ان يعود الزوج مثلا متأخرا عن موعده بعض الشىء حتى يلتقى بالزوجة وعلى لسانها السؤال الخالد : كنت فين لحد دلوقت ؟ .

هنا نرى نفس مؤثرات اللقاء فى الحب : تلعثم فى النطق ورجفة فى أطراف الأصابع تمتد فى هذه الحالة الى مفاصل الركبة ، مع عرق بارد

بالاضافة الى وقوف الشعر ، ثم ان هذا اللقاء السعيد بين الزوجين عند عودة الزوج فى ساعة متأخرة من الليل مع ظهور آثار عدوانية على ملابسه مثل الروج ، أو ألوان الماسكارا او الحواجب ، أو فتلة شعر طويلة زيادة عن اللزوم ، فإن اللقاء فى هذه الحالة يؤدى بالتأكيد الى نفس مؤثرات اللقاء السعيد مثل الزغللة وجحوظ العينين وعدم وضوح الرؤية بسبب الكدمات طبعا .

○ ○ ○

خدعوك فقالوا : الحب قبل الخبز . كلام فارغ . الخبز أولا قبل الحب والجنس وكل شىء . حتى الطفل الوليد يبدأ الارتباط العاطفى بأمه لأنها مصدر الاشباع الوحيد فى الحياة ، والجوع يطيح بالحب وينكر كل القيم ، ولذلك قالوا : الجوع كافر .

ولك أن تتصور حبيبين فى قمة الحب ـ أى غير زوجين ـ تائهين فى الصحراء ويشرفان على الهلاك جوعا ، طبعا هى لايمكن أن تفكر فى أى حب ، وربما راودته هو فكرة ملحة عندما ينظر الى ذراعها المربرب وفى أذنيه اصداء أغنية أكلك منين يابطة .

ويقول شتاينبك : ان هناك خيطا رفيعا بين الجوع والغضب ، ويقول المثل الانجليزى : الرجل الجوعان رجل غضبان ، لذلك يحسن ان يتجنب كل طرف حبيبه الجائع ، ففى الجوع تزداد حساسية الجهاز العصبى ويصبح الانسان ضيق الصدر سريع الانفعال وعلى استعداد للخناق بلا سبب وكأنه زوج مزمن . ولايمكن لإنسان ان يحب او يغازل والجوع يؤلمه .

ويحكى مثلا ان عريسا قضى يوم زفافه والليلة السابقة عليه دون ان يذوق طعاما ، وما ان انصرف المدعوون بعد الزفاف حتى قال لعروسه : ياحبيبتى اننى انظر الى وجهك الفاتن واحاول ان اقاوم نداء الطبيعة لكنى عاجز عن المقاومة . وترك العروس وأسرع الى الثلاجة .

وكل التجارب التى اجريت على الحيوانات اثبتت ان الخبز قبل

الحب دائما ، وفى احدى التجارب وضعوا فأرا ذكرا فى متاهة ، عند فتحتها الأولى طعام وعند فتحتها الأخرى أنثى الفأر ، فانطلق الفأر فى المتاهة واتجه الى الطعام ، وتكررت التجربة مرات عديدة ، وفى كل مرة يختار الفأر الطعام حتى بعد ان شبع تماما ولم يتجه الى الأنثى ولا مرة . وتبين ان الانثى زوجته .

○ ○ ○

والحب الصحى معناه ان الطرفين يتعادلان فى العطاء وينافس كل منهما الآخر فى المزيد ، واذا قيل انه يحبها وهى تستلطفه .. فهذا حب من طرف واحد ، واذا قيل انها تحبه وهو يعجب بها .. فهذا حب منفرد أيضا ، واذا قيل انها غير مغرمة به وهو غير مغرم بها ويلتقيان كثيرا فهذا زواج .

والمرأة تحب ان يكثر العشاق الذين يجرقن خلفها ، فهذا طبع أنثوى أصيل ، رغم انها تبدو وكأنها لاتهتم بهم ، لكنها تنزعج كثيرا اذا اكتشفت ان احدهم كف عن الجرى وراءها ، فالمرأة ـ عموما ـ قليلة الثقة بنفسها ، ولهذا هى تعطى كل واحد بارقة امل حتى لاينفض عنها ، وهى فى الحقيقة لاتعطى شيئا الا للرجل الذى تحبه .

ولسبب أو لآخر قد تقرب المرأة أحد الذين يجرون خلفها درجة او درجتين عن الباقين ، وهذا بالطبع ليس حبا ، ولهذا يمكن ان يقال ان شابا يحب فتاة بعقد اذعان مثل عقد التليفونات أى يحبها بشروطها هى وليس من حقه ان يعترض أو يملى شروطا ، فاذا خالفت شروط العقد ردت عليه كالتليفونات بقطع الحرارة .

وفى أغلب قصص الحب السيناريو واحد تقريبا ، فالحب يبدأ بنظرة عين وينتهى بالفراق ، الفراق بالطلاق والفراق بالهجر الاختيارى والفراق بالهجر الاجبارى عند عمر مكرم . وبرغم اختلاف النهايات فى كل قصة حب على مسرح الحياة الا ان السينما المصرية تفضل ان تنتهى القصة بزواج البطل من البطلة تحت اعتقاد خاطىء للسينمائيين بأن هذه نهاية سعيدة .

فالسينمائيون عندنا لايعرفون ان من اسخف أنواع الفراق فى قصص الحب هو الفراق بالزواج ، حتى الجمل الحوارية نراها مشتركة فى كل قصة حب . وهذه عينة مما يقوله هو :

أول مرة أقول كلمة أحب لواحدة ـ صدقينى اللى مقعدنى معاها الأولاد ـ ح نتجوز ياحياتى بس ادينى فرصة أدبر أمورى .

ثم هذه عينة مما تقوله : هى ياريت أعرف آخرة حبنا ده ايه ـ انت اول واحد يلمسنى ـ فيه واحد اتقدم لى والظاهر بابا مصمم عليه .

وفى كل قصة حب يتصور الاثنان انها قصة الحب الخالد الذى لم يكن مثله حبا ولن يكون ، ويرفع كل منهما شعار : حبك انت شكل تانى ، ثم يتبين انه لاجديد فى كل قصة حب ، رجل وامرأة يلتقيان على موجة عاطفية موحدة ارسالا واستقبالا ، ولأمر مايتعذر الاستقبال والارسال عند الاثنين فتكتشف انه مثل كل الرجال ويكتشف انها مثل كل النساء .

وفى كل قصة حب نفس السيناريو كل تصرفات الرجل هى ردود أفعال لتصرفات المرأة . فهى التى تعطى الضوء الأخضر ليتقدم ، وهى التى تعطى الضوء الأحمر ليتوقف ، وهى التى تختار النهاية واحيانا تضع النهاية حاسمة مستعينة بساطور .

ومن فجر التاريخ والرجل يقتتل مع الآخرين للفوز بأنثاه ، ومن قديم الزمن والناس تقف فى وجه العشاق ، نوع من الحسد او هو نوع من الحقد الجنسى ، فالمرأة تشتعل غيرة عندما ترى الأخرى معشوقة لفتى وسيم غنى ، والرجل يندب حظه عندما يرى الآخر معشوقا من المرأة الأجمل والأرق .

ولذلك يولد الحب وهو يحمل بذور التحدى والعناد وشراسة الدفاع عن النفس ، وكلما وقفت العوائق والمتاعب فى وجه الحب تأصلت جذوره وظل قويا لايقتله شىء .

○ ○ ○

ومنذ القدم وقصة الحب لها اضلاع ثلاثة : الرجل والمرأة والأشواك فى طريق الحب ، أو الشاطر حسن وست الحسن وأمنا الغولة . وقد انتقل هذا الثالوث الى السينما المصرية فصار هناك البطل والبطلة وأمنا الغولة محمود المليجى ، وكل قصص الحب الشهيرة فيها أمنا الغولة التى تحارب الحبيبين ، ففى قيس وليلى قام أبو ليلى بدور محمود المليجى ، وفى روميو وجولييت قامت أسرتا الحبيبين بدور الشرير ، وفى قصة دوق وندسور قام ستانلى بولدوين رئيس الوزراء بدور العزول ، وفى كليوباترا وانطونيو اضطلع اوكتافيوس بدور الشرير .

وفى كل الأحوال نجحت أمنا الغولة ان تزيد الغرام توهجا واشتعالا بين الشاطر حسن وست الحسن ، ولو صبرت أمنا الغولة على العشاق لرأت كيف تموت الأشواق على يد مولانا المأذون .

وخصومة المجتمع للعشاق خفت كثيرا وإن كانت باقية ، فالعاشق كان مكروها من الكبار والصغار ، الكبار لأنهم يمثلون الحرس القديم ، والصغار لأنهم يحسدونه على الفوز بامرأة تحبه فى زمن اختل فيه العرض والطلب ، فالشباب يبحث عن الحب والجميلات وراء الأسوار والحجاب ، ومن يخفق قلبها لشاب خلف المشربية اسمها مقصوفة الرقبة ، فالحب عار وشنار ، ومجرد مرور العاشق أمام بيت المحبوبة مغامرة يعبر عنها عبدالوهاب فى موقف غنائى : مريت على بيت الحبايب .. وقفت لحظة هنية من غير عذول . فكل عاشق له الف عزول ، وذلك الزمان كان اسمه العصر الحجرى للحب ، حيث كانوا يرجمون العشاق بالطوب اذا سار بجوارها مع كورس من عيال الحارة يهتفون : سيب النعجة ياخروف .

ولم يكن هناك مجال الا الكباريهات حيث يشعل ابن الذوات سيجارة للراقصة عزيزة بنجر بورقة بمائة جنيه ، أما بنات الأسر فعزيزات المنال ، وشىء طبيعى ان يحقد الكل على من يفوز بقلب واحدة منهن ، فالمجتمع كله قاسم السماوى ، والشباب فيه يردد : جتنا نيلة فى حظنا

الهباب ، بل ان العاشق عندما تتعثر قصة حبه ينقلب هو الآخر الى قاسم السماوى : وليه غرامك كله هوان وغيرى ليه يبقى متهنى ؟

وقد نشأ الحب عندنا مقترنا بنظرة غير ودية تختلط بالحرص على العرض والشرف حتى اصبح الحب نفسه تراجيديا بينما هو فى الدنيا كلها سعادة ومرح وهناء .

○ ○ ○

والمرأة يسعدها وجود رجلين : واحد تجرى خلفه لأنها تحبه ، وواحد يجرى خلفها لأنه يحبها ، الرجل الأول القلب وما يعشق ، والرجل الثانى يرضى كبرياء الأنوثة التى يهدرها الأول .

والحب عالم خاص جدا ، يصل فيه الانسان الى درجة عالية من السعادة لايمكن أبدا ان يبلغها بمفرده . الحب كاللمسة والقبلة تحتاج الى شخصين ، واذا كان الزواج يحتاج ايضا الى شخصين فهناك فرق .. إذ أن شخصا واحدا فى الزواج لايكفى لحدوث الخناق .

واذا كان الحب يحتاج الى شخصين ، فالحب من طرف واحد غير طبيعى الا اذا اراد العاشق ان يكون فاعل خير .

وليس شرطا ان تؤمن بالحب حتى تقع فى الحب ، فالحب يختارك ولاتختاره ، وعندما يختارك فعليك ان تقبل بكل شروطه ، ومن شروط الحب أحيانا ان تقع تحت وصاية إنسان آخر ، أو تحت نفوذه ، يسعدك حينا ويشقيك فى معظم الأحيان ومع ذلك فهو انسان باهر ومدهش ولامثيل له فى العالم ، فالانسان الذى تحبه هو دائما الانسان الكامل ، مع ان الانسان الكامل لايوجد ولا حتى فى كتب الخيال العلمى . اذا قبلت شروط الحب فاستمر ، واذا لم تقبلها ، فابتعد والعق جراحك وليكن عزاؤك ان كل حب فى الدنيا ينتهى بكارثتين لاثالث لهما : الفراق أو الزواج .

ان هناك مايقرب من ثلاثين تعبيرا يرددها الرجل فى الرانديفو او فى التليفون . ونورد فيما يلى أهم هذه التعبيرات وقد وضعنا بين قوسين

بقية التعبير الذى لايقوله الرجل :

١ - ياريت فيه كلمة تعبر ع اللى أنا حاسس به غير كلمة أحبك (لأنى فى الحقيقة مابحبكش)

٢ - عمرى ماتصورت انى ححب واحدة بالشكل ده .. (قصدى واحدة بالشكل ده تصدق أى كلام)

٣ - أنا مستاهلكيش (وحتكتشفى بعدين الحقيقة دى بنفسك) .

٤ - ازاى كنت عايش من غيرك (وعلى أى حال حرجع قريبا جدا أعيش من غيرك)

٥ - زى ماأكون بعرفك من عشرين سنة (عشان كده فاهم حركاتك كويس) .

٦ - انتى اللى كان لازم أتجوزها (قبل الزوجة نمرة أربعة)

٧ - صدقينى أنا اللى مقعدنى معاها الأولاد (.. وفلوسها) .

٨ - طول الليل باحلم بيكى (وشايفك فى المنام بتطلبى منى الجواز اللهم احفظنا) .

٩ - باحس دايما انى مسئول عنك (فى الحاجات اللى ماتكلفش فلوس)

١٠ - أول مرة أقول كلمة أحبك لواحدة (وتصدقنى)

١١ - كلمة منك وأقاطع كل الناس (بس بلاش ميمى اللى بتغيرى منها)

١٢ - انتى كنتى أجمل واحدة فى الحفلة امبارح (بس ياريت تعملى عملية تجميل فى بقك)

١٣ - بصراحة كدبت على غيرك كتير بس مش قادر أكدب عليكى (علشان بتكشفى كل كدبة)

١٤ - حنتجوز طبعا بس ادينى فرصة ست أشهر (وبعدها مش حتشوفى وشى)

١٥ - بتبقى حلوة أوى لما بتبكى (لكن أنا فاهم دموعك كويس

ومش حتجوزك)

١٦ ـ الاحساس اللى أنا فيه ده جديد عليا (يادوبك جربته خمس مرات قبل كده)

١٧ ـ صدقينى حطلقها بس فيه مسائل لازم تتصفى (مش عايزة تدفع)

١٨ ـ بلاش الدموع دى قدام الجرسونات .. اشربى الليمون واهدى على ماأقوم أتكلم فى التليفون وأجيلك حالا (ولم يعد اليها حتى كتابة هذه السطور) .

واذا كان للرجل جمل محفوظة يقولها ويرددها فى العلاقة الغرامية ، فان المرأة تفعل ولاتقول . فكل تصرفات الرجل هى ردود أفعال المرأة . هى التى ترسم الخطة للايقاع به وتوحى اليه بأنه هو الذى أوقع بها ، أو كما يقول المثل الفرنسى : اجرى ورايا علشان امسكك ، فهى تعطى له الضوء الأخضر بابتسامة أو نظرة عين ورد الفعل عنده لعاب يسيل .

وتشجعه ورد الفعل يجرى وراءها .

وتأذن له باللقاء فيقول ويقول (راجع فقرة كليشيهاته السابقة) . وتغضب منه وتخاصم ، ورد الفعل استرحام واستعطاف ويافايتنى فى ليل تعذيبى . ثم يأتى تصرفها التى تتكتك له طويلا فيكون رد الفعل عنده : تليفون للمأذون . والملاحظ ان معظم العبارات المحفوظة او الكليشيهات التى ترددها المرأة تسخرها لخدمة هدفها الأوحد وهو الزواج .

وأشهر هذه العبارات : انت اول واحد اعرفه ـ دى اول مرة اخرج فيها مع حد ـ انت اول واحد يلمسنى ـ فيه واحد متقدم لى والظاهر بابا مصمم عليه ـ عايزة أعرف حبنا ده أخرته ايه ـ قلتها لكام واحدة الكلمة دى ـ بتحبنى أد ايه ؟ ياريتنى أعرف ايه جواك .

أما فى الزواج : فالمرأة تصبح صاحبة القرار أو صاحبة السلطة ، وكل الجمل أو الكليشيهات التى ترددها تصبح نابعة من النظام القمعى

الذى تفرضه على الزوج مثل : ايه اللى أخرك لحد دلوقت - متقمع كدة ومتشيك ورايح على فين - ريحتك بارفان كنت فين - بابكى ليه ؟ ح يكون مين يعنى غير أمك ؟

○ ○ ○

كيف تعرفين انه يحبك بصدق ؟

هذا السؤال يحير النساء كثيرا . فالرجل عند المرأة مشبوه ، وتاريخه معها شكوك وعدم ثقة وحرب متصلة منذ حادث التفاحة ، والغرام هو فترة الهدنة الوحيدة فى تلك الحرب المتصلة وبعد الغرام يستأنف الطرفان الحرب فى الزواج .

والمرأة معذورة لأن الرجل مهما بلغت درجة سفالته يستطيع أن يزيف سلوكه معها ، فتصبح له تصرفات اللورد وأخلاق الفرسان ، ولاشك انها لحظة قاسية عندما تكتشف المرأة أنه ضحك عليها وأن اللورد التى أحبته طلع ندل . لكن هناك مقياسا لايخطىء تستطيع المرأة ان تقيس به صدق الحب عنده . هذا المقياس هو حنان الرجل .

والحنان غير الحب ، فالحب الحقيقى يفجر عند الرجل ينبوعا دافئا من الحنان يتمثل فى تصرفات عفوية لايخطئها احساس المرأة . ان العاشق يستطيع ان يقدم الضمة والقبلة وهمسة الغزل . لكن الحنان شىء آخر .. الحنان هو أن تحس المرأة ان الأب بداخله او الأخ الكبير هو الذى يقدم حبه ورعايته وخوفه عليها ، وهى تصرفات عفوية غير قابلة للافتعال ولاتصدر الا عن حب صادق وحقيقى .

فالحنان هو العملة الحقيقية للحب الكبير ، والحنان لايقبل الا تفسيرا واحدا هو انها تعنى عنده الكثير .

أما اهداء سوليتير ثمين مثلا فهو يحتمل تفسيرات عديدة .. منها انه يحبها ، ومنها انه يحاول منافسة غريمه صاحب الزلكة ، ومنها انه يحاول اغراءها لينالها ، وهناك مؤشر آخر لهذا السوليتير وهو أنه سوف يقف قريبا أمام المدعى الاشتراكى .

ولا يوجد حب حقيقى وغير حقيقى ، بل يوجد حب أو لا يوجد ، والمرأة إذا أحبت تفانت ، ورغم انها أكثر صبرا واحتمالا من الرجل إلا أن الفشل فى الحب عندها نكبة ونسيانه يكاد يدخل فى خانة المستحيل ، وإذا كان الفراق عند المرأة كارثة فهو .. عند الرجل مجرد حدث مزعج ، لأن الرجل عموما حبه حسى بالدرجة الأولى ، فنادرا ما يوجد الرجل الرومانسى الذى يقاسى ، وإن وجد فإن الأمر قد ينتهى به إلى الزواج الآلى ليصبح زوجا لامرأتين ، واحدة فى البيت والأخرى فى قلبه .

والحب عند المرأة ينقلب بعد الفراق إلى لعنة ، إذ تظلَ تقارن كُلّ رجل تلتقى به بالرجل الذى كان : هذا ليست له شخصيته ، وهذا ليس له حضوره ، هذا ليس له حديثه الجذاب ، وهى تظل تلفظ رجلا بعد آخر حتى تكاد تفقد فرصة الاختيار عندما تفلت منها سنوات العمر فتستسلم بلا شروط ما دام كل الرجال يتساوون بعد حبيب العمر .

وليس صحيحا ان المرأة فى هذه الحالة ، « تتعس » الرجل الذى تزوجته ، بل هو سوف يقتنع تماما أنه الرجل الأوحد فى حياتها ، وأنه حبها الأول والأخير ، فالمرأة لديها قدرة خارقة على الإقناع بأن الحب يأتى بعد الزواج ، وهى تستمد هذه القدرة من موهبتها على التظاهر بالحب ، وتلك الموهبة زودتها بها الطبيعة ليسهل عليها تحقيق الهدف : الزواج وبناء العش ، فأى بنت غير مجربة تستطيع أن توحى إلى أى شاب مهما كان مجربا أنها أصبحت صريعة هواه ، وهى تسعده بمواقف رومانسية باهرة ، وهى توهمه بالحاجة العاطفية إليه ، بينما هى تضعه تحت الاختبار لتفاضل بينه وبين آخرين يقفون ببابها ، وبعد كل هذه العواطف المتقدة يضرب الشاب كفا بكف فى ذهول وهو يقرأ خبر خطبتها دون أن تقول له حتى كلمة وداع .

انها مشكلة الرجل الأبدية .. العبط .

اعرف عدوك .. حواء الجميلة





المرأة هى التى تعلم الرجل الحب ، هى الأستاذة والمدرسة وناظرة المدرسة ، وهى حريصة على رسوب الرجل فى كل امتحان أمامها ، وهى تستغل طبيعته بدهاء .. فالرجل بطبيعته غبى لأنه يعطى لنفسه تفوقا عنصريا لا وجود له ، ويزهو بذكاء يتبدد مع أول لمسة من يدها ، وهو الاضحوكة دائما ، فبينما نراه فى الحب له جراة النمر نراه مع الزواج فى جبن الأرنب ، وهو يحب جمالها ويحب مفاتنها ويحب أحاديثها حتى اذا تزوج أحب صمتها .

والمرأة ـ ثانيا ـ هى الأقوى لأنها تمتلك قيادة العلاقة العاطفية ، وبناء عليه فهى تمتلك الضربة الأولى والثانية والعاشرة ، كما تمتلك الضربة القاضية ..

وثالثا : الجنس الآخر عند المرأة نوعان طفل وطفل كنج سايز وهو الرجل ، وهى تسوس الطفل الصغير والطفل الكنج سايز بنفس الأسلوب : القمع والملاينة .

والمرأة لاتسعد إلا اذا كان فى حياتها رجلان ، واحد هى جاريته والآخر هى أميرته . الأول تقول له : أعبدك والثانى يقول لها : عزة جمالك فين من غير ذليل يهواك ، الأول موقعه بين ذراعيها ، والثانى موقعه بين يديها .

والمرأة ـ رابعا ـ قد تهزم فى معركة لكنها تنتصر فى النهاية ، فرغم أن المرأة ليست مشكلة الرجل وإنما هى حل المشكلة ، فإن ، العقبة الحقيقية بين الاثنين تكمن فى أن كلا من الطرفين ليس لديه رغبة قوية فى التفاهم بقدر ما لديه رغبة أقوى فى التسلط . والمرأة لاترفع الراية البيضاء إلا اذا وقعت فى هواه ، ثم لاتلبث الراية البيضاء ان تنتقل إلى

يده فى بيت الزوجية .

ooo

والمرأة غالبا تبدأ علاقة الحب متطلعة إلى الأمومة والأسرة ، بينما الرجل يبدأها دائما متطلعا إلى التسلية ، ولهذا فالمرأة أطول بالا وأكثر صبرا ، ثم هى تناور الرجل بذكاء شديد حتى لايتسرب اليه الملل اذا لم يحصل على الضمة والقبلة ، ثم ينتهى به الأمر إلى أن يجد نفسه لايريد أن يحصل على أى شىء بعد الزواج .

والمرأة مهيأة الذهن دائما لغدر الرجل ، فعندها مئات النصائح من أمها ، عندها النظرية الكلاسيكية النسائية : يا مآمنه للرجال يا مآمنه للمية فى الغربال ، عندها من تجارب الأخريات مايؤكد ثبوت رؤية الميه وهى تنزل من الغربال .

والرجل فى العلاقة الحميمة بالمرأة يثير المتاعب كطفل ، وكالطفل تسترضيه بقبلة مرة ومرة بقرص أذنه ، إن المرأة أكثر حكمة من الرجل فى علاقتها به ، صحيح هى تعرف أقل منه بكثير ، لكنها تدرك بمشاعرها أفضل منه بمراحل ، ولهذه المواهب تخصصت المرأة فى قيادة العلاقة العاطفية ، ولو كان الرجل هو الذى يقود العلاقة ماتزوجت امرأة على ظهر الأرض . لكن احترس فإن للصبر حدودا ، والمرأة كالفيل لاينسى الاساءة أبدا ، وهى قد تتحملها فى سبيل الحب أو فى سبيل الهدف الذى تسعى إليه ، لكنها تختزن ولاتغفر بعكس الرجل لأنه ليس امرأة .

وانتقام المرأة أشكال وألوان ، ونراها أحيانا تنتقم من اساءاته بالزواج منه .

ان الطفل الكامن وراء شوارب الرجل لايراه ولايعترف به ، ولكن المرأة تلمح هذا الطفل فى كل لحظة ، فهى تدرك أن اعتماده عليها هو امتداد للاعتماد على الأم ، وهى تخاطب هذا الطفل وقت اللزوم ، وهى

تسترضيه ، وهى تستميله بالحلوى ، والمرأة نفسها هى أجمل قطعة حلوى عند هذا الطفل الكبير .

والطفل الكبير داخل الرجل يشعر بضعفه أمام المرأة ، لكنها من الذكاء بحيث لاتشعره أنها تعرف ضعفه .

وعندما يسمع الرجل أن المرأة تحاول ترويضه فهذا يسعده جدا ويشبع غروره باعتباره سبعا .

إن جنوح الرجل إلى المعاملة الخشنة والتظاهر بالقوة أمام المرأة هو مستلزمات التغطية على ضعفه أمامها ، فحتى شمشون الجبار باعته دليلة لأعدائه بعشرين فلسا بعد أن تحول بين يديها إلى طفل برىء تدلله قائلة ياشمشم ياشمشومى .

المرأة ـ شئنا أم أبينا ـ هى (قائد) العلاقة العاطفية ، هى التى تحدد شكل هذه العلاقة وحدودها ودرجة العطاء ، وهى التى توحى للرجل بأنها الفريسة وأنه الصياد ، وكل تصرفات الرجل فى علاقته بالمرأة هى ردود أفعال ، فهى التى تبدأ ، ودور الرجل ـ شئنا أم أبينا ـ هو التابع الذى يمشى خلف المتبوع ، وما من رجل إلا ويسير خلف المرأة .. حتى فى الاتيكيت .

يكتشف العلم كل يوم قوة الأنثى فى كل المخلوقات ، فكل من ذكر النمل والنحل يتم قتله بعد التلقيح ، كذلك تقوم بهذا الواجب أنثى العنكبوت الأسود ، وأنثى العقرب ، وبعض أناث السمك ، والأمثلة كثيرة ، وهذه الأناث جميعا تقوم ـ منذ الأزل ـ بعملية قتل الذكر بانتظام ، ومن حسن حظ تلك الاناث أنها لاتقابل مشكلة التخلص من الجثة والبحث عن الأكياس إياها .

○ ○ ○



لماذا تراه المرأة طفلا ؟

لأسباب كثيرة أهمها :

— ان المرأة تمارس وصايتها على الرجل طول العمر ، فموقع الرجل دائما بين أحضان المرأة وليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وشابا ، فإذا أصبح زوجا انتقل موقعه من بين أحضانها ووقع بين يديها .

— لأن الطفل يعبر عن مطالبه بالبكاء ويكف عن البكاء عند تحقيقها ، وكذلك العاشق الذى ينحصر بكاؤه فى طلب الوصال والرحمة ورفع الظلم .

— يبدأ الطفل فى الادراك والتنبه فى الشهر الثالث بعد الولادة وكذلك الرجل يبدأ فى الادراك والتنبه فى الشهر الثالث بعد الزواج وقد فات الأوان .

— ينصح علماء النفس التربوى بأن تلاعب الأم طفلها فى السنة الأولى بأن تختفى عنه وتتركه يبحث عنها حتى يتدرب على تشغيل فكره ومواجهة الصدمات والمواقف الصعبة ، وكذلك تفعل المحبوبة مع العاشق ثم يتضح أن سبب اختفائها عنه هو زواجها من واحد عنده زلمكة .

— ينصح علماء النفس التربوى الأم بأن تحكى للطفل فى السنة الأولى حكايات كثيرة لكى تنمى قدراته العقلية وتغرس فيه فضيلة الانصات ، وكذلك تفعل الزوجة فى السنة الأولى والثانية والعاشرة والعشرين .

— يبدأ الطفل التفاهم مع من حوله بقليل من الكلمات ويميل إلى التعبير بالاشارة فيقبل الهواء اشارة للبوسة أو يرفع يده باى باى ،

وكذلك يفعل العاشق مع بنت الجيران .

— التعلثم من صفات الطفولة ، فنجد الطفل ينطق حرفا وينتظر برهة حتى يتغلب على عجزه وينطق الحرف التالى ، وأحيانا يعجز عن النطق عندما تتقلص عضلات الحنجرة نتيجة الخوف أو الرهبة فتحول دون خروج الكلمات ، وكذلك الرجل عندما تضبط هى فى جيبه منديل به أحمر شفاه .

— معظم العشاق لايحفظون العهود والوعود ، وهذا طبعا شغل عيال .

— من وجهة نظر المرأة أن كلا من الطفل والرجل فى حاجة مستمرة إلى أن يتربى .

— من سمات الطفولة أن الطفل يأكل بلا تفكير كل ما تمتد اليه يده أو أى شيء يقدم اليه ، وكذلك الرجل هى تقدم اليه المكرونة بالبشامل وسم الفار .

○ ○ ○



إن حواء هى النبع الدافىء لأروع ابداعات الشعر والأدب والفن التشكيلى ، اتخذت من الجمال الأنثوى مادة وإلهاما ، وكل شىء جميل ينسب إلى المرأة : الحلوى اللذيذة الشهيرة أطلقوا عليها صوابع الست ، وزهرة أسموها الست المستحية ، ونبات له زهرة جميلة أطلق عليها الانجليز اسم : قرص شهد الست ، حتى شبشب الهنا الذى تلبسه الست أطلقوا اسمه على زهرة : ليديز سليبر ، والمرأة تعرف ان الجمال هو أهم ما يحفل به الرجل ، ولذلك كل سنتيمتر من قمة رأسها إلى أصابع قدمها مصروف عليه الشىء الفلانى : الشعر له ميزانية كبرى والحواجب لها قلم مخصوص ، والرموش لها ماسكارا ، والجفون لها ملونات ، والفم له روج ، والبشرة لها بودرة ومعاجين ، والعنق والأذن واليد لها جواهرجى يرصعها ، وشركات مستحضرات وبيوت أزياء تتعامل فى مليارات الدولارات مهمتها تجميل المرأة فى عين الرجل وانتاج الأسلحة الكيماوية للبطش به . وبينها : شوكنج وسوفاج وبويزون أى السم الهارى .

والذى يقلب قصائد جرير وبايرون وشوقى وكيتس وناجى ومارلو وعلى محمود طه وبيرنز وغيرهم سوف يقرأ عن عيون فى طرفها حَوَرُ ، وقوام مياس وشفاه كُجمر النار وجيد أغيد ونهود رجراجة ولن يجد شاعرا واحدا قديما أو حديثا يتغنى بجمال عقل المرأة وحلاوة تفكيرها وسحر حكنتها ، فالرجل يسقط صريع هواها دون أن يهمه ان كانت راسبة اعدادية أو تحمل دكتوراه ، وهو يوقع على عقد الزواج دون أن يعنيه انها ناقصة عقل ، المهم ألا تكون ناقصة جمال ، فنقص العقل

لا يجعل العقد معيبا ، والجمال يغفر كل شىء ، فإذا كانت بلهاء فالهبل هنا اسمه طيبة قلب . وإذا كانت جاهلة فهى قطة مغمضة ، وإذا كانت خبيثة التفكير فهى شعلة ذكاء ، ومع ذلك فالناس أذواق ، وهناك من لا يفضلونها جميلة ، وأعرف رجلا يحب امرأة شديدة الشبه باسماعيل ياسين مع فارق واحد هو أن اسماعيل ياسين من غير شنب .

وقد اقترنت حواء بالحية لأن ابليس تمثل فى الحية وأغوى حواء بقطف التفاحة ، وحاول البعض أن يجعل من تشابه اللفظين مبررا للشبه الموضوعى .

ان حواء سميت كذلك لأنها مصدر الحياة للجنس البشري ، واعتبرت الحية فى كثير من المجتمعات ـ كالهند وبلاد الاغريق والرومان مصدرا للخصوبة وتجدد الحياة ، ولأن الحية تحتل مكانا بارزا فى الأساطير والمعتقدات . فقد قال المتحاملون على المرأة : أن التشابه اللفظي بين الحية وحواء لم يأت عبثا ، إذ أن حواء كالحية تحوى أسرارا وشرا غامضا ، وأن حواء محواه ـ بتشديد الواو ـ أى تتسم بصفات افعوانية كالتسلل الانسيابى والوقيعة والمكر والخديعة ، ولديها الصبر الطويل على الايقاع بالفريسة .

وقيل أن هناك صداقة تاريخية بين حواء والحية ، فنساء الاغريق والرومان كن يقتنين الأفاعى ويلاعبنها ويستبشرن خيرا بها فى الحمل والولادة ، وهناك مجتمعات بدائية عبدت الحية باعتبارها مصدر الحياة والخصوبة .

غير أن هناك ـ فى رأيى ـ فروقا جوهرية بين الحية وحواء تغافلوا عن ذكرها ، فالحية تغير جلدها أو ثوبها الخارجى مرتين فى السنة مع الربيع والخريف ، غير أنها لا تغير طباعها ، وحواء تغير ثيابها أيضا لكنها تغير طباعها خاصة من الخطوبة إلى الزواج .

ومن الفروق أيضا أن اسم الحاوى يأتى من الحية ، فهو الذى يربيها ، بينما حواء هى التى تربى الرجل خصوصا بعد الزواج .

ثم إن الحية عوقبت على خطيئة الفردوس بشق لسانها ـ الذى تكلم به ابليس ـ إلى شطرين ، وهذا فارق جوهرى عن لسان حواء الذى لم ينشطر بعد أن أغرت آدم بنفس الخطيئة ، وحواء ليس لديها غدة تفرز سمها كالحية وهى بسبب عدم الاكتفاء الذاتى فى السم تضطر إلى شرائه لدسه فى الكفتة والبسبوسة ، ولعل أبرز الفروق بين حواء والحية أن هناك ما يقرب من أربعة آلاف نوع من الأفاعى ، ولكن تسعين فى المائة منها ـ بعكس النساء ـ لا خطر منه اطلاقا .

○ ○ ○

وقد ظهرت كتب بلا حصر .. ظهرت لتعين الرجل على فهم المرأة ، بينما لم يظهر كتاب واحد يعين المرأة على فهم الرجل ، هذا صحيح ، ربما لأن البشر ـ منذ بدء الخليقة ـ ينقسمون إلى قسمين : النساء والأغبياء .

فليس أدل على بلادة فهم الرجل أمام المرأة من أنه يلازمها منذ خروجها من ضلعه ، ومع ذلك ـ وبعد هذه الأزمنة الطويلة ـ يشق عليه فهمها ويحتاج إلى كتب خارجية ودروس تقوية ومفسرين وشراح رغم أن فهم المرأة لا يتطلب شيئا من هذا كله ، فهى واضحة جدا : تغش الرجل علنا بالأحمر والأبيض والباروكة والرموش وهو يعرف انها تغشه ، ولا لف عندها ولا دوران لأنها صريحة جدا ، ما فى القلب على اللسان ، لا تطيق أن تحفظ سرا ، والكلام يدخل من أذنها ليخرج من فمها مباشرة ، وهى تسعى إلى كل ما يكشف عنها ابتداء من الميكروجيب إلى البكينى إلى التوبلس .

والمرأة إذا أحبت فهى أشد ما تكون وضوحا أمام الرجل الذى تحبه لكنها تتحول إلى لغز أمام رجلين : رجل فتر حبها له ، ورجل فتر حبه لها ، الأول يدهش من غرابة تصرفات لم يعتدها ، والثانى يحولها إلى انسان غير متوازن حيث تختلط عندها المعانى المتناقضة بين الحب والغيرة والرغبة فى الانتقام ، أما الرجل فهو ليس فى حاجة إلى كتب

تشرحه للمرأة ، فكل امرأة تعرف جيدا أن الرجل أمام المرأة أهبل وعبيط ، وأنه منذ حادثة التفاحة الشهيرة خرج من الجنة ليسكن فى الأرض بدرب المهابيل .

والمرأة توجد فى الحياة ولا توجد فى الكتب ، والذى ينشد معرفة المرأة من الكتب سوف يبتعد كثيرا عن الفهم الحقيقى للمرأة ، لأن الذين كتبوا عن المرأة إما واحد لم يفهم المرأة التى أحبها لأنها لم تحبه فصارت المرأة عنده لغزا ، أو واحد أحبها وأحبته وانتهى الحب بالفشل فانقلب عليها ساخطا ، واما واحد أحبها وأحبته ونجح فى الحب وتزوجها فانقلب عليها ساخطا أيضا !

والمرأة فى الكتب مثل المرأة فى الأفلام ، زمان مثلا كنت أحلم بالسفر إلى أسبانيا مفتونا بالمرأة الأسبانية وهى ترقص بالكاستنيت وتمارس العشق مع متادور وتغرس الخنجر فى صدر العشيق الخائن . وفى أسبانيا وجدت المرأة بلا تسريحة الشينيون ولا الكاستنيت ولا الرقص ـ تماما ـ كالمرة المصرية فى السينما المصرية : امرأة سينمائية تختلف اختلافا تاما عن أمهاتنا وزوجاتنا واخواتنا وبنات أهالينا .

المرأة فى الكتاب والفيلم امرأة مزيفة ، تماما كالحب فى تلك الأفلام ، وإذا كانت المرأة فى الكتب قد دفعت بعض المشتغلات حديثا بالأدب إلى تصحيح النظرة إلى المرأة ردا على الرجل ، فإن هؤلاء الأديبات أظهرن فى كتاباتهن امرأة ثالثة مزيفة تختلف عن المرأة فى الكتب الرجالى وعن المرأة فى الحقيقة إذ خلطن خلطا شديدا بين خضوع المرأة للرجل وبين الضعف الأنثوى الجميل الذى يتركز فيه كل سحر الأنثى ، وأفرز انتاج الغالبية من هؤلاء الأديبات امرأة مسترجلة ، متمردة طويلة اللسان تنادى بالانتقام من طغيان الرجل الذى استمر عصورا طالت ، وكأنها دعوة عنصرية كمزاعم اليهود فى اضطهاد السامية .

لكن مهما كتبت الزعيمات فسوف يظل الرجل ـ كما قلت من قبل ـ مفتونا بالمرأة الرقيقة التى ترضى كبرياء رجولته بالخضوع الأنثوى

فيتزوج الأستاذ من تلميذته ورجل الأعمال من سكرتيرته والطبيب من ممرضته لأن الطعم الذى يبتلعه الرجل هنا هو الوداعة والرقة والطاعة والتعظيم ، ثم بعد الزواج تتساوى الزوجة الثانية بالزوجة الأولى ويتساوى جميع الأزواج فى البكاء .

○ ○ ○

ولا توجد امرأة خطرة وامرأة غير خطرة ، فكل امرأة تتمتع بالدهاء الأنثوى الذى يغلب أذكى الرجال سواء كانت هذه المرأة أمية لا تكتب ولا تقرأ أو دكتورة فى الفلسفة ، ويقول العرب ـ محذرين ـ لا تتزوج منانة ولا حنانة ولا أنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة .

والمنانة هى التى لا تكف عن اذلال زوجها بما منت عليه به وما فعلت من أجله ، وهى غالبا بنت أخت الوزير الذى رقاه من موظف أرشيف إلى مدير عام .

والحنانة هى التى تتحدث كثيرا عن ميلة بختها معه ، وكيف بلغت بها الخيبة أنها رفضت فلانا الذى تقدم لطلب يدها ، أو تتحدث عن زوجها الأول الذى كان أمير الأمرا ولعلها تبدى الندم ـ فى سريرتها ـ لأنها قتلته بالسم دون اكتشاف أمرها .

والأنانة هى التى لا تكف عن الأنين والشكوى وادعاء المرض وتؤرق زوجها إلى جوارها فى الفراش بأنينها حتى إذا غلبه النوم قامت بتفتيش جيوبه .

والحداقة هى التى تحدق فى كل ما تملكه الأخريات وتطالب زوجها بمثله حتى يقف أمام محكمة الجنايات متهما بالاختلاس .

والبراقة هى التى تجلس أمام المرآة بالساعات ليبرق وجهها وشعرها بمواد الزينة للايقاع برجل برىء ولدته أمه حرا .

والشداقة هى التى لا تكف عن الكلام والثرثرة ولا تترك لزوجها الفرصة للكلام إلا إذا غلبها النعاس . ولعل العرب الذين اكتفوا بهذا التقسيم لم يعرفوا إلى جوار الأنانة والمنانة والزوجة الظنانة والسنانة ،

فالظنانة هى التى تشك فى زوجها وتظن به الظنون ، والنساء - فى العصر الحديث - ينقسمن إلى قسمين الظنانة والأقلية .

أما السنانة فهى التى تسن السكين لزوجها تمهيدا لنشر اسمها فى صفحة الحوادث .

○ ○ ○

وعن التناقضات الحادة فى شخصية المرأة يتساءل البعض : هل المرأة من تركيبة أخرى غير الرجل ؟ إذا كانوا يقصدون التركيب الكيميائى فطبعا جسم المرأة مختلف تماما عن جسم الرجل .

لقد أثبتت دراسات علمية حديثة ان المرأة معدنها الكيميائى أحسن من الرجل لأن جسمها يحتوى على كمية من الذهب تزيد عما فى جسم الرجل بحوالى ست مرات ، بينما يقال ان مجموع المواد الكيميائية فى جسم الرجل لا يزيد ثمنها - ياحسرة - عن ٩٥ قرشا (بسعر السوق السودة) .

ومن حيث مخ المرأة فهو لا يختلف عن مخ الرجل ، من حيث التركيب الكيميائى والكهارب ، لكنه تشريحيا أصغر من مخ الرجل ، وإذا كان مخ الرجل يعمل بكفاءة عالية فى الخلق والابداع ، فإن هذا المخ يتحول أمام المرأة الجميلة إلى قطعة من البسطرمة .

وللمؤثرات البيولوجية الشهرية أو الزمنية آثارها على تصرفات المرأة ، لكن بعيدا عن كل هذه المؤثرات فإن كل امرأة بداخلها عدة شخصيات متناقضة : الرومانسية والعملية والشرسة والحانية والقاسية والمتسلطة والخاضعة ، وكل هذه الشخصيات لا يظهر منها أيام الحب إلا الشخصية الرومانسية ، لكن بقية الشخصيات بداخلها تظهر تباعا بعد الزواج : السبت الرقيقة ، والأحد الشرسة ، والاثنين النكدية والوادعة أول الشهر .

ان الشخصية التى تبدو للرجل دون باقى الشخصيات داخل المرأة يتوقف ظهورها على الرجل الذى أمامها ، فكل امرأة فى حياتها

رجلان .. واحد يسير خلفها ولا تحبه ومهمته أن يرضى كبرياء أنوثتها وجمالها باستعطافها ، وواحد تسير خلفه وتموت فى دباديبه ، والذى يسير خلفها يأخذ عادة فوق دماغه ، والذى تسير خلفه له كل رومانسيتها وضعفها الجميل ، لكن مهما كانت سوءات الشخصيات المتعددة داخل المرأة ابتداء من المتسلطة إلى الشرسة إلى النكدية ، فهى أرحم بكثير من المرأة التى تتعامل بالسكين ، ونعرف فى هذه الحالة ان المرأة النكدية نعمة وان الله خلق العقرب ليرينا طيبة الخنفساء .

عندما تتخذ امرأة قرارا وتوكل إليك تنفيذه فلا تفعل ، بل انتظر لأنها سوف تغير رأيها ، وقد تعود إلى الرأى الأول ، أو إلى رأى ثالث ورابع ، وذلك شيء ينبغى ألا تضيق به لأنه سمة بارزة فى المرأة ، وربما كان ميزة يفيد منها الرجل .

فكم من امرأة قررت ذبح زوجها ثم عدلت ، أو قررت ذبحه ثم رأت أن تنبذ هذا العنف الدموى وتضع له السم فى الكفتة ، أو قررت أن تضع له السم فى الكفتة ثم عدلت ايمانا منها بالحكمة الصينية : اجلس على شاطيء النهر وانتظر جثة عدوك يحملها التيار .

يزيد الأمر تعقيدا ان الرجل عادة (خصوصا الزوج) لا يملك تعديلا لقرار المرأة ، فمن عجائب كوكب المرأة انها تضيق بالرجل الذى لا يوافقها على كل شيء وتضيق أكثر بالرجل الذى يوافقها على كل شيء ، والقرار الصادر عن العقل يكون له أسباب وحيثيات ، والقرار الصادر عن العاطفة قرار لا أسباب له ، ولهذا تبدل فيه المرأة وتغير وفقا لعواطفها أو وفقا للحظة السيكولوجية التى تعيشها ، بل هى فى علاقتها بالرجل تصدر أحكاما متناقضة وفقا للحالة الانفعالية .

مثلا ، إذا أحبتك فأنت كريم لا تهمك الفلوس ، وإذا انقلبت عليك فأنت مبذر سفيه ، وإذا كانت أسيرة غرامك فأنت شخصية داهمة ذات مهابة ، ونظرة عينيك أمر صارم ، وإن أصابها الضجر فأنت طاغية ومستبد وظالم وح تروح من ربنا فين ، وإذا عشقتك فأنت

خفيف الظل وأنت المرح والأنس كله ، وإذا انقلبت عليك فأنت لست خفيف الظل بل خفيفا فقط أى بك خفة وتفاهة وقلت احترام ، وفى عز الغرام أنت فى رأيها انسان متحضر ومتفتح وتقيم وزنا لرأيها وتأخذ به ، وإذا انحسر الغرام فأنت لا راى لك وأنت شرابة خرج .

ان ما قيل ـ من الكلمات المأثورة ـ عن خيانة المرأة كثير ، وبعضه من أقوال المرأة نفسها ، مثل تلك التى قالت : يكفى أن تخلصى للرجل وأنت فى حضنه ، فهو لا يستحق أكثر منذ ذلك ، والأخرى التى قالت : تهب المرأة نفسها لله عندما يستغنى الشيطان عن خدمتها .

وهذه الكلمات المأثورة وغير المأثورة عن خيانة المرأة فيها تجن كبير عليها . ان الرجل يصرخ من خيانة المرأة ليس لأن الخيانة طبع فيها ، ولكن لأن الرجل يفضل المرأة المتخصصة فى الخيانة فيجرى خلف المحظية والغانية والشخلوعة .

وفى الزمن الغابر كان الرجل يشعل سيجارة الشخلوعة فى الكباريه بورقة من فئة المائة جنيه ، ولا يزال الرجل يضع النقوط بالألوف على صدر الشخلوعة ، فالشخلوعة هى الرغبة الأولى عند الرجل من الأزل إلى الأبد ، ومن عصر هارون الرشيد ومحظياته إلى عصر فضائح وزراء الانجليز مع بغايا لندن ، وسوف يظل الرجل كذلك لأنه يجرى خلف حواسه ، فمن أكبر بلاوى الرجل أنه لا يهجر الرذائل إلا لأسباب صحية .

ولم يعرف التاريخ رجلا أغدق على امرأة فاضلة بقدر ما أغدق على امرأة لعوب ، فالغانية لها الحظوة والحظ دائما ، لأن الرجل مغفل مرتين : مرة أنه اختارها بحواسه وليس بمشاعره ، ومرة لأنه يتوقع منها الاخلاص ، فليست الخيانة عاهة مستديمة فى المرأة ، بل العاهة فى الرجل ، ومن الأزل إلى الأبد ، والرجل يمشى بين النساء بهذه العاهة دون أن يجد من يحميه من الغوانى لأن القانون لا يحمى المغفلين .

إن المرأة إذا أحبت لا تخون ، وحبها هو كلمة شرف بالاخلاص

للرجل الذى تحبه ، وهى تحترم هذه الكلمة بلا جهد أو انفعال ، فالحب الحقيقى يرتفع بها فوق الحواس والنزوات .

والمرأة لا تقدم على الخيانة إلا من حب داهم تمكن منها ، إن خيانة المرأة كجريمة القتل العمد مع سبق الاصرار ، يلزمها تفكير وتردد ، بعكس خيانة الرجل ، فهى كمخالفة المرور فى بلادنا ترتكب بمنتهى البساطة وبغير أدنى احساس بالجرم ، لكن لكل قاعدة شواذ ، كمسز تومسون مثلا التى فتحت الباب للطارق ، فوجدت رجلا غريبا يسألها بصوت مبحوح بسبب نزلة برد : هل مستر تومسون موجود ؟ فقالت له بنفس النبرة الهامسة الخفيضة : لا .. ادخل بسرعة .

والمرأة التى تلجأ إلى الخيانة انتقاما من الرجل الخائن تفتقر إلى التفكير السليم ، فالمجتمع للأسف لم يفرض على الرجل نفس المسئولية التى فرضها على المرأة فى هذا الصدد ، ولهذا يزهو الرجل بالخيانة إلى حد الكذب واختراع القصص الخيالية ، ويتصور الرجال أنهم عندما يخونون يكونون أشبه بالطائرات التى تخرج من قواعدها للقيام بغارة جوية ثم تعود إلى قواعدها سالمة فى بيت الزوجة ، لكن يبقى سؤال هل الرجل الخائن يتحمل وحده مسئولية خيانته ؟

ان هناك تضامنا بين النساء جميعا ضد الرجال فى ميثاق شرف غير مكتوب ، غير أن هذا الميثاق لا يتضمن منع امرأة من خطف رجل يخص امرأة أخرى .

ان على الرجال أن يطالبوا بميثاق شرف تعقده النساء بألا يتعرض رجل مملوك لامرأة لأى إغواء من جانب امرأة أخرى ، وألا تغرر به تلك الأخرى وتستغل هبله التاريخى للايقاع به .

فالمرأة هى التى تكيف العلاقة بينها وبين الرجل ، وهى التى تضىء له النور الأخضر أو الأحمر ، وهى التى تستطيع أن تجعل من القديس فاجرا مثلما فعلت تاييس ، أو تحيل أشد الذئاب خطرا إلى حمل لا خطر منه إذا قالت لا ، فإن أردتن اخلاص كل رجل لامرأته فاتفقن

فيما بينكن على تحريم خطف الرجال من بعضكن البعض ، إذ أننا ضعاف وبلهاء أمام الاغراء والجمال ، وقد نقاوم ما وسعتنا المقاومة ، لكن الرجل منا غالبا ما يصاب ـ فى عز مقاومته ـ بالتخلف العقلى .

○ ○ ○

هناك فرق كبير بين اخلاص المرأة لمن تحب وبين حبها للخداع ، فالخداع جزء من تكوين المرأة ، يقول تعالى « ان ربى بكيدهن عليم » صدق الله العظيم .

والكيد هو المكر والاحتيال وهو ضرورة للمرأة لاجتذاب الرجل وتكوين الأسرة ، إذ لايمكن طبعا ان يصل الرجل إلى درجة قبول الزواج إلا بعد الضحك عليه ، وإذا كان الصياد يحتال على أنياب الأسد بالشراك الخداعية ، فالكيد يصبح ضرورة فى مواجهة عضلات الرجل ، ثم ان المرأة مهما تفانت فى حب رجل فإنها تجنح دائما إلى التمرد على سلطانه وعصيان أوامره فى أمور تافهة وصغيرة من خلف ظهره وتشعر من ذلك بمتعة كبرى كتلك السيدة التى اقبلت على قزقزة اللب من خلف ظهر زوجها دون سابق هواية لذلك ، فقد حرم عليها أكل اللب ، وعندما جعلها تقسم فى البداية انها لن تقزقز ذلك اللب الأسمر برت بقسمها وأصبحت تقزقز اللب الأبيض .

وعاطفة المرأة لا تتغير بسهولة لأنها مستمدة من أقوى العواطف أصالة وجذورا ، الأمومة ، وإذا تغيرت عاطفتها فلأسباب وجيهة يدان معها الرجل ، لكن المرأة بحكم طبيعتها قد يعتريها ضجر عاطفى بين حين وآخر بسبب رتابة العلاقة أو الدورة النفسية بين الاكتئاب والانبساط ، وهنا يغير الحب جلده ، ويتجدد باشتعال نار الخلاف والحب كدة .. خصام ورضا .

ملحوظة : الفرق الوحيد بين ضجر الحبيبة وضجر الزوجة هو كيس بلاستيك .

ولا توجد امرأة أكثر اخلاصا من الرجل ، ولا رجل أكثر اخلاصا

من المرأة ، بل يوجد رجل يعتقد أنه أكثر اخلاصا منها ، وتوجد امرأة متأكدة انه يلعب بديله ، فالنساء ـ فى شبه اجماع ـ يعتقدن أن الرجل المخلص لا يوجد إلا فى الأساطير اليونانية ، والمرأة ضعيفة الثقة بالرجل لأنها تؤمن بأن جهاز المناعة العاطفية عنده عطلان ولا يعمل اطلاقا ، وبناء عليه فهو مصاب بعاهدة مستديمة فى إخلاصه ، وقد انتهت المرأة إلى هذه الحقيقة لأنها تعرف كيف أوقعت به فى حبائلها وكيف يمكن لامرأة أخرى أن توقع به بنفس السهولة ، فالرجل قد يكون عبقرى الذكاء لكنه عادة أمام المرأة الجميلة يصبح متخلفا عقليا ، فإن مفاتن المرأة تنشط عند الرجل تلك الغدة التى تفرز عبطا

وتتفاوت درجات الإخلاص عند الرجل ، ويمكن تقسيم الرجال غير المخلصين بنفس الطريقة التى قسم بها لا مبروزو المجرمين ، رجل خائن بالطبيعة ، ورجل خائن بالعادة ، ورجل خائن بالصدفة ، ولعل اخطرهم هو الخائن بالطبيعة ، ورغم ذلك فهو الدون جوان الذى يخطى عادة بإقبال النساء .

وهكذا يختلف تفسير الاخلاص عند الرجل والمرأة ، فالمرأة مثلا تريد دائما أن تمتحن سلاح جمالها وأنوثتها ، إنها قد تكون غارقة فى الحب لكنها ترحب دائما بكلمة اعجاب من رجل آخر أو همسة غزل من ذئب ، وهى لا تعتبر ابتسامتها لكلمة الاعجاب أو همسة الذئب ماسة باخلاصها لحبيب القلب ، فواجب كل رجل أن يحيى جمالها ، وواجب كل ذئب أن يسعدها بابتسامة رضا عن نفسها ، وفى هذا قال حكيم اسبرطة : تصرخ المرأة إذا رات فأرا وتبتسم إذا رات ذئبا .

وأجمل ما فى المرأة كذبها ، والمرأة نفسها أكذوبة جميلة يشترك فى صياغتها مصمم الأزياء والكوافير وصانع أقلام الروج والريميل والحواجب .. والكورسيه ..

والمرأة أكذوبة جميلة لأنها حلم الرجل ووهمه الكبير وأحلى رؤاه ،

وكم من رجل أغمض عينيه على هذا الحلم الدافىء ثم صحا على الحقيقة ، وكم من رجل أطبق عينيه على الحلم الجميل ولم يستيقظ بسبب وجوده داخل الأكياس البلاستيك .

وليس معنى هذا أن الرجل لا يكذب ، فالرجل يكذب على المرأة عندما يكون لديه رغبة فى الكذب ، بينما المرأة تكذب على الرجل عندما يكون لديها رغبة فى الكلام .

غير أن أكاذيب المرأة حلوة ، وباهرة ، ومقنعة ولا تكتشف إلا بعد فوات الأوان ، لهذا قيل أن المرأة تستغرق عشرين سنة لتحول طفلها الساذج إلى رجل رشيد ثم تأتى امرأة أخرى فتستغرق عشرين دقيقة ليتحول الرجل الرشيد إلى طفل ساذج .

والرجل يسمى كذب المرأة حبا له عندما تكذب على أهلها لكى تلتقى به أو عندما تكذب على الآخرين من أجله ، أما إذا لم يستفد الرجل من أكاذيبها فهنا تصبح المرأة كذابة وشريرة ومخادعة تستحق اللعنات .

وفى العلاقة بين المرأة والرجل يعتبر الكذب نعمة ، فهو فى أيام الحب والغرام كذب الأحلام والأوهام الجميلة ، وهو فى الزواج كذب الضرورة لتسيير المركب ، فلو أنها قالت آراءها بصراحة لأنهار البيت فوق رأسها ، ولو أفصح هو عن آرائه لحررت له محضر سب علنى .

والخلاصة ان الرجل والمرأة يتبادلان الأكاذيب بنفس القدر ، فبعد قصة غرام تسبق الخطوبة وبعد خطوبة تسبق الزواج ، وبعد زواج تحت سقف واحد ، يتبين للاثنين ان كل طرف كان يظن أنه يعرف الطرف الآخر جيدا ثم يتضح لكل منهما انه أمام مخلوق جديد لم يره أيام الغرام والخطبة المغلفة بالأكاذيب ، ومن هنا تبدأ أخبار الاثنين فى الانتقال إلى صفحة الحوادث .

○ ○ ○

وانجذاب المرأة إلى الرجل أو ارتباطها به لا يرجع إلى الاعتبارات العاطفية وحدها ، فالاقتصاد ـ كما فى السياسة ـ يلعب دورا رئيسيا فى

الحب واختيار الزوج ، لأن المرأة تقودها عواطفها وحساباتها الدقيقة بعكس الرجل الذى ينقاد وراء نوازعه الحسية ، ولا تقل اننا فى عصر مادى ، فكل العصور كذلك ، ومنذ مئات السنين أبرزت جدتى دور الاقتصاد فى الحب فقالت ضمن امثلة عديدة سبق ذكرها : بفلوسك بنت السلطان عروسك ، واذا قيل لستى ان ست الحسن والجمال أحبت الشاطر حسن وتركت ابن السلطان رفعت ستى حاجبا وأنزلت الحاجب الآخر ومصمصت بشفتيها قائلة : كل شىء جايز حتى حبل العجايز !

○ ○ ○

والغيرة عند الرجل مبعثها الحب أو الاستئثار بأنثاه ، بينما الغيرة عند المرأة يغلب عليها الدافع الاقتصادى ، فالمرأة عديمة الثقة بالرجل وأن تظاهرت بغير ذلك ، لأنها تعرف من تجربتها معه أن أى امرأة أخرى يمكن أن تضحك عليك مثلما ضحكت هى عليه من قبل ، فهى تشعر بالخطر أو التهديد الاقتصادى إذا نافستها امرأة فى حب رجلها ، لأن المرأة بناءة بفطرتها ، هى التى تبنى العش وتربى الأولاد ، وهى صاحبة الفضل فى اختراع علم الاقتصاد ، فالاقتصاد فى اللغة اليونانية معناه فن إدارة البيت والرجل يعجز عن إدارة البيت ولو كان يحمل عشرين دكتوراه فى الاقتصاد ، فهو مسرف بطبيعته ومتهرب دائما من رقابتها على زيادة دخله ، لكنها دائما تعرف كيف تناوره لتحصل على ما تريد ، فأنت تدرك أن المرأة فى حاجة إلى المال عندما تحتمل غروره وتسمح له بالكلام عن نفسه وعن ذكائه ، بل انها تبدو له وكأنها مزهوة بعبقريته ، كما تموت من الضحك على نكتة قديمة وسخيفة قالها لها كثيرا من قبل .

وهناك فروق هامة فى المواهب الاقتصادية بين المرأة والرجل .. فالمرأة لا تسرف أبدا إذا كانت الفلوس من ناتج عملها ، لكنها لا تمتنع

أبدا عن مساعدة الرجل ـ بمنتهى الشهامة ـ فى بعثرة فلوسه . وإذا تأملت ثياب المرأة فأنت تجدها بلا جيوب فى الفستان أو التايير أو البنطلون الحريمى ، وهى لا تحمل مالا لأنها لا تحب الانفاق من فلوسها ما دام يسير بجوارها رجل يلبس بدلة هى عنوان على اسرافه وتبذيره ، إذ أن فيها عشرة جيوب ، اثنين فى جانبى البنطلون واثنين خلفه ، واثنين على جانب السترة وثلاثة بداخلها ، ثم جيبا علويا ، وعندما خبر الرجل الزواج وتمرس به ، أصبح به فى العصر الحديث جيب سرى حادى عشر ، وهو لا يدرى أن هذا الجيب السرى هو أول جيب يتم تفتيشه ليلا .

لقد عرف الانسان من قديم الزمن أن الذهب يختبر بالنار ، وأن المرأة تختبر بالذهب ، فلا يذكر التاريخ امرأة رسبت فى هذا الاختبار ، ولم تعرف ـ من أول نظرة ـ الذهب الفالصو من الذهب عيار أربعة وعشرين ـ انها تمتلك عينا اقتصادية فاحصة ، وهذا فارق جوهرى بينها وبين الرجل ، يضاف إلى ذلك أن المرأة خبيرة بكل المذاهب الاقتصادية .. فهى تؤمن بالاقتصاد الرأسمالى الحر وتقتنى لنفسها الجواهر ، وبالنسبة للرجل تؤمن بالاقتصاد الموجه والتأميم والمصادرة لأهداف استراتيجية : ألا يكون لديه أية فرصة مادية تساعده على أن يلعب بذيله ، وعندما تشتعل المرأة غيرة من امرأة أخرى ، فهو احساس بالتحفز للدفاع الاقتصادى عن كيان البيت ، ذلك أن المرأة تعرف جيدا ان الايقاع بالرجل عملية سهلة لا تحتاج إلا إلى نظرة عين وبعض الأسلحة المعاونة لسلاح الأنوثة كسلاح الحرب الكيماوية التى تستخدم فيها المساحيق والعطور ، والمرأة تعرف أن سهولة الايقاع بالرجل هو سلاح ذو حدين ، وأن امرأة أخرى قد تستعمل وسائل أشد فتكا وتأثيرا ، ولذلك لا تثق المرأة فى الرجل .

وقد يعتقد البعض أن المرأة عاطفية خيالية وحالمة ولكن فى الواقع أن المرأة بداخلها شاعر وتاجر ، الشاعر يحب يحلم ، والتاجر يحسب

المكسب والخسارة .

وهى بذلك تمتاز عن الرجل - فى مواجهة الحب - بشخصية متوازنة ، فلا الشاعر بداخلها يسمح بعقد صفقة للتاجر وحده ، ولا التاجر يسمح للشاعر بالحب للحب وحده ، وهى قاعدة لها استثناء ككل قاعدة . وأعرف شاعرا عاش قصة حب بدأتها هى بعواطف متدفقة فهام بها غراما وكتب فيها أحلى الشعر ، ثم تزوجت فجأة من رجل آخر تفوق على الشاعر فيما كان يكتبه ، فقد كان يكتب شيكات .

ولكن الشاعر داخل المرأة يرفض تماما الاعتراف بتوأمه التاجر ، فهى تدفع عن نفسها تهمة أنها مادية وعملية ، وأنها لا تفهم فى الاقتصاد ولا الفلوس رغم أن المشاكل المالية تمثل الجانب الأكبر من الخلافات الزوجية ، ورغم أن حركات التحرر النسائى استهدفت فى المقام الأول استقلال المرأة اقتصاديا والتخلص من تبعية الرجل .

والشىء المدهش هو ما تدعيه كل امرأة من أنها لا تقيم وزنا للفلوس بدليل أنها أكثر سخاء من الرجل حتى انه يتهمها دائما بالاسراف والتبذير ، والحقيقة التى لا تقبل الجدال أن المرأة سخية فعلا ما دامت تنفق من جيب الرجل .

○ ○ ○

أما جيب الرجل فهو عاصمة الرجل ، وهو أهم موقع استراتيجى تسعى المرأة للاستيلاء عليه ، وكما يقال فى البلاغات الحربية : وتقوم قواتنا بتطهير الجيوب من فلول العدو ، يقال أيضا : وتقوم الزوجة بتطهير الجيوب من فلوس العدو .. الزوج .

وتفتيش جيب الرجل عادة زوجية قديمة قدم اختراع الجيب ، ولم تفلح محاولة واحدة لوقف هذا التفتيش . فالزوجة مضطرة إلى التفتيش لأن جيب الرجل هو النافذة التى تحاول أن تطل منها على مسلكه الاقتصادى . فالمعروف أن الزوج - فى ظل الحكومة الزوجية - مؤمم ، وحيازته لأى مال خاص غير معلن عنه تشكل جريمة ضد المبدأ

الدستورى النسائى الشهير : قصقصى طيرك لا يلوف بغيرك .

وقد يؤدى فحص المنديل فى جيب الرجل إلى معلومة جديدة هى أنه يكره اللون الأحمر ويسعى دائما إلى مسحه وازالته بذلك المنديل .

وقد يكشف جيب الرجل ـ من وجهة نظرها ـ عن هواياته خارج البيت ، إذ قد تدل أوراق متناثرة فى جيوبه على أنه من هواة جمع أرقام التليفونات وينوى تأليف دليل تليفون حريمى ، والمؤسف أن الرجل لا يصبح على مستوى المسئولية فى ممارسة هذه الهواية عندما يضبط متلبسا برقم تليفون فى جيبه ، فما أن تسأله هى : ما هذا الرقم ؟ حتى يرتبك ثم يزعم أنه رقم رخصة السلاح أو رخصة البناء أو رخصة السيارة أو أى رخصة فتمد يدها إلى قرص التليفون وتدير رقم الرخصة ، وما أن يرد عليها صوت ناعم حتى تغرق الزوجة فى الدهشة من الرخصة التى تتكلم .

○ ○ ○

والحديث مع المرأة يحتاج إلى لغة دبلوماسية خاصة .. مثلا إذا عادت من عند الكوافير بتسريحة رأس المجنونة التى لا تعجبه والتى يقوم فيها الحلاق بنكش شعرها ، فإن عليه أن يقول لها : أنت تزدادين جمالا مع كل تسريحة موضة ، ولكنى أفضل التسريحة التى رأيتك فيها أول مرة فى أول لقاء بيننا .

وفى اللغة الدبلوماسية مع المرأة يستحسن استعمال الكلمات الهلامية مثل : محتمل ويجوز وربما ، فإذا رآها مثلا تقف فوق الميزان ولمح من قسماتها أن وزنها قد زاد ثم سألته : هل ترانى (سمنانة) ؟ وجب عليه فى هذه الحالة أن يقول : محتمل لكنى لا ألاحظ ذلك . أو يقول : ربما يكون الميزان غير مضبوط ، هذا يسعدها كثيرا ، فهى تعرف أن الميزان مضبوط ، وان وزنها قد زاد لكنها ترتاح دائما للخداع الجميل فهى تريد أن يعاملها الرجل بالمثل إذ أن أسلوب المرأة الأنثوى فى معاملة الرجل يعد من أرقى وأذكى الأساليب الدبلوماسية . وكم من

امرأة حولت رجلا إلى حمار وتركته يعتقد انه أسد . واللغة الدبلوماسية هى لغة الحب حيث يحرص كل من الطرفين على أن يعبر عن أفضل سجاياه وخصاله ، والكلمة الحلوة جزء من الطباع الطيبة التى يقدم نفسه من خلالها .

وتختفى اللغة الدبلوماسية بين الطرفين عندما يصل الحوار إلى الجيران بدون ميكروفون بعد الزواج ، لكن المرأة مهما تصل بها الضغائن الزوجية فإن لديها قدرة الدبلوماسى الذى لا يفصح بسهولة عن مشاعره فهى لا تنادى زوجها باسم الدلع السرى الذى أطلقته عليه بين صديقاتها ، مثل الكبة والهباب لكنها قادرة على أن تحتفظ بالمظاهر ، كما ان لها موهبة الدبلوماسى الناجح الذى يتمتع بالقدرة على الصبر والمناورة فى سبيل الوصول إلى الهدف وهى صفات يفتقدها الرجل الذى يستند دائما إلى منطق القوة .

ولقد سمعت زوجة عاقلة تحكى كيف تواجه زوجها فى حالة الزمجرة والدمدمة وكيف تتودد إليه عندما يكون مكتئبا أو متوترا حتى يصبح سلس القياد ، واتضح ان هذه الزوجة تستقى أسلوب معاملتها من كتاب علمى نفسانى اسمه كيف تعاملين كلبك .

وفهم لغة المرأة مهم وفهم حاسة الأنثى أهم ، فالنساء لهن لغة دبلوماسية رفيعة المستوى كأن تقول امرأة لأخرى بقصد سم بدنها : فستانك يجنن .. عمتى كانت عاملة نفس الموديل من خمس سنين ، وقد يفاجأ الشاب بحبيبته تهجره لتتزوج بآخر فيتهمها بالخيانة والغدر ويغيب عن ادراكه ان الفتاة قد أحبته فعلا بحاسة الأنثى تحب أكثر ان تكون أما وربة بيت ، وهى لا تفاتح فتاها صراحة فى ذلك ، بل تقول له مثلا بلغة الدبلوماسية النسائية : والدى انسان لطيف جدا لو جلست معه ، فلا يفهم ان هذه دعوة لمقابلة أبيها ويرد قائلا : أنا سمعت فعلا أن والدك لطيف جدا ، وحاسة الأنثى هى التى تجعل مواقف المرأة متناقضة ، فالزوجة مثلا تبدو مهمومة إذا عاد زوجها إلى

البيت مكتئبا ، وهى تصبح أشد نكدا إذا عاد سعيدا .

فحاسة الأنثى حاسة بناءة تمثل رادار يشعرها بالخطر من الأخريات أو الخطر على الأسرة عموما ، وهى حاسة مشتركة بين جميع المخلوقات الاناث ، فالأنثى هى التى تختار المكان المناسب لوضع البيض أو الولادة وهى تراعى بحاستها أن يكون المكان قريبا من موارد الغذاء وبعيدا عن الأعداء وواقيا من تقلبات الطبيعة الحادة ، بينما الذكر يكتفى فى هذه الأثناء بالفرجة أو المناكفة فيها دون أن يدرك سبب حيرتها وبحثها عن المكان المناسب ، ومن هنا تتجلى حكمة الأنثى أحيانا فى الخلاص من الذكر فى نفس ليلة الزفاف ، وفى بعض الطيور يصبح موقف الأنثى غير مفهوم عندما تفضل العريس الذى أتت الطيور على معظم ريشه فى القتال الذى قام بين الذكور من أجلها ، لكنه اختيار حكيم من الأنثى لأنه يصبح عاجزا عن الطيران فلا يطارد الأخريات ويظل إلى جوارها يساعد فى بناء العش ، وهى نفس نظرية قصقصة ريش الرجل الشهيرة بقصقصى طيرك لا يلوف بغيرك ، والريش فى الرجل هو محفظته ، ولذلك يقال هذا رجل مريش وهذا غير مريش .

وقد ينجم عدم الفهم لأن المرأة أحيانا تصاب بالحول فى الألفاظ فتقول نعم وهى تقصد لا والعكس صحيح ، ومن هنا كان على الرجل أن يتجنب الأسئلة التى تؤدى إلى الردود الحولا فلا يسأل الشاب فتاته مثلا : هل عرفت أحدا قبلى فتقول لا ، أو يسأل الزوج زوجته هل صحيح أنك اشتريت أكياس بلاستيك ؟ فتقول أكياس للزبالة وحياتك .

○ ○ ○

والمرأة لا يعنيها وقت الرجل أو الوقت عموما ، والرجل يلبس الساعة ليعرف الوقت . والمرأة تلبس الساعة لتعرف الأخريات أنها بلاتين . والرجل لا يتأخر أبدا عن موعد غرام إلا إذا دهسه ترام ، ولم يثبت أبدا أن امرأة واحدة دهسها ترام ، ومع ذلك فكلهن يتأخرن عن المواعيد ، غرامية أو غير غرامية ، فالمرأة كالنعامة تتجاهل الاحساس

بالزمن ظنا منها انه قد يتجاهلها ، ان المرأة التى تبلغ الخمسين من العمر تكون قد أمضت ست سنوات من عمرها أمام المرآة وست سنوات تحت السشوار وسبع سنوات فى حديث تليفونى ، وثلاث سنوات فى الحديث على السلم بعد انتهاء الزيارة ، وخمس سنوات فى تقليب البضاعة بالمحلات دون أن تشترى شيئا . ولأنها تتجاهل الزمن ، فان المرأة تغير تسريحتها وتغير لون شعرها وتغير مكياجها ولكنها لا تغير أبدا سنها .

وقد فرضت هذه الحقيقة نفسها على قواعد الاتيكيت فى المجتمع فأصبحت سن المرأة من المسائل الشائكة التى لا يجوز الخوض فيها ، فإذا ما قيل مثلا لرجل أنك مولود مع فلانة فى سنة واحدة فما هو عمرك ؟ وجب عليه أن يقول : كنت أعرف سنها ونحن فى العشرين .. أما الآن فلا أعرف ، وإذا سئل رجل كم يبلغ عمر انسان ولد سنة ١٩٤٦ ؟ كان عليه أن يستفسر : هل هو رجل أم امرأة .

ويحكى ان رجلا قال لصديقه : فى الأسبوع الماضى كنت مع زوجتى فى البحر الأحمر وفى الساعة السابعة دق جرس التليفون بدعوة مفاجئة من بعض الأصدقاء للخروج فى نزهة بحرية ، وفى الثامنة تركنا الفندق إلى اللنش .. كانت الرحلة ممتعة لولا ان اللنش أصيب بعطب فى عرض البحر فناديت أحد الدرافيل من حولنا ورجوته أن يحمل زوجتى على ظهره إلى الشاطىء فقبل مشكورا وظللت أنا أسبح إلى جواره ، وكنت طوال الطريق أخلص قدمى من فك سمكة قرش تتبعنى حتى وصلنا إلى الشاطىء ، وسكت الرجل وقال لصديقه : لماذا تنظر إلى هكذا ؟ هل ترى فى قصتى شيئا غير معقول ؟ فرد عليه الصديق : كلها معقولة ما عدا شيئا واحدا لا يمكن تصديقه وهو أن تتلقى تليفون الدعوة فى الساعة السابعة وتكون زوجتك جاهزة ولابسة وخارجة فى الثامنة .. مستحيل طبعا .

فيما عدا النواحى البيولوجية المعروفة . فإن المرأة لا تختلف عن

الرجل من الناحية التشريحية .. ان عين الرجل وأنفه وفمه مثلا تعتبر بروفات أولية لأشياء أجمل وأرق وأدق هى عين المرأة وأنفها وفمها .

رقبة الرجل مثلا : كلها شعر ومنظرها مزعج ، بينما رقبة المرأة لها وظيفة جمالية ووظيفة اجتماعية أيضا ، فهى مصدر رزق للجواهرجية بينما رقبة الرجل لا تعتبر مصدر رزق إلا فى حالة نادرة واحدة عندما يكسب منها عشماوى عشرة جنيهات كأجر لشنق الرجل وقطع رقبته . كذلك رقبة الرجل تتوسطها تفاحة آدم ، ترتفع وتنخفض عند البلع ، وذلك رمز الفاكهة المحرمة التى لم يكن يريدها آدم ، ولأنه لم يكن يريدها ، فلا هى طلعت ولا هى نزلت ، وانما وقفت فى زوره إلى أبد الآبدين .

ويمتد الاختلاف فى الوظائف الطبيعية إلى الأذن أيضا . فالرجل يستخدم الأذن للسمع وتستخدمها المرأة لتعلق الحلقان ، كذلك تختلف المنافذ الداخلية فى أذن المرأة عن أذن الرجل ، فالسر الذى يقال للرجل يدخل إلى أذنه ويخرج من الأذن الأخرى ، بينما السر يدخل أذن المرأة ويخرج فورا من فمها .

وصحيح أن التشريح لا يختلف ، لكن تبقى دائما الوظائف المتعددة لعين المرأة وحواجبها وأذنها وفمها وشعرها ويدها .. حتى الأظافر ، فكل هذه الأعضاء تفتح ملايين البيوت للعاملين فى مستحضرات التجميل ، كذلك نلاحظ اختلافا واضحا فى الوظائف الطبيعية . فالرجل يستخدم عينه أساسا للبصبصة وأحيانا للإبصار ، بينما المرأة تستخدم العين استخدامات متعددة تحدث عنها الشعراء والرومانسيون وعلماء الرمشيولوجى ، غير أن أهم وظيفة تبقى للعين النسائية هى أنها أقوى وسيلة لتحقيق كل ما تريده المرأة من الرجل عن طريق ضخ الدموع فى العين .

والمرأة تستثمر دموعها استثمارا مفيدا ونافعا ، فدموع المرأة فى مواجهة الرجل هى استغلال لفروسيته وشهامته ، ومهما حاولت المرأة

المساواة بالرجل فهى لن تصل إلى رجولته لأن الرجولة نبل وشهامة ، ولهذا السبب المرأة ليست رجلا .

وتعتبر جوزيفين بوهارنيه ـ ذات الألف عاشق ـ أبرع من استغلت دموع رجل ، وكان الرجل هو العظيم نابليون بونابرت ، حتى عندما ضبطها تخونه مع أحد ضباطه ، أغلق باب غرفته عليه منهارا ثم سمعها تبكى فأسرع إليها يحتويها بين أحضانه ، فمن آفة الرجل أن الفروسية عنده تصبح أحيانا حمورية ، ودموع المرأة لا تعمل وفق قواعد ، فدموعها تسقط بغزارة عندما تقطع بصلة ، ولكن دمعة واحدة لا تسقط وهى تقطعه لتعبئه فى الكيس البلاستيك .

وقد شبهوا دموع المرأة بدموع التماسيح ، لكن التماسيح لا تخدع أحدا ، فالتمساح يبكى بدموع غزيرة عقب التهام فريسته فيبدو كما لو كان حزينا على تلك الفريسة ، والحقيقة أن التمساح لا يبكى ، لكنه يتخلص من زيادة الملوحة التى يحتويها الطعام والماء عن طريق قناة افرازية للغدة الملحية فى عين التمساح .

فالتمساح برىء من دموع المرأة .

كذلك لا تعطى دموع المرأة مؤشرا عن سبب بكائها ، فهى مثلا تبكى عندما يموت زوجها فيتعذر عليك أن تعرف عندئذ سبب بكائها لأن المرأة تستقبل الفرحة الشديدة بالبكاء أيضا .

التعامل مع الدموع لا يفرق بين الرجل والمرأة ، فالرجل ـ وكذلك المرأة ـ يبدأ البكاء بغير دموع وهو وليد ، ثم تعمل الغدد الدمعية بعد شهور من مولده ثم تظهر فوائد هذه الغدد فى المستقبل عند الجنسين فتصبح الدموع هى اللحن المميز الذى يسبق برنامج ما تطلبه المرأة من الرجل بينما تلعب الدموع عند الرجل دورا هاما للتعبير عن القهر داخل النظام الشمولى المسمى بالزواج ، ولا تخجل من دموعك فى الحب ، فالفرق كبير بين أن تدمع وأنت تعبر لها عن أحاسيسك وبين أن تنوح كواحد من شحاتين الغرام طلبا للوصال .

فى الأولى تعبير عن صدقك ، وفى الثانية منتهى الهوان ، ولا تصدق ان الدمع يحط من شأن الرجولة ، فهو تعبير انسانى بالدرجة الأولى ، وفى أساطير الاغريق نرى أبطالا فى قمم القوة يبكون ، ثم إذا كانت الدموع تنقص من الرجولة فما هو البديل الذى يلجأ إليه الأزواج ؟

وكل عاطفة قوية ذات أعماق تؤكد صدقها وأصالتها بالدمع كالتفانى فى حب الله ، ويقول تعالى : « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » ويقول : « ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » ـ صدق الله العظيم .

وفى المجال الغرامى بين الجنسين ليس صحيحا أن الدموع تصاحب عاطفة الرجل الشرقى فقط ، فالدموع موجودة فى أشعار شكسبير وبايرون وتنيسون وغيرهم ، وتعتبر الدموع سلاحا متبادلا بين العشاق يستريح كل طرف لإصابة الآخر به ، فيقول عاشق فى احدى الأغانى : خلى دموعه تسيل ع الخد ده مفيش حد أحسن من حد ، وإذا كان العشاق يتمنون البكاء لمن يحبون ، فماذا تركوا لحرب المتزوجين ؟؟

○ ○ ○

وخدعوك فقالوا : ان المرأة تتسم بالجنوح العاطفى وهذا فى رأيى أكذوبة كبرى شائعة ، ففيما عدا الأمومة فإن المرأة تملك عاطفتها ولا تملكها عاطفتها ، مثلا ، أخطر لعبة بين الدول ـ الجاسوسية ـ تعتمد على المرأة ، وهى لعبة تتطلب منتهى الانضباط العاطفى ، وقد سجل تاريخ هذه اللعبة حالات لا تحصى عن ضحك الجاسوسات على الرجال الذين هم غير عاطفيين وعاقلين وراسيين ، والتجرد العاطفى الذى لازم ريا وسكينة فى الفتك بالضحايا هو نفسه الذى لازم الملكة ايزابيلا الأولى صاحبة أبشع المذابح فى تاريخ محاكم التفتيش الأسبانية ، وإذا كانت ست الملك قد أغرت القائد الفاطمى بالحب والوصال حتى حقق رغبتها فى قتل شقيقها الحاكم بأمر الله ، ثم قتلت هى هذا القائد بعد مقتل أخيها ، فمعنى ذلك أن العاطفة عند المرأة مثل

قلم الروج ، يستعمل فى وقت اللزوم ثم يعود لشنطة يدها لوقت الحاجة . وما حدث فى قصة ست الملك حدث فى قصة سميراميس ، وليس أدل على قوة الانضباط العاطفى عند المرأة من موقف شجرة الدر الذى يثير الدهشة والابهار حقا ، فقد أخفت خبر مقتل زوجها نجم الدين فى المعارك الصليبية حتى لا تؤثر فى الروح المعنوية وبدت طبيعية جدا وهى تحكم وتوقع باسمه بعد مقتله ، وهذا يؤكد ما أثبتته الدراسات الحديثة من ان الأرملة تواجه الحياة فى ثبات وثقة وحسن تدبير لتربية أولادها ، بينما الأرمل (يلوص) وتضطرب حياته بعد فقد الزوجة ، فالحقائق العلمية تقول : ان المرأة أقوى أعصابا وأشد احتمالا ، قارنوا بين (عطيل) فى مسرحية شكسبير يكاد يبكى وهو يهم بقتل حبيبته ويدعوها قائلا بلا شعور : فليرحمك الله ، وبين المرأة تبتسم فى هدوء ورقة وهى تطعمه بيدها الكفتة المسمومة .

وتفوق المرأة وحصولها على المراكز الأولى فى الامتحانات العامة لا ينهض دليلا على ارتفاع ذكائها وانخفاض ذكاء الرجل ، فإن مناهج التعليم الفاسدة عندنا تعطى الفرصة لأى بغبغان كى ينجح ويتفوق دون ملكة ابتكار أو ابداع ، أما فى الحياة العامة فإن ذكاء الرجل ينكمش أمام المرأة ، ويتلاشى الذكاء تماما عند بعض الرجال خصوصا أمام الشقراوات .

ان المرأة الفاتنة تلغى ذكاء الرجل ، فمن اللحظ الفتان والفم الجميل والخد الأسيل تخرج موجات تشويش قوية وداهمة تشل مراكز الذكاء فى مخ الرجل ليتحول إلى أهبل ، ولا يبقى من الرجل إلا عيون تحملق فى الجمال . فالرجل يحب بعينه ، وبشارة الخورى يقول : وان عشقنا فعذرنا ان فى وجهنا نظر ، وبفضل إلغاء ذكاء الرجل وبفضل عينه وحدها تحولت جارية السلطان إلى الملكة شجرة الدر ، وتحولت ربيبة حوارى باريس إلى محظية تحكم فرنسا اسمها مدام بومبادور . فالمرأة تمتلك ما يتفوق على ذكاء الرجل بمراحل وهو دهاء الأنثى .

وكل النساء متساويات ـ أمام الرجل ـ فى القدرة على هذا الدهاء .

وقد أدركت المرأة منذ القدم أن الرجل (بتاع مناظر) فاهتمت بنقوش الزينة على وجهها من الأحمر إلى الكحلى إلى كل ألوان الطيف وهى تعرف تماما أن الرجل لا يقع فى حب امرأة مفتونا بعقلها ، إذ أنه بغرور السيادة يكره أن تناقشه بذكاء ، ويرفض أن تراجعه فى قرار ويثور إذا خالفت له أمرا ، فهو يفضل فى ذلك أن يكون مخدوعا ، حتى انه بعد زواجه يصبح داخل البيت كالمواطن داخل البلاد الديكتاتورية ، لا يعلم من مجريات الأمور إلا بقدر ما تريده له الدولة أن يعلمه .

والرجال عموما ينقسمون إلى قسمين ، قسم يعجب بالمرأة الذكية التى تناقش وتجادل ، والقسم الثانى الأغلبية ، والشىء الغريب حقا انه لا توجد امرأة ترضى برجل قليل الذكاء ، لكنها تعجب وتنبهر بالرجل الذكي دون خوف من ذكائه ، فهى على ثقة من انها تملك إبطال مفعول هذا الذكاء وقتما شاءت .. بحركة رمش عين .

ويزعمون انهم أذكياء .

ان المرأة الجميلة ليست فى حاجة إلى عنف أو مناقشات بيزنطية تخوضها مع الرجل باسم حقوق المرأة .. الجمال فى حد ذاته أقوى منطق مقنع يتحدى كل منطق ، والمرأة الجميلة تحصل على كل ما تريده من تنازلات بابتسامة ونظرة عين ، بعكس الزعيمة النسائية التى تلجأ إلى النقاش والصراخ والسفسطة لأنها غالبا وحشة ، فهناك شبه اجماع من علماء النفس على أن زعيمات التحرر النسائيى يعانين عقدة الرجل ، فكل منهن كانت تتمنى ان تولد رجلا ، لأنها ترى فى الأنوثة مهانة ، وإذا قررت الزواج اختارت رجلا ضعيفا لتصبح هى زوجة بشنب .

وبسبب هذه العقدة تعمل زعيمات التحرر فى العالم على افساد العلاقة بين الجميلات وبين الرجل ، فأفسدن أنوثة المرأة بالاسترجال والعنف ، وساد العالم نموذج الفتاة التى تلبس البنطلون الجينز

والحذاء الكاوتش المعفن ، وفى السهرة قميصا ببابيون على بنطلون واتسمت معاملاتها مع الرجل بالتحدى حتى أن صيحة نسائية جديدة بدأت ترتفع وتحمل شعار (فيف لاديفيرانس) أى يحيا عدم المساواة بين الجنسين ، حيث يعامل الرجل المرأة كملكة وأميرة وهانم ودلوعة ، وحيث الفرصة أكبر أمام المرأة للضحك عليه ، لكن زعيمات التحرر يقاومن هذا الشعار ويؤكدن ان الجنس البشرى ينقسم إلى قسمين : النساء .. والأشرار !

ولأن الرجال أشرار .. فزعيمات التحرر والوحاشة يحذرن الجميلات من الرجال بقولهن : إذا غازلت رجلا خاف من جرأتك ، وإذا لم تعيريه اهتماما انصرف عنك ، وإذا ارتديت ثيابا تكشف عن جمالك ، تردد فى الخروج معك ، وإذا ارتديت ثيابا محتشمة ظل طول الوقت يحملق فى صاحبات الفساتين العارية ، وإذا كنت من النوع المحافظ شك فى عقلك ، وإذا كنت متحررة شك فى عواطفك ، وإذا كنت جادة اشتاق إلى امرأة لعوب ، وإذا كنت لعوبا اشتعل غيرة ، وإذا رفضت الزواج منه هدد بالانتحار ، وإذا تزوجته هدد بالانتحار ، وإذا أسعدته فلا حمد منه ولا جميلة ، وإذا لم تسعديه شكا لطوب الأرض .

والخلاصة أن الرجل مخلوق لا يعاشر ، مجنون مغرور مختل ، ومكانه الطبيعى الأكياس البلاستيك .

○ ○ ○



إن هناك ضغائن تاريخية بين المرأة والرجل منذ حادث التفاحة ، ولهذا تتعرض المرأة منذ صباها المبكر لعملية غسيل مخ من الأم حيث تصور لها أن الرجل بعبع ينبغى الاحتراس منه .

فالمرأة الشرقية ممنوعة منذ صباها من الحديث مع أى شاب وإلا أصبحت مقصوفة الرقبة ، يعنى أن الأصل فى العلاقة بين الرجل والمرأة هى أن تكون مقطوعة والاستثناء أن تكون موصولة .

انت تستطيع أن تحيى رجلا فى المقعد المجاور فى القطار فيرد تحيتك ، ولكن المرأة لن ترد التحية ، أو تردها زغرة صامتة ، وأجهزة الاستقبال تتلقى كلمات الرجل الذى لا تعرفه بتحفز وتحد ، إذا قال لها : أنت جميلة قالت له : أنت قليل الأدب . وإذا قال لها : يا قمر قالت : يا بوليس ، وإذا عبر عن اعجابه رفعت حاجبا وأنزلت آخر ورسمت تعبيرا شهيرا على وجهها معناه سم يلهفك ، فإذا ابتسمت المرأة لرجل لا تعرفه فهذه بداية علاقة طيبة ، وإذا ردت تحيته فهذه بداية الوصال ، وإذا تزوجته فهذه بداية القطيعة .

فالأصل فى العلاقة بين المرأة والرجل هى القطيعة والحرب ، لكن الحرب مهما استمرت تتخللها فترات هدنة مثل فترة الخطبة أو شهر العسل ، فإذا امتد عمر الزواج إلى ٢٥ سنة احتفل الاثنان باليوبيل الفضى للحرب الباردة .

وحفلة الزفاف هى احتفال بالصلح المؤقت بين رجل وامرأة ، لهذا تجد فيها غناء وموسيقى ورقص وزغاريد وأعيرة نارية فى الهواء قد تنقلب بعد الزواج إلى أعيرة فى المليان داخل البيت .

حتى فى عز الغرام ـ وبعيدا عن الزواج ـ نلمح تلك الروح العدائية من جانب المرأة ، وهذا يبدو ملموسا فى الأغانى التى يصرخ فيها العشاق : أنا ذنبى ايه بتعذب فيا ، وقوم يا شاغلنى بيك جرب نارى ، وفوق الشوك مشانى زمانى .

ان تطبيع العلاقات بين المرأة والرجل ربما يدخل فى حكم المستحيل ، والمسئولية تقع على المرأة ففى ، يدها مفتاح العلاقة حربا أو سلاما ، هجرا أو وصلا !

ثم إن الرجل ليس عدوا للمرأة والأدلة على ذلك هى :

أولا : أن الشاب يظل يتودد إلى المرأة بكلمات الحب والغزل فلا يجد منها إلا الصد والجفاء وربما استدعاء شرطة الآداب (نتيجة لعملية غسل المخ الذى تتعرض له البنت من الأم) .

ثانيا : المرأة تفترض الغدر فى الرجل فتبالغ فى مؤخر الصداق وتقبضه على داير مليم إذا افترق عنها حيا أو ميتا ، بينما لا يشترط الزوج أى شرط مالى فى عقد الزواج ولا يحصل أهله على أى تعويض إذا تم ـ كالعادة ـ ذبحه بمعرفتها .

ثالثا : حتى فى عز الهناء الزوجى تهتم المرأة اهتماما خاصا بقانون الأحوال الشخصية ، وهذا دليل على أنها تسعى إلى تأمين حياتها ضد العدو والاستيلاء على الشقة .

رابعا : إذا تغيبت المرأة عن موعد عودتها إلى البيت اشتد قلق زوجها عليها لئلا يكون قد حدث لها مكروه ، بينما إذا تأخر الرجل عن موعد عودته فهو خائن .

خامسا : لا يرفع أى شعارات عدائية تجاه الجنس الآخر الذى رفع شعارات عدائية شهيرة مثل : يا مآمنة للرجال يا مآمنة للمية فى الغربال ، وشعرة من جلد الخنزير مكسب .

ومعروف طبعا من هو الخنزير .

والعلاقة بين الرجل والمرأة فى العالم كله أصبحت تتسم بالعنف والاستفزاز والتحدى من الطرفين ، هذا فى رأيى نتيجة لتحرير المرأة أو تحررها ومقاومة الرجل لهذا التحرر واصرار المرأة عليه . وواضح - عالميا - ان المرأة استرجلت ، حتى شكلها الأنثوى تغير ، انتشرت فى العالم محلات اليونيسكس التى تبيع نفس الملابس للجنسين ففقدت المرأة مظهر الأنوثة وجمالها .

انظر إلى نساء العشرينات تجد الوجه والشعر والملابس والميك أب تحمل جميعا سمات الأنوثة الطاغية ، وانظر إلى المرأة العصرية بشعرها المنكوش كرأس المجنونة والبنطلون الجينز الجربان والقميص والبلوفر الرجالى والحذاء الكاوتش المعفن .

ياخسارة ، بل ان بيوت الأزياء نافقت المرأة فى تحديها للرجل فالبستها بنطلون سهرة مع بلوزة ببابيون وضاع الجمال مع الاسترجال ، ثم تأمل المرأة زمان وكيف كانت الكحلة فى عينها بسيطة وشديدة السحر ، ثم كيف شلفطت وجهها الآن بالماسكارا أو المسخرة فأصبح كوجه مهرج السيرك ، وابتدع لها تجار الموضة هالات سوداء ترسمها حول عينيها وكأنها مضروبة بوكسين .

لقد رسموا لها وجهها على هذه الصورة المضحكة اقتباسا من الرسومات التى كانت تضعها القبائل البدائية على وجوهها استعدادا للحرب ، وهى بالفعل أصبحت فى حالة حرب والعدو هو الرجل ، والنتيجة الانتصار عليه دائما : تقطيعه وتعبئته فى أكياس بلاستيك .

وحتى المساحيق والعطور كانت تحمل زمان أسماء شاعرية جميلة ، روج اسمه : قبلة ، عطر اسمه : حلم النساء ، وآخر : انى عائدة وثالث : غموض ، ورابع : لور انتيم أى ساعة انتيم مع المحبوب .. فماذا جرى فى عصر النساء الحديديات ؟

أصبح الروج يحمل أسماء النار - جهنم - بصمة الشيطان - اللدغة - الصاعقة - وتحولت أسماء العطور إلى ماجريف أى مخلبى

وأوبيوم ، أفيون ، وشوكنج : صدمة .

أما آخر صيحة ابتكرها ديور لعصر النساء الحديديات فهو عطر اسمه بوازون أى « سم » فكأن المرأة تريد أن تسطل الرجل بالأفيون وتنشب فيه مخالبها وتسقيه السم الزعاف .

ولقد احتفل بيت ديور بتدشين هذا العطر فى حفلة كبرى تحدثت عنها الصحف ، وقيل فيها ان السم استغرق تحضيره سبع سنوات وهو ذو رائحة نفاذة جدا وله مفعول سم الصراصير حيث يسقط الرجل من طوله ، وينقلب على ظهره ويظل يدور كالصرصار وهو يعانى طلوع الروح ، وإذا استمر هذا العنف بين المرأة والرجل فلنا ان نتوقع عطرا جديدا تقدمه باريس اسمه (مامير لاجولا) أى أمنا الغولة .

○ ○ ○



الرجل الحمش ينقرض من العالم كله . هذه حقيقة ، ففى الشرق كانت ستى تقول عن جدى : مين يقدر يقول للغول عنيك حمرا يا غول ، وفى الغرب كان الرجل يستل سيفه للمبارزة إذا مس أحد أنثاه ، والآن : فى الشرق صار الغول أبو عين حمرا أليفا مستأنسا ، وفى الغرب أصبح الرجل بحلق فى ودنه .

ومن قديم الزمان استراح الرجل إلى ان يقوم هو بدور البطل وان تكون هى الكومبارس ، وقد تعلمت الكومبارس من معاشرة البطل القدرة على الصبر والمناورة والدهاء ، وبمنتهى الاختصار للتفاصيل : أصبحت الكومبارس بطلة وأصبح البطل كومبارس ، فقد هبت حركات التحرر النسائى تشن حربا على الرجل الذى يزعم لنفسه الحق فى حماية المرأة من ضعفها ، وأصبح شعار المرأة : اللهم احمنى من الرجل أما ضعفى فأنا كفيلة به ، وفى مجتمعات الغرب كسبت المرأة معاركها باقتدار وتمكنت من أن تستنبط نوعا جديدا من الرجال مريحا جدا جدا هو الرجل الخنفس .

والرجل الحمش هو الرجل ذو الرجولة والنخوة والدم الحار ، وتاريخ المرأة مع الرجل الحمش هو تمرد مستمر فى مواجهته ، وتعتبر ملابس المرأة رمزا لمقياس (حماشة) الرجل ، وكانت الملابس زمان ـ فى الشرق والغرب ـ تغطى جسمها كله ، ثم ظلت الحماشة تتقلص حتى أصبحت فى حجم البكينى . وكان للرجل الحمش هيبة عظيمة لا تجرؤ معها ستى على مناقشته أو الوقوف أمامه ، وكانت إذا أرادت الخلاص منه خانتها شجاعتها لمواجهته ببلطة أو شمعدان ، فكانت

تدس له السم وكانت جريمة القتل بالسم تمثل ٩٩ ٪ من جرائم القتل عند المرأة ، فلما ضاعت هيبة الرجل استطاعت المرأة أن تواجهه وترفع فى وجهه الشاكوش ويد الهون ، وأن تمسك بالسكين وتقطعه بفتيك واسكالوب وموزة فى أكياس بلاستيك ، ورغم تمرد المرأة على الدوام فى مواجهة الرجل إلا أنها أحيانا تعترف ببعض ميزاته فيأتى عليها يوم حين تخاطبه قائلة : يا جملى يا جملى . ذلك لأن الجمل يستعمل فى الركوب .

○ ○ ○



المرأة المسترجلة موجودة من قديم الزمان ، وفى أساطير اليونان ان لستستراتا دعت بنات جنسها لمقاطعة الرجال فاستجبن إليها لبعض الوقت ثم تخلين عنها عائدات إلى الرجال وبقيت لسيستراتا رمزا للمرأة المسترجلة أو الزعيمة غير الأنثى أو المرأة الذكر الهاربة ـ بلا عذر مفهوم ـ من التجنيد .

وكل لسيستراتا مسترجلة تحاول أن تحرض كل جميلة على أن تتمرد وتنقم على الرجل ، ولأن الكاتبة الانجليزية مارى كورللى كانت أنثى جميلة فقد تساءلت فى القرن الماضى : نوع من النساء تلك التى تطالب بالمساواة وعلى شفتيها قبلة حبيبها ؟

غير أن هناك أسبابا أخرى لظهور المرأة الذكر أو لسيستراتا القرن العشرين ، فأنت تنبهر بشخص لأنك لا تستطيع أن تفعل ما يفعله ، وقد كانت المرأة شديدة الانبهار بالرجل فى عصور مضت ثم أصبحت تمارس كل عمل كان يبهرها به ، ففقد الرجل بريقه .

وفى المجتمعات المنحلة التى طغى فيها التحرر النسائى استنفدت تماما العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة وحلت محلها العلاقة الشاذة بين المرأة والمرأة ، واستسلم الرجل لجنوح الحركات التحررية النسائية فغابت هيبته ، وأصبحنا نسمع عن لص نقل إلى غرفة الانعاش لأنه تسلل فى الفجر إلى بيت يسرقه فظنته ربة البيت زوجها عائدا من سهرة .

كذلك من الملاحظ أن الأنوثة تنحسر عن النساء ببطء فى العالم كله ، فالمرأة تواجه مرحلة خشونة الخروج إلى العمل ، والأيدى الناعمة لم

تعد ناعمة ، وطبيعة الاندماج مع الرجل فى العمل جعلت المرأة تخشوشن وتحاول أن تكسب الكثير من صفات الخناشير ، فنجحت المرأة فى اكتساب السلوك العدوانى ، وتباهت بالعنف ، لكنها كانت حريصة وواعية تماما فلم تكتسب من الرجل أردأ صفاته وهى الهبل الشديد أمام الجنس الآخر .

ومنذ صيحة مارى ولستونكرافت فى القرن التاسع عشر بإثبات حقوق المرأة والحركة النسائية تعمل فى دأب ومكر يدعو إلى الاعجاب ، حتى تم استئناس الرجل فى أوربا ، ثم بدأ فى بعض دول الغرب عصر الرجال الذين جردتهم المرأة من الرجولة أو عصر الرجال الأغوات .

ان الرجل ينتظره زمن عصيب قادم لا محالة تسود فيه المرأة وتحكم وتتحكم وتنتقم مما قاسته ابتداء من العصر الحجرى إلى عصر الحريم .. وطبعا سوف يكون حكم النساء عنصريا يوكل فيه إلى الرجل الأعمال الدنيئة وتتسم فيه القوانين بالتفرقة ، فتصبح مثلا جريمة قتل الرجل مخالفة عقوبتها غرامة ٢٥ قرشا ، ويتم تشديد العقوبة فى جرائم الخيانة الزوجية ، وسوف تسمع القاضيات دفاع الزوج بأن المرأة التى أغرته شربته حاجة صفرا .

○ ○ ○

وفى امبراطورية النساء سوف يقال ان الرجل هو الذى أشعل الحروب منذ بدء الخليقة فأحرق قلوب الأمهات فى كل زمان ومكان ، وقد ترتفع أصوات المتطرفات بوجوب التخلص من الرجل بالمذابح الجماعية حتى يسلم العالم من شروره ، وفى مقابل ذلك سوف تتكون الجمعيات السرية للمقاومة .. كالألوية السوداء لقتل المرأة ، والماوماو لتحرير الرجل ، وسوف تنتهى الآراء النسائية إلى قانون يحتم على المولود الذكر التطعيم ضد الدفتريا والحصبة وشلل الأطفال والذكاء أيضا فيعطى حقنة خاصة يصاب بعدها بالتخلف العقلى .

ان واقع الحال يؤكد أن المرأة ـ شئنا أم أبينا ـ تزحف لقيادة

العالم ، فالمرأة الآن رئيسة دولة ورئيسة وزراء فى فرنسا وكندا وبولندا وتركيا وايسلندا ونيكاراجوا والنرويج وجمهورية ايرلندا ، وكانت هناك تاتشر وأنديرا غاندى وفيجايا لاكشيمى وبندرانيكا وأكينو وكيانج تسنج ، وسوف تصل المرأة يوما إلى رئاسة الولايات المتحدة ، ولو لم ينته الاتحاد السوفيتى واستمر النزاع لتغيرت أساليب الحرب الباردة ولحملت اللمسة النسائية ، فيقول السوفيت عن رئيسة الولايات المتحدة : الامبريالية الشمطاء المتصابية ، بينما يقول الأمريكان : ان السيدة شوكالوفا حاكمة الاتحاد السوفيتى لا تلبس باروكتها على شعر ، بل على اللحم .

والمرأة تتفوق على الرجل بجهاز عصبى عالى الكفاءة يتيح لها تحمل المفاجأة العنيفة بثبات وهدوء وتلك هى أهم مؤهلات الحاكم وفى معسكرات الاعتقال التى أقامها النازى مثلا كانت قوة احتمال المرأة - بالنسبة للرجل - مثيرة للدهشة ، وعندما انفجرت قنبلة فى جناح مسز تاتشر فى مدينة برايتون وقتل أحد وزرائها وجرح كثيرون ، خرجت هى من الفندق فى ثبات مذهل بعد أن أجرت لمسات سريعة فى زينة وجهها وشعرها .

وليس صحيحا أن هذه المرأة تنفرد بلقب المرأة الحديدية ، ففيما عدا ما يمس الأمومة كل امرأة هى امرأة حديدية .

○ ○ ○

وإذا انتقلنا إلى الأمراض غير العضوية وجدنا ان الرجال يشكلون غالبية نزلاء مستشفيات المجانين ، والمرأة هى السبب الرئيسى لجنون الرجل ، كما نجد أن بين كل أربع حالات انتحار امرأة واحدة ، والمرأة عاقلة لا تنتحر أبدا بسبب رجل ، بل بسبب امرأة أخرى .

وإذا استولت النساء على العالم فتلك فرصة للانتقام طالما انتظرتها المرأة ، ويا ويل الرجل ، أعتقد انه ستكون هناك ديكتاتوريات نسائية مستبدة تملأ المعتقلات بالرجال حيث التعذيب وغرف الغاز ويتحقق

ما كانت تقوله كل امرأة ساخطة على رجل : قطيعة تقطع الرجالة وسنينهم .

وقد تسلك حكومات نسائية أخرى سلوك العقرب والعنكبوت والنملة والنحلة فى قتل الذكر بعد التزاوج فتعطى الحكومة النسائية كل عروس مسدسا تفرغه فى دماغ العريس بعد ليلة الزفاف .

وفى السويد الآن حركة نسائية تطالب بتبادل المواقع ، فيلزم الرجل البيت يطبخ ويغسل ويدادى ويحضر الرضعة بينما تتولى المرأة الوظائف والمناصب .

والأرجح ان المرأة السويدية سوف تصل إلى هدفها لأن السيطرة الجماعية على الرجال سهلة ما دامت السيطرة الفردية سهلة ، فالرجل عندما يريد السيطرة على امرأة يعمد إلى ترغيبها واجتذابها بجاهه وأمواله فى عمليات استعراضية تسعى إلى استجلاب رضاها ، بينما المرأة تسيطر على الرجل بمجرد نظرة عين ، أهبل .

○ ○ ○



هل ينقرض الرجل ؟

احتمال قوى ، فهو يولد ولديه استعداد للاصابة بكل أمراض الأرض .. بينما تتمتع المرأة بجهاز مناعة قوى ، كما ان عمره قصير إذا قورن بعمر المرأة ، فإذا أضفنا إلى ذلك الظاهرة التى تجتاح العالم وهى ان معظم المواليد أصبح من الأثاث ، فإننا على مشارف عصر تسود فيه النساء ، ويصبح الرجل فى ندرة الحوت الأبيض ، وسوف تسن القوانين لحماية الرجل من الانقراض بمنع صيده والزواج به إلا بترخيص خاص . وسوف يؤدى ذلك العصر الذهبى لتدليل الرجل حيث سنجد فى قصر حاكمات العالم من النساء الرجل اللولو والرجل الكانيش وكل واحد فى رقبته فيونكة .

وهناك شواهد عصرية على بداية انقراض الرجل .. قارة أوربا مثلا تكشف احصائية للأمم المتحدة عن النقص الشديد فى تعداد الرجال بالنسبة للنساء فى كل من انجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وألمانيا ، بينما يتساوى عدد الرجال بالنساء ـ مثل مصر ـ فى السويد والنرويج والدانمارك ، وتلك نتيجة منطقية .

فالمرأة تولد مزودة بأسباب الصحة والبقاء لاعتبارات الحمل والولادة وحفظ النوع ، فهى لا تلتقط الأمراض المعدية بسهولة كالرجل ، وكيميائيات جسمها تعمل بانتظام تام ، وقلبها غير معرض للاصابة كالرجل (يستخدم هرمون المرأة فى علاج أمراض القلب عند الرجل) وهى تستطيع أن تتكيف مع أى بيئة مناخية بعكس الرجل ، فجسمها مزود بترموستات دقيق يجعلها تحتمل الحرارة العالية .

والبرودة الشديدة ، وفى البلاد التى يموت فيها الناس من الحر أو البرد لا توجد بين الضحايا عادة امرأة واحدة ، والخلاصة أن صحتها حديد واللهم لا نق ولا أر ولا حسد .

وقد اتقنت المرأة لعبة مصارعة الثيران وتصاعدت صيحات النساء تحيى كل ميتادورة قتلت ثورا . ان المرأة أصبحت تضحك فى كمها - كما يقول التعبير الانجليزى - أى تضحك فى سرها والجد يكسو ملامحها شماتة فى الثور القتيل . فكل سيدة تشعر بالتبرم حيال زوجها ولكن بدرجات متفاوتة ، ولهذا يلقى الحديث عن الأزواج القتلى صدى واهتماما ، ويبدو أن المتادورات مصارعات الرجال ، سوف يصبحن بطلات فى التاريخ النسائى ، وليس من المستبعد مستقبلا أن تقف الخطيبة فى محفل نسائى وتطلب الوقوف حدادا على ذكرى اعدام الشهيدة تفيدة أول رائدة نسائية عبأت زوجها فى كيس .

وزمان علمونا فى كلية الحقوق : إذا واجهتك جريمة قتل بالسم فالفاعل غالبا امرأة ، لكن الدنيا تغيرت وتحولت الهانم النواعمى الغندورة إلى الانسان الأخضر ، وتحول الرجل إلى الانسان الأزرق من الكدمات والطعنات ، وتنبىء التطورات والأحداث عن تغيير أساسى فى أيديولوجية المرأة بعيدا تماما عن مهادنة الرجل أو التعيش معه سلميا .

ان كان للرجل حق تأديب زوجته بالعصا فللمرأة حق تأديب زوجها بالسكين ، لقد توارت الأفكار القديمة التى كانت تدور فى رأس ستى تفيدة عندما تضيق بالحياة مع جدى سى السيد ولا تجد طاقة للنجاة ، وكانت تلك الأفكار تنحصر فى أن تصبر صبرا جميلا حتى يأتى (الحل الشريف) وهو خروجه من عمر مكرم .

وواضح الآن ان الأمر أفلت من الرجل بعد سقوط هيبته وان المرأة التى تحمل فى صدرها الكثير من الضغائن التاريخية للرجل سوف تعمل على تصعيد القتال ، ولهذا اقترح حلا للمشكلة وهو أن تكون العصمة

بيد الزوجة ، ففى هذه الحالة لن يوجد دافع لقتل الزوج مادام الفراق ممكنا وبيدها .. الشرط الوحيد هو أن تحفظ الزوجة للرجل هيبته ولو صوريا ، فتتقدم منه وتقول له : هل يسمح سيدى وتاج رأسى ان أطلقه بالثلاثة ؟؟

لكن المشكلة انه يرفض أن تحمل زوجته لقب حضرة صاحبة العصمة ولو أدى الأمر إلى أن يحمل هو لقب المرحوم . والزواج نظام قمعى والتنفيس مهم . وتجنبا للاشتباك الدموى يمكن تخصيص يوم فى الأسبوع للزوجة اسمه اليوم المفتوح تجاهر فيه الزوج ـ بعيدا عن الأولاد ـ بقرفها من العيشة السودة معاه ، ثم تعرض مجمل آرائها الأسبوعية فى تصرفاته وأفعاله وحاله المايل ، وهذا لن يكلف الزوجة إلاّ إعادة ما تقوله دائما لأمها وصديقاتها مع حذف الشتائم ، وعلى الزوج فى هذه الحالة ان يتجمل بالهدوء صامتا ، فلا شك ان عدم دخوله فى مناقشة معها وقتئذ ، خير من دخوله بعدئذ فى الكيس .

ثم ان المرأة تتعرض بين فترة وأخرى لتغييرات بيولوجية وحركة مد وجزر فى الهرمونات تحدث اضطرابا فى كيميائيات الجسم ، وهذا كله ينعكس على مسلكها فتصبح اكتئابية المزاج وعصبية جدا غالبا وميالة إلى السلوك العدوانى ، ويزيد الأمر تعقيدا أن معظم الأزواج لا يلقون بالا لمثل هذه التغيرات الدورية . فيبدأ الشد والجذب بين الاثنين مع عصبية الزوجة ، وفى لحظة من تلك اللحظات قد تقع الفأس فى الرأس ، ولذلك ينبغى على الزوج أن يحتمل حالتها على هذه الصورة . وإذا عجز فى تلك الفترة عن احتمالها فيستحسن ـ من باب الاحتياط ـ أن ينام عند أمه .

○ ○ ○



والمرأة تتظاهر بحبك أولا ثم تضعك تحت سلسلة من الاختبارات قد تعطيك بعدها تأشيرة الدخول إلى قلبها ، فهى تبحث فى الرجل عن الحنان والحماية ، والمرأة ترى الرغبة فى عيون كل الرجال ولكنها ترى رجلا واحدا فى كل ألف رجل يملك القدرة على الحنان ، فإذا كان يملك الستر مع الحنان .. حمدت هى الله على النعمة ، وإذا كان تحت خط الستر ترددت المرأة ألف مرة .

فالمرأة عملية جدا لأنها تعرف أن الزواج من رجل تحت خط الستر سوف ينجلى فى النهاية عن مشاوير قد لا تنتهى إلى محاكم الأحوال الشخصية .

والمرأة عملية جدا ـ ثانيا ـ لأنها مهما كانت ميتة فيك صبابة فهى لا تقبل الحب ـ مهما طال زمانه ـ بلا زواج ، ولابد أن تجىء اللحظة التى تطالبك فيها بالزواج ، فإذا استشعرت منك المراوغة تحولت أنت عندها إلى مجرد ذكرى جميلة ولاذت هى بأول رجل يعرض عليها الزواج . ولا يجدى هنا أن تذكرها بالعهد وخيانة العهد ، لأن المرأة تفضل زواجا بلا حب على حب بلا زواج .

وليس صحيحا ان المرأة تحبك بقدر ما تعطيها من مال ، المرأة لا تحب أبدا بالفلوس ، تتظاهر بالحب نعم ، تمثل عليك نعم ، حب حقيقى بالفلوس .. لا ..

فالمرأة تتميز على الرجل بالصبر ، فالأمومة صبر ، وقبل الأمومة تتحلى المرأة بصبر فطرى لأسباب عديدة من بينها الحصول على الزوج ، فالصبر سمة الصياد .

فالمرأة تنفرد بصبر فطرى لأنها صاحبة الدور الأهم فى تأسيس الأسرة ، فبناء العش يحتاج إلى صبر طويل ، وهذا الصبر يزودها بحاسة خاصة تتعرف بها فى صمت على الشريك ..

انظر مثلا إلى تلك الفتاة البسيطة ايفا براون عشيقة هتلر وهى تسعى فى أيامها الأولى للتعرف على شخصيته وكيف تواجه لحظات جنونه وكيف تمتص ثورات غضبه ، والمؤكد أنها سارت فوق حقل ألغام لتصل إليه ثم صبرت طويلا لتعرف ما يغضبه وما يرضيه ، فصبر المرأة أعطاها أسلوبا خاصا فى معاملة الرجل ولو حتى كان مجنونا من خريجى معهد الشواذ ، ولهذا ليس مصادفة أن معظم مروضى النمور من النساء ، فالمرأة قادرة بصبرها على ترويض الرجل كما النمر ، وكما تسلخ المرأة النمر فى النهاية لتصنع من جلده ثوبا ، فإنها تسلخ الرجل أيضا ، وإذا كان النمر يتم سلخه مرة واحدة ، فالرجل يتكرر سلخه كل يوم حتى يوم حصولها على لقب أرملة .

○ ○ ○



مهما ادعى الرجل انه سى السيد ، فإن كل هذه المظاهر لا تضلل المرأة عن حقيقته ، فكلما كبرت شواربه وخشنت تصرفاته دل ذلك على المحاولات التى يبذلها لإخفاء ضعفه الطفولى .

وصحيح أن المرأة تحتمى بالرجل وتستظل به ، لكنها تعتمد على الطفل الكامن فى أعماقه فى تدعيم ارتباط الرجل بها ، فهى مدربة على تربية الأطفال ، وهى تعرف كيف تسوس الطفل ، متى تضمه إلى صدرها ، ومتى تشد أذنه ، ومتى تضحك عليه ، وفى ذلك يقول المثل الشعبى : اللى مربى قرد عارف لعبه ، فالرجل مهما كابر هو تربية ستات ابتداء من الأم إلى الزوجة ومن لم تربه أمه ربته زوجته .

والرجل ـ وحيد أمه ـ يمثل مشكلة ، فهو قد أدمن الأخذ دون العطاء ، ومهما فعلت من أجله فهو يرى أن عطاءها لا يرتفع إلى مستوى الأم ، لذلك يتهمها بين وقت وآخر بأنها تهمل شئونه ورعايته ويغضب لأتفه الأسباب ، وسوف ترتاح كثيرا لو صبرت عليه فى البداية كأم وعاملته كأحد أولادها .

عندما يحكى رجل عن حاضره وماضيه الغرامى ويذكر أسماء وأسماء ، فهو يكشف بذلك عن موهبة الرجال فى التأليف الفورى ، والذى قال : صدق ما يقال فى حفلات التأبين وما يحكى عن وفاء الذئب وما تقوله امرأة ، هو بالتأكيد قد ظلم المرأة ، فالرجال يكذبون كثيرا ، والرجل ـ فى علاقته بالمرأة ـ يبدأ الحياة بلا كذب مع الحب الأول فى المراهقة ، ويكذب فى الحب الثانى ، ثم يصبح خبيرا فى الكذب عندما يتمرس بالزواج .

والرجل يعن له أحيانا أن يحكى لامرأة ويصور لها ماضيه الغرامى كما لو كان كازانوفا ، فهذه هامت به وتلك عبدته والثالثة هددته بالانتحار ، وهى وسائل رخيصة وركيكة أيضا لإثارة الاهتمام ، ومعروف عند الكافة - وبينهن النساء - ان فالنتينو الذى يردد هذا الكلام كان يعانى فشلا غراميا متكررا ، ولا يخلو شيء من ميزة ، فالفشل الغرامي يعصم الانسان من الزواج .

وأحيانا يخرج رجل من حب مدمر ثم يلتقى بامرأة يجد معها الراحة والسلوى ، وقد تنسج العلاقة بينهما خيوطا جميلة تشكل حبا ، ومثل هذه المرأة عادة ما تغفر أنه أحب قبلها ، فالمرأة ترفع يدها بعلامة النصر على كل امرأة منافسة بعد ان تحصل على امضائه فى دفتر مولانا المأذون .

غير أن الرجل قلما يغفر لامرأة اعترافها له أنها أحبت رجلا قبله ، فهذا الاعتراف الذى تطوعت به هو بداية رديئة لسلسلة مشاكل فى المستقبل أبطالها هى وهو وشبح رجل من الماضى .

فلا تعترفى له ياعزيزتى حتى تتجنبى مواقف مستقبلية متكررة قد تدفعك فى النهاية إلى البحث عن ساطور .

○ ○ ○


أعرف حبيبك اللدود !



ليس الغوانى - فقط - اللاتى يغرهن الثناء ، بل الرجال أيضا ، فأنت تستطعين أن تسيطرى على عناده وأن تحسمى أى مناقشة معه لصالحك بمبادرة فى بداية المناقشة توهمينه فيها بأنه ذكى وعبقرى وشخصية لاتتكرر ، فنحن الرجال فينا نزعة طاووسية حادة تجعلنا نختال ونتيه ونعمى عن حقيقتنا .

لقد كان الرجل ذو الجاه أو المنصب فى الزمان الغابر يشترى المديح بالفلوس فيستأجر الشاعر الذى يقول له إنه فى اقدام عمرو ، وسماحة حاتم ، وذكاء اياس ، وحكمة لقمان .

إن الذهب الذى حصل عليه شعراء الشرق فى الأزمنة الغابرة ثمنا للمديح والنفاق يفوق أموال قارون وروكفلر معا ، فمن المفارقات الغريبة أن المرأة تحصل على الثناء والمديح غزلا دون مقابل مادى ، بينما يدفع الرجل ثمن المديح غاليا . منتهى الهيافة .

ولايختلف فى ذلك رجل المناصب الرفيعة فى عصر الفضاء عن رجل العصر العباسى ، فهو يقرب إليه المادحين والمشيدين بعبقريته من أهل النفاق ، وصحيح أنه لايكبش ذهبا ودنانير ويعطيهم ، ولكنه يمنحهم الترقيات والعلاوات .

واذا كان الرجل يدفع الذهب قديما ويحمى المحاسيب حديثا ثمنا لأن يسمع منهم كلمة فى مدحه .. فلماذا تبخلين عليه بالكلمة الحلوة خصوصا أن كل رجل منا طيب وعلى نياته ؟

إن الرجل ـ حتى ولو كان رودلف فالنتينو شخصيا ـ يطيب له أن يحكى عن مغامرات عاطفية لم تحدث إلا فى خياله ، إنها نزعة فى الرجل لابراز التفوق .

والرجل يعشق المرأة التى تعتقد أنه السوبرمان ويعبد المرأة التى تتغاضى عن عيوبه . أعرف مطربا كان يرتاح لإحدى المعجبات رغم جمالها المتواضع جدا . السبب انها لم تقل له ـ مثل ملايين المعجبات ـ صوتك جميل ، بل أبدت دهشتها عندما التقت به شخصيا لأنها اكتشفت أنه ليس قصير القامة كما يقال عنه . إن المرأة البارعة هى التى تنبهر بتسريحة شعره وهو أصلع ، وقوة شخصيته التى تطل من عينيه رغم أنه يضع نظارة سوداء ، وعظمة ذكائه رغم أنه من آكلة البرسيم .

ان اللعب على الوتر الطاووسى يأتى بأفضل النتائج ، وفى ذلك قال حكيم أسبرطة القديمة : إن المرأة تنفق ضعف عمرها لتجعل من ابنها رجلا ، ثم تأتى امرأة أخرى تنفق من عمرها نصف ساعة لتجعل منه أهبل .

○ ○ ○



صوت الرجل يتغير ثلاث مرات : قبل البلوغ وبعد البلوغ وعند الحديث فى التليفون مع المحبوبة ، فإذا تحدث بصوت عادى فهو من قائمة الزملاء ، وإذا كان الصوت خفيفا فهو من نادى العشاق ، فإذا لم يسمع أحد له صوتا فهو مخروس فى بيت الزوجية .

والمرأة عندها أجهزة خاصة تستطيع بها أن تفرق بين رجل يقترب منها كزميل وآخر يحاول الاقتراب من عواطفها كعاشق ، وفى مكان يضم عشرين رجلا يمكن للمرأة أن تتعرف على الرجل الذى يوليها اهتماما خاصا صامتا .

والرجل فى تقربه العاطفى للمرأة يختلف عن الزميل فى جانب هام ، إذ تنشط لديه غدة الفشر فيميل إلى تقديم نفسه فى برواز الشاطر حسن الذى يطمح إلى إبهار ست الحسن والجمال ببطولات لم تحدث ومواقف دون كيشوتيه لا أساس لها من الواقع ، ولاتتوقف هذه الغدة عن النشاط إلا بعد أن يجد نفسه فى بيت الزوجية وقد أصيب بالخرس المنزلى ، ذلك الوباء الذى يجتاح كل الأزواج .

واذا تثاءب خلال الحديث معك فإنه بالتأكيد مجرد زميل ، اذ من العسير أن يحمل رجل لامرأة اهتماما خاصا ثم يتثاءب فى حضورها ، ولايعرف تاريخ الحب عاشقا كان يهمس فى أذن حبيبته ثم تثاءب ، ولايوجد روميو هم بتقبيل جولييت ثم فاجأها بفتح فمه على آخره كسيد قشطة ، والزميل فى العمل يعامل زميلته بشكل عادى وبشخصية متوازنة ، فإذا تغيرت صفته وأصبح عاشقا ، فقد الكثير من توازنه .

والرجل لايتزوج المرأة لأنها مثالية وملائكية وعظيمة ، أبدا ، الرجل يتزوج لأن الزواج مرض وراثى أعراضه الحب ، وما دام الحب قد جاء

فهى مثالية وهى ملائكية وهى عظيمة ، فالحب هو الذى يفكر لنا ، ونتحمس معه لحماقاتنا خصوصا تلك الحماقة الكبرى : الزواج !

ان نقطة الخلاف الكبرى بين الحب والزواج هى أن كل طرف ـ فى الحب ـ يفهم شخصية الآخر فهما رومانسيا جميلا ـ بينما فى الزواج يبدأ كل منهما فى فهم الآخر فهما واقعيا أليما .

مثلا ـ بعض الذين عشقوا كانوا يقدمون الهدايا بجنون ، فهى أغلى من أى هدية ، وما لبثت أن أصبحت الهدية أغلى منها : وبعض الذين عشقوا ـ مثلا ـ كان يجد متعة كبرى فى أن ينصت اليها بالساعات وهى تتحدث فى أكثر من موضوع ، ثم اكتشف انها تتحدث بالساعات دون أى موضوع .

○ ○ ○

ان الرجل فى علاقته بالمرأة كثيرا مايخطىء التقدير ، فكل شىء فى المرأة خادع : ضعفها الجميل يخفى خلفه قوة ، وعينها الحالمة تخفى وراءها دهاء ، ويدها الصغيرة تخفى رجلا يعشقها .

ومن لايصدق يبحث عن نفسه بين أصابعها .

وفى فورة الحب يخفى كل طرف طباعه الحقيقية عن الآخر ، وبعد الزواج يأمل كل طرف فى أن يغير طباع الثانى التى تأصلت مع السنين ، واذا كان الرجل يصاب باليأس من تغيير طباع شريكته ، فإن المرأة لاتيأس ، وهى تنجح إلى حد كبير فى أن تؤقلم طباع الرجل مع طباعها ، وهى فى ذلك تشبه الطبيب الذى ظل يعالج رجلا من مرض الصفراء حتى شفاه ثم تبين أن هذا الرجل صينى !

والمرأة لاتيأس لأن الطبيعة أوكلت اليها عملية بناء العش ، وبناء الأسرة ، وهى فى ذلك تتحلى بصبر مذهل وقدرة على الصبر والاحتمال .

مثلا عندما يحب انسان انسانا أخر فإن كلا منهما يرى الآخر مجردا من عيوبه ومن الظروف المحيطة به ، ومهما تكشف للمرأة من

عيوب أو ظروف معاكسة فى الرجل الذى تحبه ، فهى تمضى فى تكتيكها التقليدى ، وهو تكتيك يقوم ـ من الأزل إلى الأبد ـ على سياسة الخطوة خطوة حتى تصل إلى هدفها ، فما تتظاهر المرأة بقبوله أيام الخطبة والغرام تثق تماما فى أنها سوف تغيره إلى ما يرضيها بعد أن يصبح الرجل مستعمرة نسائية تحت سيطرتها ، فهى تبدأ برفع علمها على قلبه ، ثم تستولى على رأسه ، ثم محفظته ، وفى ذلك يقول أصحاب نظرية النشوء والتطور الزوجى : إن الرجل يبدأ حياته طفلا ثم صبيا ثم شابا ثم زوجا ثم شرابة خرج .

إن المرأة قد تبدو لنا رومانسية جدا ، لكن وظيفتها الأسرية فى الرعاية والبناء تجعلها تدرك تماما أن الزواج ليس امتدادا للجلسات الرومانسية على أضواء الشموع ، فهى تعرف أن المتزوجين لايجلسون على أضواء الشموع إلا عند انقطاع التيار .

○ ○ ○

والعريس يجب أن تكون كلمته هى العليا فيقول « لا » بشكل قاطع وحاسم ليؤكد من البداية أنه صاحب السيادة والسلطان ، ولاخوف على الزوجة من ذلك ، فالأيام كفيلة بأن يعرف الزوج حجمه .

والفلوس هى دائما السبب فى كلمة « لا » ، والمرأة تتعب وتخطط وتحتال بكل دهاء الأنثى لتصبح على لسان الرجل كلمة : حاضر ياحبيبتى ، ولذلك فهى تثور مرتين أمام كلمة « لا » مرة لأنه خذل مطلبا لها ، ومرة لأنه أهان أنوثتها التى استعملتها سلاحا فلم تؤثر فيه ، وغالبا ما تعيد الزوجة الكرة دون اللجوء إلى سلاح الأنوثة بل باللجوء إلى بيت أمها .

وبالتأكيد هى تنتصر فى النهاية ، فاذا كان الرجل فى علاقته بالمرأة يعتمد على القوة ، فإن المرأة تلجأ إلى الملاينة والكيد ، وكيدهن عظيم ، والكيد هو المكر ، والمكر هو الاحتيال والخديعة ، وهى جميعا مهارات ذهنية تختص بها المرأة .

انظر إلى صائد الأسد وكيف يحتال بالعقل على الناب والظلف فيوقع بالوحش فى شركه ، وانظر إليها كيف يمكن أن تحول هى أشد الرجال جبروتا إلى طفل وديع فاقد الرشد !

ο ο ο

والرجال الذين يعدون من ذوى المجد والعظمة أو من ذوى العقل والحكمة ، ليسوا بالضرورة أن يكونوا كذلك فى العلاقات الخاصة مع المرأة . إن الانوثة والجمال والجاذبية تمثل أقوى جهاز تشويش على عقل الرجل .

ان سليمان الحكيم مثلا ـ على حكمته ـ لم يصمد أمام بلقيس ، والأساطير اليونانية تروى بإفاضة لحظة ميلاد وظهور فينوس وهى خارجة من البحر وكيف هرول خلفها جميع آلهة الأوليمب مفتونين وقد تخلو عن كل وقار وعقل وحكمة .

لقد استراح الرجل إلى اعتقاد وهمى بأن المرأة مختلة ومجنونة ومخها « طاقق » ، وبسبب عقدة السيادة والتفوق رفض أن يعترف بقدراتها الذهنية فى مواجهته ، فما من رجل إلا ويواجه أى مطلب لزوجته بالرفض ثم ينتهى به الأمر إلى الموافقة .

من قديم الزمن وبانتظام تام هو يرفض ثم يقبل ، ومن الأزل إلى الأبد وهى لاتشعره بأنه تراجع أو ضعف بالقبول بعد الرفض ، بل هى تنفخ فى غروره كصاحب فضل ، وتنفش ريشه الطاووسى مع قبلات التعظيم والامتنان ، فاذا كانت نظرية النشوء عند دارون تبتدىء بالمخلوق قردا وتنتهى به انسانا ، فان النظرية عند المرأة تبتدىء بالرجل متبوعا وتنتهى به تابعا .

لذلك يجدر بالرجل أن يختصر الطريق إلى حياة زوجية هادئة لو أنه التزم بهذه المبادىء الأساسية تسليما بالأمر الواقع :

ـــ الغيرة هى سبب المتاعب فى الحب ، وفى الزواج ، الفلوس سبب كل المشاكل ، فاعطها كل ما يدخل جيبك واسترح ، واتعظ بروميل

القائد الألمانى الذى اشتهر بأنه ثعلب الصحراء ، فقد استطاع أن يخفى تحركاته عن جيوش الحلفاء ولكنه فشل فى أن يخفى دخله عن مدام روميل .

— اعط زوجتك الأمان ، فهى تعرف أن الرجل عبيط وسهل الوقوع فى الشراك النسائية ، فتجنب كل مايثير شكوكها ، ولاتدخل البيت مكتئب السحنة حتى لاتعتقد زوجتك أنك مهموم للقائها ، كذلك لاتدخل متهلل الوجه حتى لاتعتقد أنك راجع من رانديفو .

— دع زوجتك « تبرطم » دون أن تدقق كثيرا فى الكلمات التى تلعن العيشة معك ، فهذا التنفيس ضرورى للزوجة ، وفى ذلك قيلت الحكمة المأثورة : التنفيس خير لك من أن توضع فى الكيس .

— كن متسامحا مع زوجتك ، فمما يعقد الأمور كثيرا تمسك الزوج بكبريائه .

— اذا كان لابد من التفاهم حول موضوعات أسرية هامة وأصررت على رأيك ، فليكن ذلك بينك وبينها فى غرفة مغلقة حتى لاتضيع هيبتك أمام الأولاد .

— فى مناقشة الخلافات الزوج المهذب لاينطق العيب أبدا ، أما الزوج العاقل فلا ينطق إطلاقا .

— امتدح مهارتها فى طهو الطعام ، ولامفر من تدريب نفسك على مذاق طعامها .

— احترس من الوقوع فى مصيدة التناقض خلال أحاديثك معها ، فاحتفظ فى مكان عملك بمفكرة صغيرة تدون فيها أكاذيبك عليها أولا بأول .

— من وقت لآخر انتهز فرصة غيابها فى الخارج هى والأولاد لكى تأخذ راحتك فى البكاء .

○ ○ ○

كل رجل يشكو من إهمال زوجته لزينتها وملابسها فى البيت ، وأنها

لاتصبح فى أتم زينة وأشيك ثياب إلا عند الخروج . هذا شىء طبيعى جدا ، فالمرأة لا تتأنق للرجل ، بل للصديقات ، وبقدر ما يكون فستانها نادرا ، وثمينا ، يكون سم بدن الأخريات .

ان المرأة تهتم اهتماما بالغا بما ترتديه الأخريات ، وما من امرأة صادفت امرأة إلا استعرضت ثوبها من أعلى إلى أسفل وبالعكس ، والثوب الوحيد الذى لا تتفحصه المرأة اذا ارتدته امرأة أخرى هو مريلة مستشفى المجاذيب .

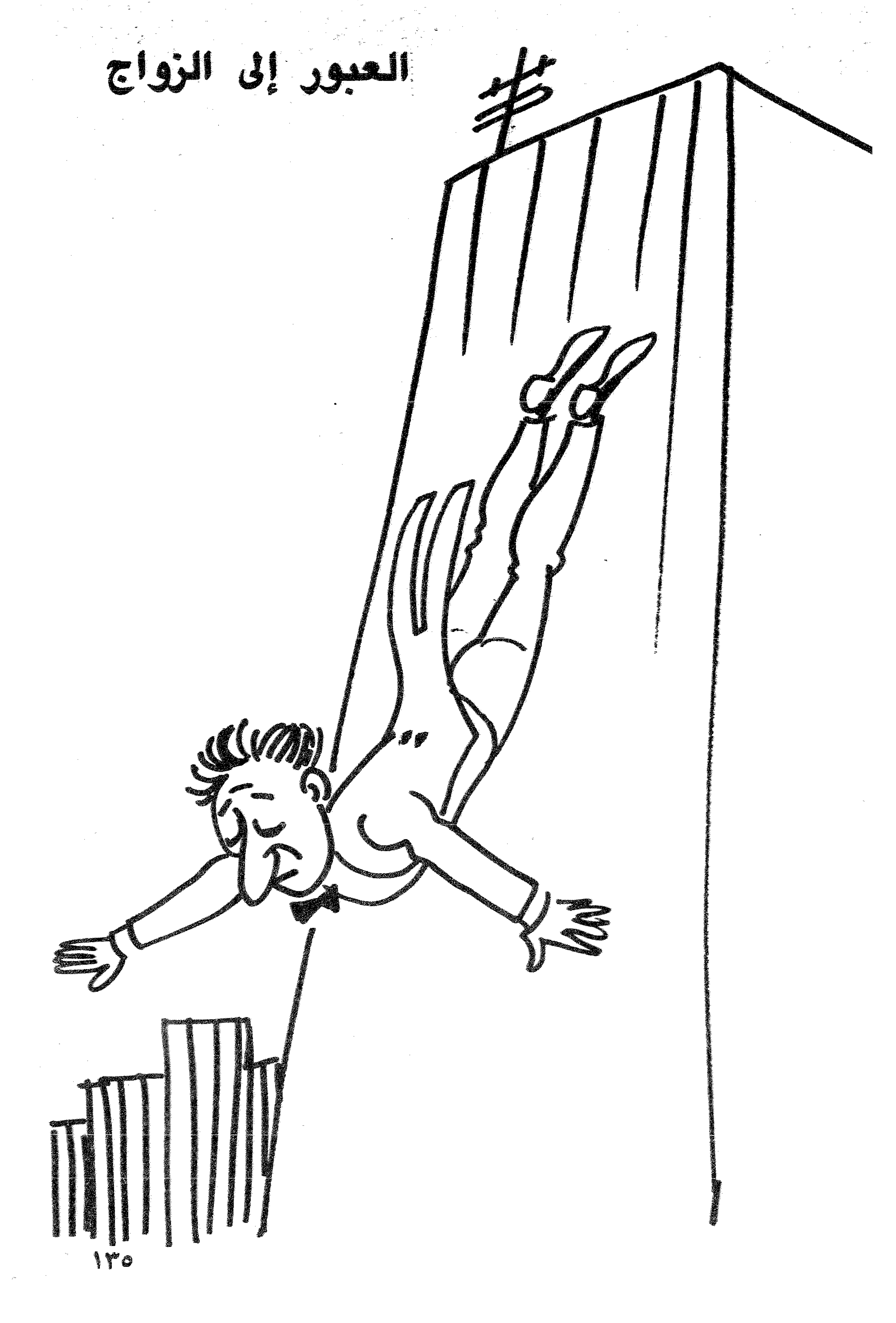
أما الرجل فليس له أية اهتمامات بالفستان ، وكل العلاقة بين الرجل والفستان هى أن الرجل هو المتخصص ـ على المستوى العالمى ـ فى ابتكار الموضة للمرأة ، كما أنه المتخصص الأوحد ـ على مستوى البيوت ـ فى دفع ثمن الفستان .

وقد هيأت المرأة ذهنها تماما إلى أن الرجل لايفهم فى الفساتين ، ولايعرف ـ مثلا ـ أن ملكة بريطانيا ـ اليزابيث ـ تلبس دائما آخر موضة ظهرت سنة خمسين ، ولذلك يتفوق الرجل الجنتلمان ـ أو الذئب طويل البال ـ على الرجل العادى فى أنه يستجلب رضا المرأة بأن يبدى انبهارا بفستانها ، كذلك يحرص الرجل الذئب على تمييز العطر النسائى ومعرفة اسمه بمجرد الشم كالكلب الوولف . وهى تطرب كثيرا عندما يشرح لها الرجل الذئب كيف أن موجات عطرها الشاعرى تتناغم تماما مع ألوان الفستان ..

كلام فارغ وحياتك ، ولكنه يجد صدى عظيما عند المرأة ، بل ان الرجل الذئب يستولى على اهتمام المرأة تماما اذا قال لها : إن الفستان الذى ترتديه سرق الأضواء من فستان فلانه . أى فلانه . فكل امرأة هى غريمة مشتركة ، فالمرأة فى حاجة إلى امرأة تشاركها النم واسرار الأخريات ، وحتى عندما تجتمع صديقات مقربات فالويل دائما للصديقة التى تنصرف أولا .

والرجل كان يرحب كثيرا بفستان المرأة عندما اجتاحت العالم موضة المينى والميكرو ، وهو لم يرحب بالفستان فى حد ذاته بل بالمساحات الكبيرة التى ينحسر عنها الفستان ، حتى قيل إن سيدة فتحت خزانة ملابسها فلم تجد فستانها الميكرو الجديد ، ثم عرفت أين ذهب الفستان عندما لمحت حشرة عتة خارجة من البلاكار .

○ ○ ○



العبور إلى الزواج



يستحسن أن يكون هناك حب قبل الزواج ، فالحب تجربة نافعة أو هو بروفة للزواج ، لأن الحب والزواج وجهان لعملة واحدة وبينهما الكثير من أوجه الشبه .

— فى الحب مثلا يتمنى كل طرف أن يشعل النار فى قلب الآخر ، وكذلك فى الزواج يتمنى كل طرف أن يشعل النار فى الآخر مع تغيير الوقود إلى بنزين .

— فى الحب يتحدث كل منهما عن الآخر فى إعجاب ، وفى الزواج يتحدث كل منهما فى اعجاب أيضا ولكن عن نفسه .

— فى الحب يحرصان على ألا يسمع أحد حديثهما ، وفى الزواج يحرصان على ألا يسمع الأولاد الخناقات .

— فى الحب أيام الخطوبة يجعلها تسهر إلى وقت متأخر فى انتظار انصرافه من بيت أهلها ، وفى الزواج يجعلها تسهر فى انتظار عودته .

— فى الحب يكيد لهما العذال ، وفى الزواج يستغنيان عن العذال وبالجهود الذاتية يكيدان لبعضهما .

— فى الحب يدعو الله أن تصبح حبيبته زوجة له ، وفى الزواج يدعو الله أن تصبح زوجته حبيبته .

— فى الحب يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد الشوق والحنين ، وفى الزواج يتخاصم الاثنان ويتم التفاهم على يد محضر .

الفرق المهم بين الحب والزواج هو أن الحب يؤدى إلى الزواج بينما الزواج لايؤدى إلى الحب .

يذهب بعض العلماء إلى أن الانسان الأول ـ قبل اختراع الكلام ـ احتاج بشدة إلى التعبير عن عواطفه فكان يصدر أصواتا ليلفت نظر

المحبوبة ، غير أن أحدا لايعرف على وجه التحديد كيف كان هذا الصوت متقطعا كالزغطة أم مرسلا كالصويت ، أم على شكل استغاثة من لوعة الحب : آه !

ويقول علماء تمثيل الأصوات ، فونتكس ، ان الانسان حين يعبر عن الدهشة ـ انبهارا بجمال المحبوبة مثلا ـ فإنه يفتح فمه وتصبح شفتاه فى حالة استدارة ، وهنا يخرج صوت متأوه بسبب استدارة الشفتين : أوه !

وهكذا نرى أن الحب كان من أبرز دوافع الكلام عند الرجل وأصبح صوت الرجل يمثل ضرورة هامة للمرأة فى العصور الأولى ، فالرجل هو الذى يحمى أسرته من الضوارى وسماع صوته يطمئنها باستمرار بأنها فى أمان لأنه قريب منها ، فصوت الرجل يمثل عندها حاجة أكبر من الايناس .. يمثل الإحساس بالطمأنينة والحماية .

وقد توارثت المرأة هذا الشعور من عصر الكهف إلى عصر الليزر مرورا بعصر ستى التى قالت فى أمثالها : خدى لك راجل بالنهار أجير وبالليل غفير !

والمرأة لاتحب الرجل الذى يميل إلى الخرس ولاترتاح اليه ، واذا كانت المرأة تتحدث طوال الوقت ، فهذه دعوة للرجل لكى يبادلها الحديث ، وهو عندما ينوى ذلك لايتاح له الكلام عادة إلا عندما تبدأ هى فى التثاؤب استعدادا للنوم .

لكن هذا لاينفى أن المرأة تسكت فى حالتين : عندما تحتاج لسماع صوت الرجل وعندما تفكر ، فالمرأة لاتفكر وهى تتكلم . وحاجة المرأة إلى سماع صوت الرجل تكون أحيانا لأسباب خاصة بنوع آخر من الأمن النفسى ، فالمرأة لاتثق بالرجل ثقة كاملة مهما أبدى لها من إخلاص ، وهى تعتقد باستمرار أن هناك امرأة أخرى مجهولة ، وهى تتعطش من آن لآخر لكى تستمع اليه وهو يؤكد لها حبه وأنها أجمل من رأى فى دنياه ، كذلك تتوق المرأة بجنون إلى سماع صوت الرجل ليرد

على سؤالها : ما هذا ؟

وفى يدها منديله ملونا بأحمر الشفايف .

والرجل مخلوق أليف ومستأنس ويقوم أيضا بعجين الفلاحة اذا وجد المروضة الجيدة ، وكل امرأة هى مروضة جيدة اذ يقول المثل : اللى مربى قرد عارف لعبه ، والرجل تربية ستات من اللحظة الأولى للميلاد ، فهو يبدأ حياته فى حجر الأم ، ثم بين ذراعى الحبيبة ، ثم بين يدى الزوجة .

والرجل مخلوق أليف - ثانيا - لأنه يبدأ الحياة الزوجية معلنا أنه السلطان وصانع القرار ثم لايلبث أن يرفع الراية البيضاء مستسلما للأمر الواقع ، وبعد أن كان يقول لها « لا » بقوة وعنف فى مواجهة محاولات السيطرة من جانبها ، تخفت ، « لا » فى حلقه إلى أن تختفى تماما ، ولايبقى له - ثالثا - أمام قراراتها - إلا حق الامتعاض ان أمكن .

والرجل مخلوق أليف - ثالثا - لأنه بعد تجارب مرة يتعلم ألا يبدأ خناقة أبدا ، ولايرد على تحرش ، ويفضل ادعاء الصمم .

وزيارة ميدانية عشوائية لبعض بيوت الزوجية سوف تكشف أن الزوج - بعد خلف العيال - يتحول إلى مواطن من الدرجة الثالثة فى البيت ، الأولاد يسرقون سجائره ويسطون على ملابسه وهو لاحول له ولا قوة ، ويستحق زيارة من سيدات الهلال الأحمر .

وهناك من يعتقد أن مشاكل الزواج سببها أن الاثنين قاما باخفاء عيوبهما فى فترة الخطبة ، الأمر الذى ينبغى أن تطبق معه أحكام العقود التى يشوب الارادة فيها الغش والتدليس ، ليس الأمر كذلك بالضبط وإنما القصة تبدأ باثنين يتحابان ولايلتقيان إلا مع ظلال الغروب والمساء والأضواء الشاعرية الخافتة ، ثم ابتداء من ليلة الزفاف تضاء الأنوار الساطعة فيبدأ كل منهما يرى عيوب الآخر . وقديما قال العرب : الهوى شريك العمى .

وشيء طبيعى جدا أن تظهر عيوب لايتوقعها الآخر ، لذلك قال الحكماء : افتح العينين على المزايا واغمضهما عن العيوب ، وكما أن هناك عيوبا خفية فى أفضل الناس ، هناك أيضا مزايا لانراها فى أسوأ الناس ، فنحن بشر ، لكن غير المسموح به هو التجاوزات الحادة ، مثال ذلك العاشق الذى يقول بلسانه عبد الحليم حافظ : وابنى لك قصر عالى واخطف نجم الليالى . هذا الكلام قد يصلح تصريحات من وزير للاستهلاك المحلى ، لكنه لايصلح لرجل سيكون مسئولا عن بيت وزوجة وأولاد ، فقديما قالوا فى الأمثال : بيت النتاش ما يعلاش .

ان العيوب تظهر فى أحبائنا بقدر ما ينحسر الحب عن قلوبنا ، ولهذا قال الشاعر : وعين الرضا عن كل عيب كليلة ، وقال المثل الشعبي : حبيبك يمضغ لك الزلط ، وشكسبير يلخص هذا كله بعبارة فى هاملت تقول ما معناه : ليس هناك ما يوصف بأنه خبيث أو طيب ، بل هناك تفكيرنا الذى يجعله كذلك ، مثال ذلك مايروونه عن المرأة التى راحت تشكو لطوب الأرض أن زوجها رهيب وفظيع لأنها تزوجته من أجل الحب وحده فاكتشفت أن هذا الشرير لارصيد له فى أى بنك .

والمظهر الذى يظهر به كل من الطرفين فى أيام الحب لايشوبه قصد جنائى للنصب أو الغش أو الاحتيال ، بل ان كلا منهما يتنازل عن السيىء من طباعه تنازلا مؤقتا حتى يزداد جاذبية فى نظر الآخر ، أما التنازل الدائم عن الطبع فهو أمر صعب ، اذ يقول الانجليز : ان من المستحيل أن يغير النمر جلده الى قط ، لكن المرأة التى برعت فى ترويض النمور على المستوى العالمى اثبتت فى عروض السيرك أنها فى منتهى الذكاء والدهاء لأنها تركت للنمر مظهره الفخيم . وحصلت منه على تنازلات أهمها أنه أصبح يجلس أمامها القرفصاء والعصا فى يدها .

○ ○ ○

وسوء التغذية من أمراض الحب بعد الزواج ، فالحب يتغذى على

الكلمة الحلوة واللفتة الطيبة واللمسة الدافئة . لكن للأسف ، يظل كل من الرجل والمرأة يتضرع إلى الله أن يساعده فى ايجاد شريك الحياة عن طريق الحب ، فإذا وجد الشريك تضرع إلى الله أن يساعده أكثر .

فالحياة الزوجية عندنا عموما تفتقد التغذية العاطفية ، والطرفان يتحملان مسئولية تجويع الحب وموته ، واذا كان الرجل مثلا لا يكلف نفسه بأن يهمس اليها من وقت لآخر بكلمة أحبك ، فمن الانصاف أن يقال إن الزوجة لاتشجع زوجها على ذلك فى أغلب الأحوال ، فهى قد تركت نفسها لتراكم اللحم والشحم ، ومن العسير أن يقول لها بحبك يا دبدوبة ، أو كما قال الشاعر معبرا عن ضخامة جسم حبيبته من تراكم اللحم والشحم : يدور عليك عند الصبح قلبى . فيفرغ منك فى وقت الغروب . ويقال إن زوجا حاول - رغم الانفجار اللحمى لزوجته - أن يكون رومانسيا فكان يهديها وردة من وقت لآخر ، واكتشف أنها كانت تأكل حتى الوردة .

ولعل من عوامل سوء التغذية للحب دخول التليفزيون طرفا مؤثرا فى الأسرة فقضى تماما على الحديث والحوار والتواصل بين أفراد الأسرة جميعا لا بين الزوجة والزوج فقط ، ولايجب أن ننسى أن الأزواج رحبوا بدخول التليفزيون فى حياة الأسرة لأنه يلائم تماما حالة الخرس المنزلى التى يصاب بها الزوج بعد الزواج ، حتى أنك تجد زوجا يهمس إلى صديقه قائلا : اضطررت أمس إلى الحديث مع زوجتى لأن الارسال للأسف انتهى مبكرا .

ومن أمراض الحب بعد الزواج أن كلا من الطرفين لايدرك المظاهر أو السمات الخارجية الخاصة بالنوبات النفسية عند الطرف الآخر ، كاستعداده للحديث ، أو رغبته فى الانفراد بنفسه أو جنوحه إلى الانطلاق والمزح ، وعدم ادراك هذه السمات يجعل كلا من الزوجين جهاز ارسال واستقبال سيئا بالنسبة للآخر ، واذا أضفنا إلى هذا كله جفاف الحياة الزوجية من الكلمة الحلوة واللمسة الحانية فإننا نجد

الرجل فى النهاية يمارس حقوقه الزوجية وهو أقرب إلى شخص مغتصب منه إلى زوج محب ، فلا تملك الزوجة إلا أن تردد فى سرها دعاء واحد : روح ربنا يهد حيلك .

ｏ ｏ ｏ

العلاقة الطيبة مسئولية الزوجين ، فالزواج الناجح يتوقف بنسبة خمسة فى المائة على مايصدر من كل طرف ، وخمسة وتسعين فى المائة على أسلوب كل من الطرفين فى تقبل أفعال الطرف الآخر ، وهذ ممكن جدا بالنسبة للذين يتحلون بنعمة العقل ، ولكن من أشق الأمور على الانسان أن يكون زوجا - أو زوجة - وعاقلا فى نفس الوقت .

كثير من الزوجات لايدركن أن الزوج مدرب تماما على طاعة المرأة بحكم العلاقة بالأم ، وحتى فى العلاقة بالأم نرى الولد يضمر لأمه نوعا من التمرد والعناد باعتبارها قوة متسلطة تكبح جماحه ، فما بالك اذا كان التسلط من جانب الزوجة ؟ لذلك ينبغى على الزوجة الذكية أن تحكم الرجل بديكتاتورية غير سافرة بأن تعطى له حق الهبهبة .

تتطلب ليونة العلاقة بين الزوجين قدرا كافيا من الانسجام النفسى لكن المشكلة أن المرأة دائما باسمة والرجل غالبا عبوس نكدى ، كما أن فرص الراحة النفسية والبدنية غير متكافئة بين الاثنين ، فالمرأة مثلا أعمق نوما من الرجل ، وجسم الرجل لايعمل كيميائيا بنفس كفاءة جسم المرأة كما أنه أقل مقاومة للأمراض هذا بالاضافة إلى أن الرجل أكثر تعرضا - بنسبة خمسة أضعاف - للحالات الهستيرية والعصبية ، والرجل أخيرا - وهذا خبر سار - أكثر استعدادا للانتحار وهو بذلك يوفر مشقة ذبحه .

وهناك أزواج تغلبوا على مشكلة الأعصاب المتوترة ، بأن يروض الزوج نفسه على كبت ثورته ، وعلى الصبر ، وأن يعد من واحد إلى مائة ثم ينفجر باكيا .

لكن رغم هذا كله ممكن جدا لكل زوج - أو زوجة - أن ينعم بلحظات من الهدوء والسعادة إذا استيقظ قبل الآخر .

ويقول سقراط : إن الزوجة الصالحة تجعلك سعيدا ، والزوجة السيئة تجعلك فيلسوفا . ومع عظيم احترامى لرأى سقراط فانى أفضل أن يكون الزوج فيلسوفا فى كل الأحوال ، فالفلسفة هى الاهتداء

بمنطق العقل إلى الأفضل والقدرة على استثماره والانتفاع به ، والزوج الفيلسوف هو الذى يفلسف الأمور ويستخلص وجه الحكمة منها .

ولأن الفلسفة سعى إلى الحكمة ، فإن الزوج الفيلسوف يعرف أن زوجته لن تستمع اليه اذا قال كلاما فارغا لايستحق الإنصات ، وهو يدرك بفهم عميق أنه اذا قال كلاما حكيما يستحق الانصات فإنها لن تستمع إليه أيضا .

ومن حسن الفلسفة الزوجية أن يجعل زوجته تدرك من البداية من هو السيد فى البيت ، اذ ليس من الحكمة أن يخدع الزوج نفسه ويتوهم أنه السيد .

ان اقتسام السلطة بالتساوى أمر عسير يؤدى غالبا إلى الصدام ، والمثل الشعبى يقول : المركب اللى فيها ريسين تغرق ، وكذلك يقول المثل الآخر : لما أنا مدير وانت مدير مين ح يسوق الحمير ؟ لكن الزوجة كثيرا ما تبدى روحا رياضية عالية فتتنازل له عن لقب المدير وتقبل هى ـ بكل تواضع ـ أن تسوق الحمير (فى البيت طبعا) .

ومن حسن الحظ أن كل زوج يصاب بعد حين بالخرس المنزلى ، وبذلك يتحلى بفلسفة الصمت التى تعتبر أعظم صنوف الفلسفة الزوجية ، فالمثل الدنمركي يقول : السعادة الزوجية زوج أخرس وزوجة لاترى ، وفلسفة الصمت هى التى قال فيها زوج شاعر :

الصمت زين والسكوت سلامة
فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
واذا ندمت على سكوتك مرة
فلتندمن على الكلام مرارا

○ ○ ○

فى مملكة الحيوان ، فى مملكة الطير ، فى مملكة الحشرات ، يلاحظ أن الزواج يستنفد أغراضه بمجرد التزاوج فتقتل ملكة النحل عريسها

فى ليلة الزفاف ، وتغرس العنكبة ابرتها السامة فى رأس العنكب ، وتضرب انثى الطير الذى يشاغبها وهى منهمكة فى بناء العش ، وتظهر انثى الحيوان للذكر جفاء يختلط أحيانا باستعمال الاظلاف ، ويحدث أحيانا من هذا القبيل فى عالم الانسان ، فما أن تحقق المرأة أمومتها حتى يتحول الرجل إلى مواطن من الدرجة الثالثة فى البيت .

ويعجل بإحساس الزوجة بأن الزواج قد استنفد أغراضه عندما يفشل الزوج فى توفير الضروريات النفسية التى لاتستطيع امرأة الاستغناء عنها وهى العطف والحنان والاحساس بالأمان ، فالمرأة تتطلع إلى حماية الرجل ، والعطف والحنان يوفران لها الأمن النفسى ، ولذلك قالت ستى فى أمثالها : ضل راجل ولا ضل حيط ، وإن كان ضل الحيط أهم الآن من ضل الرجل منذ أن أصبحت الشقة بحيطانها من حق الزوجة .

بل ان هناك عددا من الأمثال صاغتها ستى لتعبر بوضوح عن مدى أهمية عنصر الأمان فقالت : عيش ياحبيبى ولاتبكينى .. حسك فى الدنيا يكفينى ، وتقول فى مثل آخر معبرة عن خيبة أملها أنها اتخذت منه ملاذا وحصنا يحميها لكنه لم يفعل : خدتك لواذ ، خدتك عواذ ، خدتك أكيد العوازل ، كدت أنا روحى ، وتعبر أيضا عن افتقارها للأمان : جبت الأقرع يونسنى كشف راسه وخوفنى .

مع تحياتى لكل أقرع .

○ ○ ○

ان صفة الانسان تتغير حسب ، الظروف أو الموقع ، فهو مثلا فى القطار راكب ، وفى الضرائب ممول ، وفى المستشفى مريض ، وفى الاذاعة مستمع ، وفى الصحافة قارىء ، كذلك هو فى أيام الغرام عاشق ، وفى شهر العسل عريس ، وبعد العسل زوج ، ويظل يحمل لقب زوج حتى يحصل على لقب المرحوم .

وفى بيت الزوجية ، من العسير أن يجمع الانسان بين لقب رومانسى ولقب زوج ، لكن من السهل جدا أن يكون الزوج فى منتهى الرومانسية مع الأخريات .

والرجل أحيانا يطالبها بالرومانسية ويريد سخونة الحب الذى كان حتى بعد خمس سنوات من ليلة الزفاف ، وكما لايستطيع أحد أن يلوم الرجل على مشاعره الرومانسية فإن أحدا أيضا لايستطيع أن يلومها لأن أجهزة الاستقبال عندها لم تعد تستقبل الارسال الرومانسى من جانبك ، وهذا يعنى أن جهاز الاستقبال عندها تغيرت موجته ولم يعد يصلح لتلقى تنهدات الغرام وآهات العشق المجنون ، بل هى تتوق إلى الحب الهادىء العميق والحنان والمشاركة الوجدانية الحميمة .

وبينى وبينك : المرأة عندما تحقق ذاتها بالأمومة ، فكل الرومانسيات تتوارى ، ويتحول الزوج إلى مرتبة عاطفية مختلفة تماما ، وفى بعض الأحيان يتراجع إلى الدرجة الثانية من عواطفها وأحيانا الترسو ، ويحلم العشاق دائما بحياة رومانسية فى ظل الزواج تستمر مدى العمر ، واذا تجاوزنا عن أن هذه نكتة وقديمة وبايخة أيضا ، إلا أن العشاق لايكفون ـ رغم ذلك ـ عن التفكير فى رومانسية لاتنتهى كيف ؟؟ وماهو السبيل ؟؟

هل من الممكن مثلا ـ فى عز العسل ـ وضع ملحق لعقد الزواج بروتوكول ـ يتضمن بنودا ملزمة للطرفين لمنع الخلافات الزوجية والاحتفاظ بالرومانسية على قيد الحياة ؟؟ لا أظن ، لأن هذه البنود ـ مع زوال سخونة الغرام ـ سوف تصبح ذات آثار جانبية غير مستحبة ، ولنضرب مثلا بعاشقين وضعا بروتوكول تضمن المواد التالية :

• مادة ١ : لايجوز لأحد الطرفين التصرف فى مصروف البيت فى غير أوجه الصرف المخصصة له .

يعيب هذه المادة ـ بعد انحسار الغرام أن الزوجة سوف تضطر إلى

تكملة المال اللازم لفساتينها من محفظة الزوج أثناء الليل .

مادة ٢ : يحدد الطرفان يوما معينا فى الأسبوع يواجه فيه كل طرف الآخر بسلبياته ويعبر عما فى صدره من ضيق دون غضب .

ويعيب هذه المادة ـ بعد زوال الغرام ـ اضطرار الجيران إلى التدخل عند التشابك بالأيدى .

مادة ٣ : لايجوز السكوت على مشكلة دون الوصول إلى حل لها مهما كانت صعوبة هذا الحل .

ويعيب هذه المادة ـ فى المدى الطويل ـ أن يضطر الاثنان للجوء للمأذون .

مادة ٤ : اذا لاحظ طرف أن الطرف الآخر متوتر ويوشك على الخناق ، فعلى الطرف غير المتوتر أن يخرج ويتمشى فى الشارع .

ويعيب هذه المادة ـ أن كلا من الطرفين سيقضى حياته يتمشى فى الشارع .

والزواج أمر لابد منه ، وهو حدث دراماتيكى ظاهره الفرح وطبول الزفاف وباطنه المعاناة ، فهو يعنى أن يتنازل كل من الطرفين عن حريته للآخر ، وأن يقتسما معا الأيام الحلوة والمرة ، وأن تعطيه حنانها ويعطيها فلوسه ، وأن يتفق الطرفان ضمنا وفى شبه جدول زمنى على الخناق ، وأن يترك كل منهما البيت للآخر بين فترات متقاربة حتى يتيح لشريكه الصّويت بكامل حريته .

وقرار الزواج قرار شخصى ، وهو قرار مطعون غالبا فى سلامته ، فهناك شك فى أن يتزوج الانسان بإرادة حرة ، إذ يتزوج الرجل غالبا تحت تأثير حب محموم ، أو الخوف من فوات قطار الزواج أو تحت تأثير أن عندها شقة ، أو تحت تأثير انها بنت رئيس مجلس الادارة .

وفى العادات المصرية تبكى أم العريس وأم العروس فى ليلة الزفاف على ماينتظر البنت والولد على يد كل من الولد والبنت .

وفى العادات المصرية أيضا أن العريس فى ليلة زفافه يحيط به

صفوة أصدقائه المقربين يرتدون ثيابهم من نفس لون ملابسه ، (الأسود) فعند الشدائد تعرف الأخوان .

وفى ليلة الزفاف تنطلق الأعيرة النارية ، وقيل فى تفسير ذلك : الرغبة فى صرف الانظار عن العريس والعروس منعا للحسد ، تماما مثل رش البَدْرة ، لكن التفسير الأكثر قبولا هو ما قيل أن اطلاق الرصاص هو إعلان عن عهد ما بعد عهد الغرام حتى تبدأ الحرب بين الاثنين .

ومن الصعب تعريف الزواج ، لكن يمكنك أن تأخذ فكرة طيبة عن الزواج من سلسلة المواقف الزوجية التالية :

١ ـ رجل بملابس الخروج يروح ويغدو داخل البيت ناظرا إلى ساعته .. وامرأة أمام مرآة الزينة ترسم حواجبها .

٢ ـ امرأة لاتعلم أنه يطلق عليها بين أصدقائه اسم المجنونة .. ورجل لايعلم أنه اسمه السرى بين صديقاتها .. الهباب ..

٣ ـ رجل يصيح بسبب زرار مقطوع ، وامرأة تلعن العيشة لأنها لاتجد زرارا من نفس النوع ..

٤ ـ رجل يقرأ فى الفراش .. وامرأة لاتستطيع أن تنام بسبب نور الأباجورة ..

٥ ـ رجل من المعتقد أنه خائن .. وامرأة تبحث عن دليل على خيانته ..

٦ ـ رجل لايتذكر عيد ميلادها .. وامرأة تبكى فى بيت أمها ..

٧ ـ رجل يقوم نهارا بجمع الفلوس فى محفظته .. وامرأة تسلل ليلا إلى المحفظة ..

٨ ـ رجل يحلف .. وامرة لاتصدقه ..

٩ ـ امرأة تتكلم .. ورجل يتظاهر بالانصات ..

١٠ ـ رجل يناقشها وامرأة تناقشه والجيران يسمعون ..

○ ○ ○

والفلوس تلعب دورا مهما فى تنغيص حياة الزوجين ، وحتى

لا توجـد أية وسيلة لاخفاء حقيقة دخل الزوج عن زوجته ، فطوال العصور التى مرت بها البشرية لم يفلح زوج واحد فى تحقيق هذه الأمنية ، وأشيع فى بعض الأزمنة ان زوجا يونانيا اسمه ميتزوس تمكن من تضليل زوجته وضرب ستارا كثيفا حول دخله ، ثم تبين أن هذه الحكاية وردت فى الأساطير اليونانية الحافلة بالخرافات .

ولقد رأيت أزواجا يضربون كفا بكف : كيف توصلت الزوجة إلى مصادر الدخل التى أخفاها ؟

بل إن أحدهم اعتقد أن زوجته قد جاءت بكلب بوليسى وشممته جنيها مأخوذا من محفظته فانطلق الكلب ليرشدها إلى بقية فلوسه .

فكل المحاولات التى بذلت من جانب الأزواج للتعتيم على الدخل فشلت تماما لأن المرأة مزودة بأجهزة فطرية خاصة نبهها إلى خطر بان المال فى يد الزوج بعيدا عن رقابتها ، فتكدس المال فى يد الزوج يعنى هشيقة جديدة قد تنقلب فى الظروف المواتية الى زوجة شرعية ، ذلك أن المرأة لا تنسى أبدا تلك الحكمة المتوارثة عن سابع جدة : قصقصى طيرك ، وهى لذلك ترى أن الشباب الغنى ينبغى أن يكون أمينا عندما يقرر الزواج فيقول لفتاته عند طلب يدها : هل تقبلين أن تكونى زوجتى الأولى ؟

○ ○ ○

والزوجة السعيدة سعادة مطلقة لاوجود لها ، وقد زعمت سيدة أمريكية أنها من أسعد الزوجات وأنها تستحق لقب الزوجة المثالية ، فلما وضعوها على جهاز كشف الكذب اختلفت أجوبتها على نفس الأسئلة التى وجهت إليها وهى بعيدة عن الجهاز :

س ـ هل حققت هدفك فى الحياة بزواجك منه ؟

ــ كان هدفى أن أكون ثرية لكن تزوجته للأسف .

س ـ هل تشجعين زوجك فى مجال عمله ؟

ــ نعم أحثه دائما على طلب علاوة لأنه ضعيف الشخصية

س ـ من منكما أشد تبذيرا وهل تغفرين تبذيره ؟

— هو الذى يزعم أنه يغفر لى

س ـ هل تتبادلان الحديث أغلب الوقت ؟

— طبعاً ولكن المشكلة : من ينصت لزعيق الآخر .

س ـ هل تتأنقين له داخل البيت وترتدين له فستانا جديدا كما لو كنت ذاهبة إلى حفلة ساهرة ؟

— ذات مرة أبدى انبهاره بفستان كنت أجربه لأكتشف مدى زيادة وزنى ، وكان الفستان قديما لبسته عشرات المرات أمام هذا الأعمى .

س ـ عندما تسوء الأحوال المعيشية ماديا من تلومين ؟

— ومن ألوم غير ذلك الخائب ؟

س ـ عند غياب أحدكما فى سفر كم يدوم لقاؤكما بعد العودة ؟

— نصف ساعة على الأكثر وشكرا لله فنصف الساعة يمر بسرعة

س ـ هل تعتقدين أنه يخونك ؟

— أحيانا أعتقد اننى المغفلة الوحيدة على ظهر الأرض التى ارتضت أن ترتبط به .

س ـ ماهو الوقت الذى يجمعكما فى البيت وتشعرين فيه براحة النفس وهدوء الأعصاب ؟

— عندما تواجهه أمى بملحوظاتها .

○ ○ ○

وحتى لو تزوجت ليلى من قيس فالمشاكل هى المشاكل ، وبدلا من قوله لها فى أيام الهوى : ليلى بجانبى كل شىء إذن حضر ، كان سيقول لها بعد الزواج : ليلى بجانبى كل شىء إذن خطر .

فمشاكل الحياة الزوجية بين قيس وليلى هى بالدرجة الأولى مشاكل مادية ، فلا مكان فى الزواج للخلافات الرومانسية الجميلة وحتى الغيرة من ليلى تصبح غيرة اقتصادية فهى تغار على فلوس قيس من عدوان امرأة أخرى ، والقبلة التى يتلقاها قيس هى غالبا تمهيد لطلب فلوس ، والخصام بين الاثنين ليس خصام زمان الرومانسى ، بل سببه أن قيس

استخسر فيها ثمن فستان جديد مع أنه لم يبخل على نفسه بـ ١٥٠٠ جنيه صرفها لإجراء عملية البواسير .

وتصبح الحياة الزوجية مسئولية قيس وليلى معا ، وهى مسئولية تتطلب ترويض الجهاز العصبى على قوة الاحتمال والقدرة ـ وقت اللزوم ـ على التغابى والعمى والطرش . فالغمغمة بكلام غير مفهوم من جانب ليلى فى وقت التوتر العصبى يمكن تفسيرها بأنه دعاء لله بأن يهدى قيس ، ولاتعنى هذه الغمغمة أنها تلعن سنسفيل جدوده ، فالتوقف عند كل صغيرة وكبيرة قد يرشح كلا من الطرفين لنشر اسمه فى صفحة الحوادث .

ومع التنازلات من الطرفين تصبح ليلى امرأة أليفة لايسهل استفزازها ، كما يتحول هو إلى رجل داجن أى من الدواجن لا الجوارح . وكلما تقدمت الحياة بالاثنين سهل التفاهم . فالحياة الزوجية تحيل كلا من قيس وليلى إلى انسان مبرمج داخل البيت ، فهى تعرف تصرفاته مسبقا ، وهو يعرف مثلا لماذا تصبح غاضبة ، فالصياح بسبب البلاعة المسدودة غير الصياح بسبب غباوة الشغالة الذى يختلف عن الصراخ بسبب غباوة الزوج ، وهكذا تصبح الحياة سهلة تفسر نفسها بنفسها بلا جديد ، لكن قد يحدث أحيانا شىء جديد جدا ومثير جدا يزيل الركود تماما وهو ذبح الزوج .

○ ○ ○

مهما كان الغرام ساخنا بين حبيبين أو زوجين (فى العسل طبعا) فإن المرأة يطيب لها كثيرا أن تتمرد على قيود الرجل وأوامره من خلف ظهره ، اذا قال لها مثلا لاتلبسى البكينى ، فهى تلبس البكينى اذا سمحت لها الظروف لتشعر بالمتعة مرتين ، مرة لأنها تلبس البكينى ، ومرة لأنها خالفت أوامرة من خلف ظهره .

ويمكن للرجل أن يحرم المرأة من هذه المتعة عندما يتركها تعصيه علنا بعد أن يتحول هو إلى شرابة خرج .



إن الأمومة أقوى بمراحل من الرومانسية ، ولذلك تفقد المرأة اهتمامها بالزوج بعد أن تحقق أمومتها بالطفل الأول الذى يصبح محور اهتمامها العاطفى ، وواضح ـ فى كل المخلوقات ـ أن الذكر يفقد مكانته بعد التزاوج .

والرجل لايعرف أن المرأة تصدق كل مايقال لها أيام العسل ، فإذا قال لها فى ساعة التجلى : أنا عبدك ياحياتى ، أمكنه أن يفسر بعد الزواج معاملتها له معاملة العبيد .

وكذلك يغيب عن ادراك الزوجة أحيانا أن الزواج نظام شمولى قهرى يقوم على المراقبة والاشتباه وتحديد الإقامة ومنع التجول خارج البيت بعد السادسة مساء حتى لاتلوح له أية فرصة للاقتراب من امرأة أخرى ، ومن المألوف أن يلجأ ذلك النظام القمعى إلى التصفية الجسدية بالساطور .

لهذه الأسباب الثلاثة يشعر الرجل بضآلة الشأن ، بينما هو بفطرته يحتاج إلى الشعور بالتفوق على المرأة ، وهو شعور يرضى كبرياء رجولته ويمنحه القدرة على حماية أنثاه ، كذلك يحتاج الرجل إلى أن تكون المرأة وسادة لينة يضع عليها رأسه ، وهنا تظهر الشغالة على المسرح لتعطيه الاحساس بالأهمية ، كما تقوم تلك الشغالة بدور الوسادة اللينة التى يفتقدها ..

وهكذا يقع الأزواج فى حبائل الشغالات ، فكثيرا ما هرب الزوج من الشغالة ليترك الزوجة تتألم لأنها فقدت شغالة فى منتهى الكفاءة .

○ ○ ○

والمرأة ـ قبل اختيار الزوج ـ تعطى نفسها فرصة المفاضلة بين الذين يخطبون ودها ، والرومانسية يأتى ترتيبها العاشر فى المفاضلة ، حبيب الأمس الذى كانت تلقاه بالتنهدات راحت عليه وظهر فى الصورة شخص جديد تماما ، لأن المرأة تختار أولا مصلحتها ، فهى التى ستواجه اقتصاديات البيت وإدارته ، فالمرأة اذا لم تجد من تحبه مثلت الحب على من تجده .

وهذا هو الفرق بين الرجل والمرأة ، والمرأة تعرف ماذا تريد من الرجل ، بينما الرجل ليست لديه أية خطة واضحة تجاه المرأة التى يلتقى بها ، فهو يبدأها علاقة عبثية تستهدف التسلية ، ثم يجد نفسه ـ إن شاءت هى ـ يمشى فى شارع الزواج ، ولذلك يمكن القول بأن قرار الزواج الذى يتخذه الرجل هو نتيجة مجهود شخصى بحت بذلته المرأة وحدها .

واذا كانت ترى فى خطبتها لغيره غدرا به لأنها فضلت المصلحة على الحب ، فالرجل ـ من جانب آخر ـ دائم الغدر بطبعه ، فمن عيوب الرجل أنه على قدر كبير من التخلف العقلى أمام المرأة التى يحبها ، وهذا الهبل هو مكمن الخطر الحقيقى فى الرجل ، فهو يندفع فى حبه دون مشاعر أصيلة أو عميقة ، ولكن الذى يجتذبه إلى المرأة حواس جائعة تهدد بعدم الاستقرار عند الشبع ، ولذلك فإن أكبر ماتعانيه المرأة هو افتقاد الأمن النفسى تجاه الرجل وشعورها الدائم بأنه سوف يغدر بها وأنها مهددة بامرأة أخرى مجهولة ، وعندما يتصل الأمر بخيانة الرجل وغدره تتحدث جميع الزوجات بأسلوب واحد ، بينما يختلف رد الفعل بين استعمال حق طلب الطلاق وبين استعمال الساطور .

ونأتى إلى العاهة المستديمة فى الزواج : الملل . ففى العهد الرومانسى السعيد إذا نفخ أحد الحبيبين فى وجه الآخر فهو يعلن الخصام أو بداية خناقة ، أما اذا نفخ الاثنان معا كل يوم .. فهذا معناه أن

العهد الرومانسى السعيد قد أصبح اسمه العهد البائد !

والملل يتسرب إلى الحياة دون أن يشعر الطرفان بذلك ، اذا تفرغ بطاريات العهد الرومانسى بالتدريج .

وسبب الملل ـ غالبا ـ هو الرجل ، فهو روتينى بفطرته بعكس المرأة المحبة دائما للجديد والتجديد ، والرجل فى بيت الزوجية دائما أخرس ، وتلك عاهة زواجية شهيرة ، فهو إذا تكلم فلا جديد ، إذ هو لايتقن النميمة ورواية التفاصيل المثيرة ، وحديثه لا يخرج عن لعن مديره الحمار أو التباهى ببطولات لم تحدث .

حتى الرجل ذو الحديث الساحر برنارد شو كانت زوجته شارلوت تسمعه يحدث الآخرين بحكايات سمعتها مئات المرات فكانت تتظاهر بالانهماك فى شغل التريكو حتى تقاوم رغبة عنيفة ـ كما قالت ـ فى سد فمه وخنقه .

والملل يعلن بداية قدومه عندما يشعر كل من الطرفين أنه لم يتزوج بطريق الحب ، بل بطريق الخطأ ، فقد تم اكتشاف كل منهما للآخر وتبددت متعة الفضول فلا هى مندهشة ولا هو مبهور .

ومهما كان الأمر ، فإن الملل فى الحقيقة هو نوع من الترف النفسى ، ذلك أن الانسان لايشعر أبدا بالملل إذا انهمك فى عمل أو واجه مشكلة حادة ، فكل مسلسلات المحن والمصائب التى يمر بها الانسان طاردة للملل ما عدا طبعا مسلسلات التليفزيون . ولأن الرجل روتينى بطبعه ، فإن المرأة أكثر إحساسا بوطأة الملل ، ويمكن كسر الملل من حين لآخر بإحداث الدهشة البالغة عند الزوجة لدرجة أن تعتقد أن زوجها قد جن فى رأسه ، ومثال ذلك أن يقول لها : أحبك .

لكن الملل على أى حالة لايخلو من فوائد ، فهو مفيد جدا مثلا من الناحية الصحية ، اذ يجعل الانسان ينفخ بشدة ، وهذا النفخ يساعد على تفريغ وتنظيف الرئتين من ثانى أوكسيد الكربون .

والملل هو الابن الشرعى للزواج ، فعندما يحدثك أحدهم عن ذكائك

فهذا حديث ممتع ومثير ، وعندما يحدثك هذا الأحد عن عبقريته . فهذا شيء ممل .

وفى الحب يتحدث كل من الحبيبين عن الآخر وينسب اليه صفات نادرة : انت ذكى جدا ياحياتى ، انت جميلة جدا يانور عينى ، أما فى الزواج فإن كلا من الطرفين يتحدث عن نفسه ، غير أن هذا لايمنع أن كلا من الزوجين يتحدث أحيانا عن الآخر وينسب اليه صفات نادرة عند الخناق .

والملل يتولد من الحياة النمطية المتكررة ، ولكن يمكن كسر هذا الملل بالمفاجآت غير المتوقعة . من بينها مثلا مفاجأة قد يصعب على كل من الطرفين أن يبادر بها ، لكن بشيء من الارادة القوية ممكن أن يقبّل أحدهما الآخر .

إن مثل هذه القبلة الفجائية قد يكون لها فعل السحر ، وإذا كانت من جانب الزوج فإنها تدفع الزوجة إلى التفكير فى الدوافع الخفية التى جعلته يقبلها ، فالتصرفات العاطفية الحارة فى الحياة الزوجية تعتبر شاذة وفى حاجة إلى تفسير .

إلى جانب هذا اللون من التغيير هناك الخناقات الزوجية فهى مهمة جدا ويمكن للأزواج واسعى الأفق اختيار يوم فى الأسبوع للخناق ، وهذا يجعل كلا من الزوجين فى شوق إلى هذا اليوم ليقول ماعنده ، ويمكن تحويل أيام ماقبل هذا اليوم إلى أيام مثيرة ، كأن يجتمع الاثنان لتحضير جدول أعمال يوم الخناقة وتحديد رؤوس الموضوعات وحدود الألفاظ المسموح بها لسم البدن .

واذا كان الرجل هو المسئول عن الملل لأنه نمطى وروتينى ، فيجب ألا ندهش عندما تضطر المرأة إلى خلق شيء مثير يحرك الحياة الزوجية الآسنة مثل التفكير فى كيفية التخلص من جثته .

ولم تخترع بعد الصوبا العاطفية التى يعيش فيها الزوجان إلى ما شاء الله فى غرام وتنهدات إلى الآن .. فلم تظهر هذه الصوبا المكيفة

الظروف والمهيأة لرومانسية لاتنتهى ، فالحب كالقبلة فى حرارتها وبرودتها ، والقبلة تبدأ على الشفتين نارا ، ثم تنتقل إلى الخد ثم تنتقل إلى الجبين ثم تنتقل إلى رحمة الله .

غير أن الحب لاينتقل إلى رحمة الله ، الحب يغير اسمه فى كل مرحلة ، فهو فى اللحظة الأولى اسمه اعجاب ، ثم يتحول اسمه إلى اهتمام فغرام فعشق ، وعندما يتجاوز بوابة الزواج يصبح مودّة يشوبها التوتر ، فيسعى كل منهما الى القيام بدور رئيس العمل البغيض ، مع عطف كل من الطرفين على متاعب الآخر حيث يصبح كل من الطرفين مصدر متاعب الآخر .

ولا أدرى كيف تستطيع أن تعيش الرومانسية بين زوجة تستغرقها مشاكل الأولاد والبيت ورجل أصابته السكتة اللسانية ، فهى تشكو وتتبرم ، والمناقشات أصبحت صعبة ، وهو حريص على ألا يدخل فى جدل يعرف مقدما مساره ونتيجته ، وكما يتحدث الرجل الحكيم عن خبرة ، يسكت الزوج الحكيم عن خبرة أيضا ، وعندما تنحسر الرومانسية تظهر الأخطاء أكثر من حجمها ، ومع المودة المتوترة تصبح الخناقات أكثر ، وكما يوجد الرجل الذى تتغير معاملته لزوجته ، توجد أيضا الزوجة التى يطلب الشغال بقية حسابه منها لأنها تعامله كزوجها .

○ ○ ○

.. ونماذج من الحب والزواج !

الزعيمـــــة !





وسط حشد من الحضور فى قاعة الفندق الكبير ألقت الزعيمة محاضرة دعت فيها أعضاء حزبها من الزوجات تخصيص يوم فى الشهر يسمى اليوم المفتوح حيث يعقد الزوجان جلسة ثنائية بعيدا عن الأولاد ليصارح كل منهما الآخر بالأخطاء التى ارتكبها ، ومواقفه غير السوية ، وكل ما يريد الإفضاء به ، فحرية الرأى بلا قيد ولا غضب وحرية التعبير مكفولة بلا حساسيات .

وكتبت الأقلام تعلق على محاضرة الزعيمة ، فمن قائل : إن مثل هذا اللقاء سوف يكون الفتيلة التى تشعل الديناميت ، ومن قال إن هذا هو السبيل الحضارى إلى التنفيس عما يعانيه الطرفان من ضغوط نفسية قد تؤدى فى النهاية إلى انفجارات تحطم البيت والأسرة ، وقال ثالث : إن تحقيق فكرة الزعيمة يمثل صمام الأمان من أن تنتقل أخبار الزوجين إلى صفحة الحوادث ، أو يختفى الزوج فى كيس بلاستيك .

وبدأت الزعيمة بنفسها فعرضت الفكرة على زوجها الدكتور عبدالهادى الذى أبدى ترحيبا وتشجيعا ، واتفقت الزعيمة مع مدام نازلى مديرة المنزل على إجلاء البيت من الأولاد بعد ظهر يوم السبت الأول من كل شهر ، إذ قررت الزعيمة أن يكون هذا موعد اليوم المفتوح .

فى الاجتماع الأول مع زوجها بدأت الزعيمة حديثها بأن على كل طرف أن يتحرر من الخوف حتى يصارح الآخر ، وقالت : إنها تأمل أن يحاول كل طرف اختيار ألفاظه بدقة بعيدا عن الكلمات الحادة ، وأن يبدى كل طرف بالغ أسفه إذا اضطر إلى استعمال لفظ غير لائق لا يوجد له بدلا .

وبدأت الزعيمة حديثها قائلة للدكتور عبدالهادى : أعبر لك عن بالغ أسفى إذ لا أجد لفظا بديلا ، ولعلنى اكشف لك لأول مرة عن الحقيقة التعسة ، فمنذ زواجنا قبل ١٩ سنة صدمنى كثيرا أن أراك بليد المشاعر . سكتت الزعيمة للحظة فقال الدكتور عبدالهادى : هل تسمحين بأن تذكرى وقائع محددة لعلى أستطيع الدفاع عن نفسى بدلا من الاتهام العام ببلادة الذهن والمشاعر .

قالت الزعيمة : إن بلادتك تتبدى بوضوح فى مواقفك تجاه مشاكل الأسرة وتنصلك من مسئولياتك التربوية .. أنت فى حالة هروب دائم ، أحيانا فى أبحاثك وأحيانا فى الشطرنج ، ولولا مدام نازلى ـ تلك السيدة العظيمة ـ لا أدرى كيف كان يمكن أن يكون حال هذا البيت والأولاد ، فأنا غارقة فى عملى ومسئولياتى فى الحزب ، بينما أنت منصرف إلى أبحاثك الفاشلة .

ومن مظاهر بلادتك ذلك الأسلوب الانهزامى الذى تناقش به الأولاد ، فأنت تسلم لهم بآراء ما كان ينبغى أن توافق على مجرد مبدأ مناقشتها ، وبقدر ما أراك مستسلما لآراء الأولاد ، ألاحظ ـ بكل أسف ـ محاولات دائمة لتسفيه آراء مدام نازلى خصوصا أفكارها التربوية الممتازة ، هذا بالاضافة إلى الروح غير الودية التى تبديها نحوها متجاهلا أنها قريبتى ، الأمر الذى اضطرنى أكثر من مرة إلى أن أقف بجانبها ، وأنا أعرف حقيقة دوافعك إلى هذا .

إنها النزعة العنصرية عندكم يامعشر الرجال بوهم التفوق على المرأة وأنكم الجنس الأقوى والأرقى والأذكى ، هراء ، هراء ، فإذا كان العلم قد أثبتت أن مخ الرجل أكبر حجما من مخ المرأة ، فقد جاء النبأ العلمى السعيد بأن مخ الرجل أصغر بكثير من مخ الحمار .

انتهت الزعيمة إلى التأكيد على وجوب تصدى الدكتور عبدالهادى لآراء الأولاد التى يزعم ـ وهما ـ أنها رؤية جديدة وطازجة للحياة ، وإنه ضد أن يعتنق الأولاد أفكارا جاهزة أو معلبة ، ثم أبدت إصرارا

على أن يحترم زوجها مدام نازلى وآراءها النافعة المثمرة .

وجاء دور الدكتور عبدالهادى لكى يتكلم .

قال : الحق أننى فى جلسة المصارحة هذه لا أجد ما أقوله .

قالت الزعيمة : ماذا تعنى ؟

— لا أجد فيك ما أنتقده ، ولا أجد عيبا فى شخصك أو مواقفك ، أنت سيدة نادرة قل أن يجودالزمان بها .

قالت الزعيمة : ألا تختلف معى فى رأى ؟ ألا تبدى رفضا لموقف لى ؟ أليس لك ملحوظة على تصرف ما ؟

— إطلاقا .

قالت الزعيمة : أعرف أنك إنسان سلبى وجبان ومتردد ، ولكن صدقنى أننى فى هذه الجلسة نتبادل الآراء بحرية تامة ، فقل كل ما يعن لك بلا خوف ، واكشف عن مشاعرك مهما كانت شريرة .

— لا أجد فيك مطعنا واحدا .

ثم نهض عبدالهادى واقفا وقال : هل يمكن أن نعتبر أن جلسة المصارحة قد انتهت ؟

فصاحت الزعيمة : اجلس ، ثم راحت تردد فى عصبية : تكلم أيها الجبان .

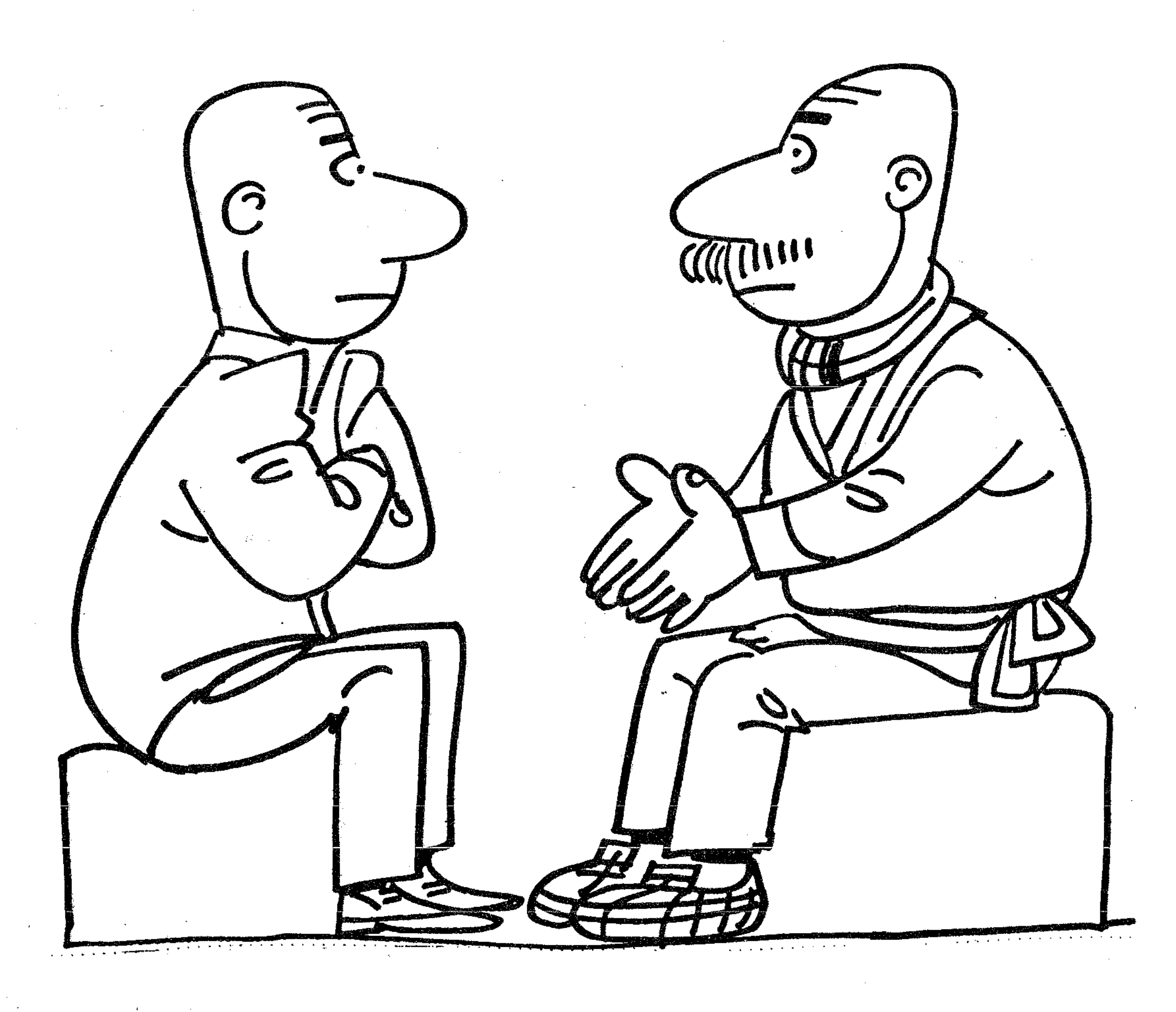
التفت الزوجان نحو الباب الذى ظهرت به مدام نازلى وعلى وجهها تأثر واضح وهى تخاطب الزعيمة بصوت يملؤه الأسى : هذا كثير يا أبلة .. كثير .

صاحت الزعيمة : عودى إلى حيث كنت يا نازلى .. هذا أمر لا شأن لك به .

قالت مدام نازلى بل هو أخص شئونى .. فالدكتور عبدالهادى زوجى من ١٥ سنة .

○ ○ ○

أنت
وهى
والحب !





ولدى تامر :

منذ أن تمت خطبة عبير إليك وأنا ألمح فى غرفتك كتبا بالانجليزية تحمل هذه العناوين : « كيف تعيش شهر عسل دائم » و « السعادة الزوجية بين يديك » و « دع ليلة الزفاف تدوم إلى الأبد » ، وقد شعرت بالاشفاق عليك يا ولدى لأن هذه الكتب كتبها كل مؤلف من هؤلاء لأسباب اقتصادية هى دفع نفقة مطلقته ، وكم كان بودى أن يكف هؤلاء النصابون عن تزويق الحياة للشباب المقبل على الزواج ، وأن تكون مهمتهم ـ بدلا من ذلك ـ نقل صورة أمينة لما سوف تكون عليه الحياة الواقعية بين الزوجين عندما تنصرم أيام العسل .

لقد تصفحت أحد هذه الكتب لأقرأ للمؤلف : مهما مرت السنون ، فإن على كل منكما أن يعامل الآخر كما لو كنتما تلتقيان أيام الغرام .

هنا تصورت عبير زوجتك منهمكة فى إطعام الولد الكبير ، والدخول بالولد الصغير إلى الحمام ومطاردة البنت لأعطائها دواء الكحة .

وفى تلك الأثناء تعود أنت من عملك وفى يدك باقة ورد قائلا : روحى وحياتى ونور عينى وحياة عنيا وحشتينى ، وما أن تقول ذلك حتى تترك عبير الولد الصغير فى البانيو وتتجه نحوك لتعانقك هامسة : حبيبى ، ثم تتأمل عينيك وتتأمل عينيها ، وهنا يصرخ الولد الصغير لأنه انزلق فوق أرضية البانيو وتصيح البنت لأن أخاها ألبسها طبق الأرز فى رأسها ، بينما أنت تتأمل عينى عبير فى تنهيدة طويلة .

إن الذى يحدث يا ولدى غالبا هو أن الزوجين يبدآن الحياة بصداقة حميمة جدا ثم يغير كل منهما رأيه فى الآخر بالتدريج ، والزيجات التى

تبدو للناس مثالية جدا هى زيجات يحرص أطرافها على التظاهر حتى لا يصل أقل خلاف إلى عيون أو استنتاج الآخرين ، فلابد من وجود الملح والفلفل والشطة ، لأن أى مكان فيه شخصان لابد أن يكون فيه اختلاف فى الرأى .

والتفاهم مع المرأة سهل يا ولدى وله قواعد بسيطة .. أولها أن تدرك أن فى أية مناقشة مع زوجتك هناك دائما وجهتا نظر ، وجهة نظرها هى ، ووجهة النظر الغلط ، فإذا بدأت المناقشة معها فكن جنتلمان .. إذ ليس من الحصافة أن تقاطع أفكارها المتدفقة ، بل عليك أن تجيد الإنصات إليها لكن لا تجعلها تكتشف أنك تتظاهر بذلك .

والمرأة يا ولدى لا تستطيع أبدا أن تتخلص من أسلحة أنوثتها فى الإقناع ، فهى فى أيام الغرام والخطبة تقنعك فى المناقشة بنظرة عين أو ابتسامة حلوة تكشف عن أسنانها اللؤلؤية ، فلا ينبغى أن تصدمها بعد سنوات الزواج بأنها فقدت نفوذ عينيها ؛ بل اشعرها أن عيونها لا تزال على نفوذها القوى وهى توجه إليك - خلال المناقشة - زغرة قوية غاضبة ، كما عليك أن تتذكر أن أسنانها اللؤلؤية غيرت وظيفتها وأصبحت سلاحا قويا فى العض .

ومن المهم يا ولدى أن تدرك أن المرأة لها لغة خاصة فى المناقشة بعضها غير مفهوم ويتعذر الرد عليه ، كأن ترفع لك حاجبا وتخفض الآخر ، وهى حركة من العسير على الرجل أن يرد عليها بالمثل لأسباب تتعلق بتكوين عضلات حواجب الرجل ، ومن ذلك يا ولدى نستخلص حكمة تقول : ليس من الضرورى - بل ومن الصعب أحيانا - أن ترد على كل ما تقوله المرأة .

وعليك أن تدرك يا ولدى أن المحصول اللغوى عند المرأة ضعيف عموما ، وهى عندما لا يسعفها اللفظ المناسب فى المناقشة فهى قد تلجأ إلى استعمال يدها ، لكنها عادة تستعمل لفظا بديلا بمنتهى حسن النية .. فهى إذا أرادت أن تقول لك : إن تفكيرك بهذا الأسلوب يجعل

حياتنا صعبة . قالت بدلا من ذلك : إن الحياة معك أصبحت زفت وقطران ، وهى بالقطع حسنة النية فيما ذهبت إليه ، وعليك أن تغفر لها ، خاصة أن وجهة نظرها فى لون الحياة الزوجية سوف تطابق وجهة نظرك .

إن مناقشة الزوجة فن يا ولدى ، فهى إذا أتاحت الفرصة لك لكى تتكلم فعليك أن تتحدث دون أن تقول شيئا ، أما إذا ازمعت أن تبدى رأيا نافعا قد يثير خلافا بينك وبينها ، فعد من واحدة إلى خمسمائة حتى تتروى قبل أن تعلن رأيك ، ثم اعدل عن قوله فى النهاية .

هذا الأسلوب سوف يحفظ هدوء البيت دائما ويقيم السلام بينك وبينها ويشجعها على أن تطلب رأيك فى كل كبيرة وصغيرة ، لأنها واثقة من أنك ستردد رأيها هى .

إن خلق البيت المريح يا ولدى يعتمد على كفاح الرجل وصبره ابتداء من التقرب إلى شريكة الحياة حتى إقامة الشركة ، وكل المجتمعات فى الكرة الأرضية تعقد للعريس الاختبارات المتوالية لقوة الاحتمال والصبر على المكاره ، وفى بعض القبائل الافريقية يتحتم على العريس أن يعود بجثة أسد أو نمر ليثبت أنه جدير بحمايتها ، وفى بعض بلاد شبه القارة الهندية يتجمع أهل العروس ويشتمون العريس شتائم رهيبة دون أن يرد عليهم طبعا وإلا رفضوه .

هذه كلها رموز تدل على أن الرجل يتحمل النصيب الأكبر من المسئولية لإقامة الشركة واستمراريتها ، فلا تحاول يا ولدى أن تهرب من مسئوليتك إلى أوهام وردية يصورها لك هؤلاء النصابون كُتَّاب هذه الكتب من طراز (دع ليلة الزفاف تدوم إلى الأبد) ، فلا توجد يا ولدى نصائح خاصة بالزواج ، لأن الزواج قسمة ونصيب ، أو هو ورقة يا نصيب ، مع فارق صغير ـ كما قال الحكماء ـ وهو أن اليانصيب يكسب أحيانا .

إن كل ما يقال من نصائح فى أمر الزواج هو كلام إنشائى ،

والخلافات فى الزواج أسبابها معروفة ، أما التوفيق فى الزواج فإن أسبابه لم تكتشف حتى الآن .

لقد تصفحت كتاب « كيف تعيش شهر عسل دائم » لأجد المؤلف يقول : هذه ثمانية أسئلة إذا أجاب عنها كل من الزوجين بالايجاب .. دل ذلك على الحب القوى الذى يربط بينهما :

١ ـ هل هناك أعمال لا يحلو لكما القيام بها إلا معا ؟

٢ ـ إذا شجر خلاف بينكما .. فهل يرتاح كل منكما رغم ذلك إلى وجود الآخر ؟

٣ ـ هل يقدم كل منكما تنازلات للآخر ولو على حساب راحته ؟

٤ ـ هل تتوقان أحيانا إلى النزول فى فندق ولو ليوم واحد ؟

٥ ـ هل يشعر كل منكما بحساسية مفرطة تجاه الآخر ؟

٦ ـ هل إذا قام بينكما خلاف يفكر كل منكما على الفور فى تصفيته قبل أن يتفاقم ؟

٧ ـ هل تتركان المأدبة أو الحفل بهدوء إذا همس أحدكما بهذه الرغبة فى أذن الآخر ؟

٨ ـ إذا وقع بينكما خلاف عصبى حاد فهل يشعر كل منكما بتعاطف شديد نحو الآخر ؟

هل تعتقد حقا يا ولدى أن الاجابة على هذه الأسئلة بـ (نعم) تدل على الحب الوثيق بين الزوجين ؟

فلنجرب ، ولنفترض أن هذه الأسئلة وجهت إلى زوجة :

س : هل هناك أعمال لا يحلو لكما القيام بها إلا معا ؟

جـ : نعم . الزعيق .

س : إذا شجر بينكما خلاف حاد فهل يرتاح كل منكما رغم ذلك إلى وجود الآخر ؟

جـ : نعم . لأن استمرار الخناق يحتاج إلى شخصين .

س : هل يقدم كل منكما تنازلات للآخر ولو على حساب راحته .

جـ : نعم ، فكثيرا ما أنام على الكنبة فى غرفة المعيشة هربا من شخيره .

س : هل تتوقان أحيانا إلى النزول فى فندق ولو ليوم واحد ؟

جـ : نعم ، ولكن فى غرفة بمفردى (راجع الاجابة السابقة) .

س : هل يشعر كل منكما بحساسية مفرطة تجاه الآخر ؟

جـ : نعم ، إذا جلس إلى جوارى وقتا فإننى أشعر بصعوبة فى التنفس .

س : إذا قام بينكما خلاف فهل يفكر كل منكما على الفور فى تصفيته قبل أن يتفاقم ؟

جـ : نعم ، ولكننى فى كل مرة أتردد فى دس السم له .

س : هل تتركان المأدبة أو الحفل بهدوء إذا همس أحدكما بهذه الرغبة فى أذن الآخر ؟

جـ : نعم فلا يصح الخناق أمام الناس .

س : إذا وقع بينكما خلاف عصبى حاد فهل يشعر كل منكما رغم ذلك بتعاطف نحو الآخر ؟

جـ : نعم ، فمن الطبيعى أن تشعر بتعاطف نحو إنسان يرقد فى قسم الكسور بمستشفى جراحة العظام .

كتب الله لك السلامة يا ولدى .

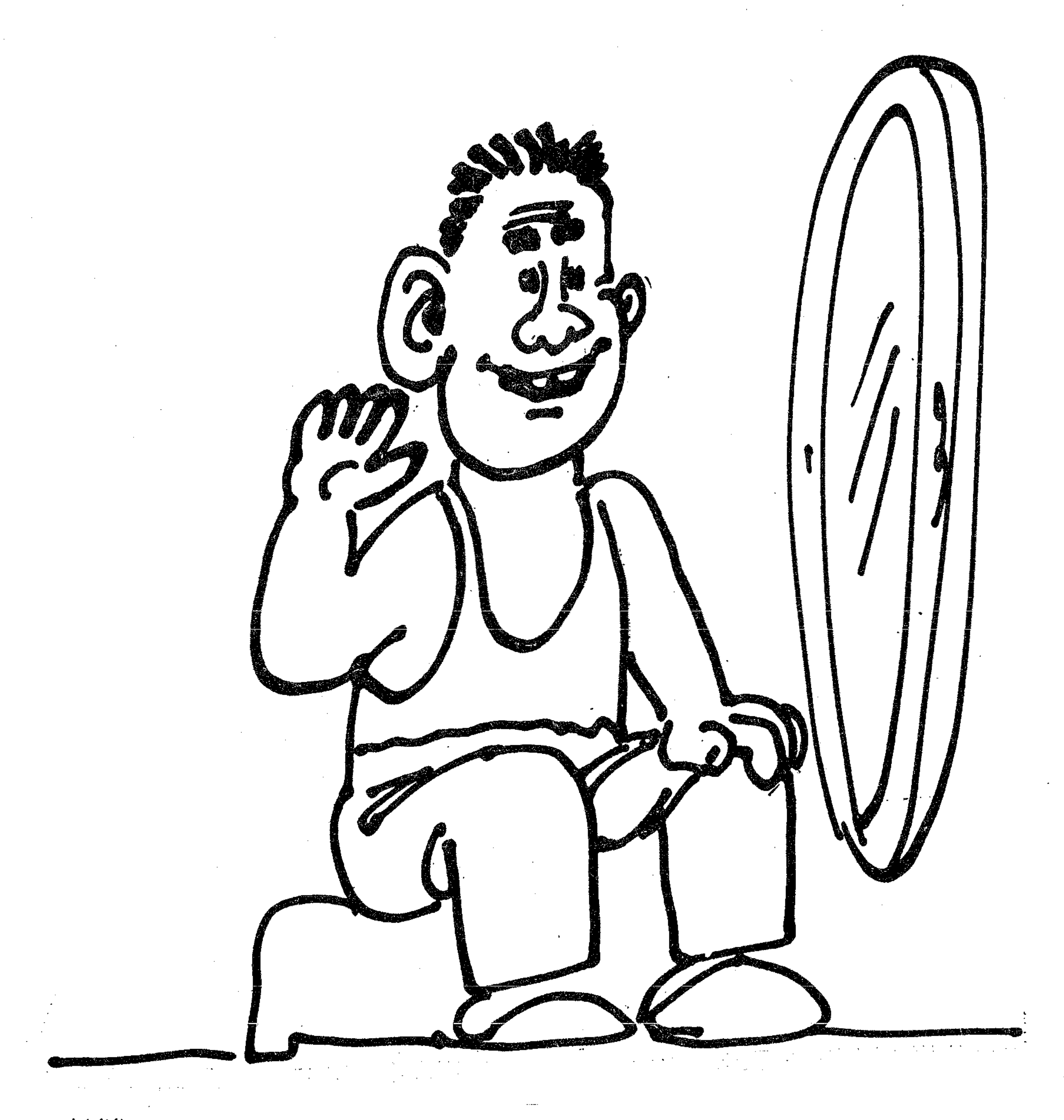
أبوك حسنين

غرفة ٤٤٤ كسور

مستشفى جراحة العظام

○ ○ ○

مشكلة للبيـــع !





أفضيت إلى صديقى عبدالهادى بأننى قد انتويت الزواج ، وقلت له : أننى اجتهد فى رسم خطة حكيمة وعاقلة لكى أكون زوجا ناجحا ومثاليا ، وإننى سوف أدرس أخطاء الآخرين لكى أتجنبها .

وقال عبدالهادى : إن كنت تريد حقا أن تتجنب أخطاء الآخرين فلا تتزوج .

وقلت له إنه زوج فاشل ، ومن الحماقة أن أحكم على الزواج من تجربته ، فانفجر ضاحكا وكأنه استمع إلى نكتة ثم قال : إذا كنت تتطلع إلى زواج يلتهب غراما فأنت ساذج ، فقد ثبت بالتجربة أن المرأة تستطيع أن تكون رومانسية طول العمر . ولكن الرجل هو الذى يفشل دائما فى تكملة المشوار الرومانسى

— أنت تتحدث عن نفسك .

— بل أتحدث عن كل رجل ، إن الرجل يشد المرأة إليه من أذنيها ، إذ يظل يصب فى سمعها غزلا وإعجابا وانبهارا ، وعندما تستجيب قد تكون قد أرضت غرور الرجل فيه وينتهى كل شىء .

— أنت تتحدث عن نفسك .

أتحدث عن الرجل ، ولعل بعض الأغانى التى نحفظها جميعا عن ظهر قلب تكشف لنا عن المراحل المختلفة لأطوار الرجل الرومانسية ، فعبدالوهاب يقول مثلا بلسان عاشق لا يزال فى المرحلة الرومانسية الأولى : أشوف خيالك فى الوحدة دى قدامى .. أكلمك وأسمع حسك وأشكى غرامى .. وأقوم أضمك مالقاش غير أوهامى . ويقول أيضا : طيفك دا تملى .. شاغلنى .. مطرح ما أروح يقابلنى .. آجى أضمه

يخايلنى ولاقيه أوهام .. هنا ينقل إلينا عبدالوهاب صورة عاشق أضناه الغرام ، يكلم نفسه فى وحدته كالمجانين

ومضى عبد الهادى يقول : ويظل هذا العاشق يكلم نفسه حتى طلوع الصبح ، فيبدأ فى عد الساعات والدقائق والثوانى ليلتقى بالمحبوب ، فنسمع عبدالوهاب ـ بلسان ذلك العاشق يقول : أحب أشوفك كل يوم يرتاح فؤادى .. فإذا أصابه من المحبوبة لوعة صدود ولامه الناس على حبها ، نسمعه يقول : أحبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه .

... فإذا مرت الأيام وانقضى شهر العسل ـ وتلك هى المرحلة الثانية ـ نسمعه يقول : تراعينى قيراط أراعيك قيراطين وتشوفنى بعين أشوفك باتنين .. هنا نلاحظ بداية التمرد ..

ثم فيما بعد نسمع هذا الذى كان يبكى ويضم طيفها خلال ليالى السهر يقول فى تمرد سافر : لأمش أنا اللى أجرى وأقول عشان خاطرى .. وعايزنى أترجاك ؟ هذا هو الرجل يا صاحبى ، يبدأ القصة مرتفعا بحبيبته إلى ما فوق السحاب ، وينتهى به الأمر إلى أن يلقى بها من حالق .

ـــ تحدث عن نفسك فقط يا عبدالهادى .

ـــ وأتحدث بالنيابة عنك وعن كل رجل ، إن الرجل ينسى بسرعة كيف قام بتصرفات تثير الضحك للوصول إلى المرأة وطلب ودها ، ومن حسن الحظ أن المرأة تستقبل هذه التصرفات بطريقة جادة وليس باعتبارها نوادر جحا .

تركت عبدالهادى بكلامه الفارغ ، وتوجهت إلى صديقى وزميل دراستى الكاتب جلال سليم الذى يحرر أكثر أبواب المشاكل العاطفية نجاحا وهو باب ، كلمنى عن نفسك .

وكلمته عن نفسى .

قلت له : إننى لا أريد منه نصحا ولا مشورة ، فأنى أعرف كيف أحب حبيبتى بلا مشاكل .

— فماذا تريد منى إذن ؟
— أن تتيح لى الفرصة لكى أطلع على المشاكل التى ترد إليك ، أريد المشاكل التى تعانى منها الزوجات بالذات ، فقد عزمت أن أتجنب أخطاء الآخرين ، ولعل هذا هو السبيل إلى زواج ناجح يسوده الفهم المتبادل ودفء المشاعر .

وأعطانى جلال ملفا هو بعض ما عنده من هذه المشاكل ، وأشار عبدالهادى إلى الملف قائلا : انظر كيف يصبح العسل بصلا وتتحول الأحلام الوردية إلى كوابيس مزعجة .. هل تصدق ؟ .. لقد قرأت إحصائية تقول : إن فى كل خمس زيجات تنتهى زيجة بالطلاق .

— هذه نسبة رائعة .
— ربما .. لكن استمرار الزيجات الأربع الباقية يتطلب أعصابا هادئة ، إذ يجتهد كل من الزوجين فى بذل مساعيه لقتل الآخر ببطء .

جلست أقرأ الملف .

هذه رسالة من زوجة يتجاهل زوجها أى ثوب جديد ترتديه . إذا أرادت أن تلفت نظره وسألته قبل أن يخرجا معا : ما رأيك فى ثوبى ؟ قال وهو فى عجلة من أمره : جميل .. جميل .

تقول الزوجة : إن شقيقته شرحت له بعد حديث عابر بينى وبينها كيف ينبغى على الزوج أن يحيى أنوثة زوجته ويطرى جمالها ، ويبدو مبهورا بثوبها وتسريحتها وكل ما تضعه من اكسسوار ، وأصبح زوجى يفتعل الحرص على ذلك ، حتى كان ذات يوم تهيأ فيه للخروج ، ووجدته يقول فى عصبية : أنه تسامح معى فى المرة السابقة وتركنى أضع تلك القبعة على رأسى لكنه لن يخرج معى إذا صممت على لبسها هذه المرة . ويحز فى نفس هذه السيدة أن زوجها كان يشير خلال ثورته إلى برنيطة أباجورة كانت قد اشترتها فى الصباح .

مشاكل كثيرة تعترض زوجة الرجل البخيل ، كم تمقت المرأة الرجل البخيل وتحتقره ـ تقول زوجة : إنه يتولى مصروف البيت ، وقد هالتنى

ثورته العنيفة لأن علبة الملح فرغت قبل موعدها ، الآن بدأت أصدق قصة الرجل البخيل الذى استهلكت زوجته ربع كيلو لحم فى أسبوعين فقرر أن يشترى بقرش دى. دى. تى وينتحر ، ولم يعدل عن الانتحار إلا عندما قيل له أن أصغر عبوة للدى. دى. تى بخمسة قروش .

درست بعناية كل مشكلة قرأتها ودونت ملحوظة بشأنها ، حتى وصلت إلى رسالة لزوجة مضى على زواجها أحد عشر عاما تقول الزوجة : أن زوجها طيب وودود ، وأن حياتها خالية من المشاكل ، لقد اعتاد الزوج أن يعود من مكتبه فى حوالى العاشرة بينما هى جالسة أمام التليفزيون فى انتظاره فيلقى عليها بتحية المساء ويسألها عن الأولاد .

لكن شيئا حدث فجأة سبب لها القلق ، فقد عاد الزوج فى موعده ، لكنه عندما مر بالمقعد الذى تجلس عليه انحنى وقبلها وربت على كتفها ، وهو لم يفعل ذلك منذ مدة طويلة ، وهى تريد تفسيرا لتصرفه ؟ الحق أننى هرشت رأسى أمام هذه الرسالة .

قال عبدالهادى مفسرا : المسألة واضحة ، هذه السيدة منزعجة لأنها تعتقد أن زوجها أخطأ وقبلها سهوا ، فقد خيل إليه أنه يمر بسكرتيرته ، والأرجح أنه كاد يعتذر عن القبلة عندما اكتشف أنها زوجته . وأضاف عبدالهادى : إن مشاغل الحياة قد تدفع الرجل أحيانا إلى السهو والنسيان ، وقد يسهو الرجل ويدعو زوجته إلى العشاء بدلا من السكرتيرة .

قال جلال مفسرا : هذه السيدة تعترف أن حياتها خالية من المشاكل ، وأن زوجها ودود وطيب ، وأنه لا يتأخر عن موعد عودته .

— هذا ما يحير .

— أبدا .. إن مشكلة هذه السيدة أنها تفتقر إلى وجود مشكلة فى حياتها ، إنها تريد أن تعيش فى مشكلة ، وربما يبدو قولى غريبا ، لكنى أؤكد لك أن إحساس المرأة بضعفها يجعلها تحاول باستمرار أن تستقطب العواطف والمشاركة الوجدانية من حولها . إن المشكلة

بالنسبة إليها ضرورة ، فالمشكلة تجمع حولها القلوب المتعاطفة ، والمشكلة اختبار لإعزاز الآخرين لها ، لهذا كله تتوق المرأة إلى أن تعيش مشكلة .

ثم قال جلال : ليس هناك ذلك الزواج الرومانسى الذى تنشده أنت ويتطلع إليه كل عاشق ، فالزواج فى أروع صوره الناجحة هوتفاهم عميق بين مشاعر ناضجة وعواطف عاقلة تصل مع زوجتك إلى هذه الدرجة العليا من الارتباط فاحرص على شىء واحد .

— ما هو ؟

— أن تقدم لزوجتك مشكلة تعيش فيها ..

— ماذا تعنى ؟

— قبل أن تصبح مشكلتها الغيرة عليك مثلا .. أتركها تعيش فى مشكلة صغيرة تصنعها لها أنت .

— مثل ؟

— قل لها مثلا أنك تلاحظ أن الولد وجهه أصفر .

— وإذا اكتشفت هى أن وجه الولد وردى وأن عندى عمى ألوان ؟

— يا أخى أخلق لها أى مشكلة هامشية .. قل مثلا أنك لاحظت أن هناك رجلا يتعقبك وتبدو عليه سمات الخلل العقلى ومن المحتمل أن يكون مسلحا .

— وبعد ذلك ؟

— جدد .. ابحث عن مشكلة أخرى تختلقها لها ولا تكن سقيم الخيال .

رأيت أن اتخذ من عبدالهادى حقل تجارب لتطبيق نظرية جلال سليم .

قلت له : لماذا لا تصطنع لكاميليا مشكلة تعيش فيها بدلا من أن تكون أنت مشكلة حياتها ؟

قال : كيف ؟



تقول لها مثلا : أن رجلا مجنونا يتعقبك ويبدو أنه يريد قتلك .

— لو قلت هذا لزوجتى فسوف تموت .

— لماذا ؟

— لأن الفرحة تميت أحيانا .

برغم أن عبدالهادى كان شديد الاقناع بأنه هو شخصيا المشكلة الوحيدة فى حياة كاميليا ، إلا أننى ألححت عليه فى أن يجرب خلق مشلكة جانبية من صنعه ، واستجاب عبدالهادى بشرط أن أتولى معه تأليف هذه المشكلة .

وما أن انتهينا من تأليف المشكلة حتى قام بتنفيذها .. إذ بينما كان يجلس مع زوجته راح ينقل بصره فجأة بين جانبى وجهها فى دهشة واضحة ، وعندما استطلعت كاميليا سبب دهشته قال لها : كيف وأنا زوجك من تسع سنوات لم ألاحظ أن أذنك اليسرى أكبر من اليمنى ؟

ورغم أن كاميليا استنكرت فى البداية ما قاله زوجها إلا أنها نهضت تنظر فى المرآة ، وغاظها كثيرا أنها لا تستطيع أن ترى الأذنين فى وقت واحد لتقارن بينهما مقارنة صحيحة ، ودعته إلى أن يعيد النظر فى أذنيها مرة أخرى ، فأمعن عبدالهادى النظر مؤكدا لها أن الأذن اليسرى أكبر من اليمنى .

— بطريقة ملحوظة ؟

— بعض الشىء .

— لم يقل لى أحد ذلك من قبل .

— ربما لأن الشعر يغطى أذنيك . انتهت تلك الليلة برجاء من كاميليا بألا يذكر عبدالهادى أمام أى مخلوق أن أذنيها اليسرى أكبر من اليمنى . وبعد أيام وجدت عبدالهادى مبهورا بأفكار جلال سليم ، فلقد أثمرت نظريته وابتعدت كاميليا تماما عن المشادات الحادة مع زوجها واتهامه فى إخلاصه الزوجى ، استولت عليها مشكلة أذنيها تماما .

وتحول عبدالهادى صديقا أثيرا لديها ، تبثه شكواها من حال أذنيها ، وتبدى مخاوفها من أن تكبر اليسرى أكثر فى المستقبل ، بينما هو يضمها إليه ، ويربت على ظهرها ، ويمسح شعرها ، ويهون عليها المصيبة ، ويحاول إقناعها بأن أحدا لن يلاحظ ذلك أبدا .. المهم أن يغطى الشعر أذنيها دائما ، فلا تكون هناك مشكلة .

بعد أسبوع رأيت عبدالهادى مهموما مكتئبا على غير عادته .

— ماذا بك ؟

— خربتم بيتى الله يخرب بيتك أنت وجلال سليم .

— ماذا حدث .. هل اكتشفت كاميليا الأكذوبة ؟

— ليتها كانت اكتشفت الأكذوبة .. فقد ذهبت لجراح تجميل دون أن أدرى وأكد لها الملعون أن أذنها اليسرى أكبر من اليمنى .

— ولماذا لم تقل لها الحقيقة ؟

— وكيف تقال الحقيقة فى هذا الموقف يا جاهل بأمور الزواج . لقد ادخلها الجراح غرفة العمليات بناء على طلبها وأجرى لها عملية تصغير للأذن اليسرى ومطلوب منى أن أدفع للمستشفى خمسة آلاف جنيه .

○ ○ ○

.. وهــوى شهاب !



كانت البداية عندما فتح الخادم الباب للطارق فنهضت أصافح الضيف بحرارة وأرحب به معبرا عن اشتياقى الطويل لرؤياه ، ورغم أن ناجية زوجتى كانت على خصام معى فقد انتحت بى جانبا وهى تسألنى : هل تعرفه ؟ قلت لها : طبعا هذا رضا بك زوج عمتك كمالات هانم

فقالت ناجية : بل هذا الأسطى عزوز السباك جاء يصلح البالوعة .

لم تصدق زوجتى أن الأمر التبس على وأننى أصبحت ـ لسبب ما ـ أخلط بين الأشخاص ، وفى المساء كان علينا واجب زيارة شقيقتها المريضة ، واقترحت أن تعرج على أحد المحال الكبرى لتبتاع لها هدية ، وبينما ناجية فى قسم العطور لمحت أثناء تجوالى فى المحل كاميليا زوجة شقيقى .. فأقبلت عليها ضاحكا ومداعبا على مرأى من زوجتى ، ولم اكتشف موقفى السيىء إلا عندما واجهتنى السيدة الغريبة بنظرة استنكار مميتة . ولم يشفع لى إلا تقدم زوجتى نحونا وتصديقها على اعتذارى بأننى ظننتها زوجة شقيقى .

تكرر الخلط بين الأشخاص ، فرأت زوجتى أن أجدد نظارةالنظر ، فلما غيرتها كان أول من صافحته هو الأستاذ أبو المجد سكرتير النادى ، وفى اليوم التالى عرفت من زوجتى أنه ليس سكرتير النادى ، وأن الاشتراك السنوى الذى سلمته له قد ذهب هباء .

ونصحتنى زوجتى ألا أصافح أحدا إلا إذا بدأ بمصافحتى ، ورأيت أن هذا حل طيب ، لكن برهان بك والد زوجتى تأثر كثيرا لأننى تعاليت عليه ولم أصافحه عندما التقيت به مصادفة فى بهو الفندق الكبير ، فقد أحجمت عن مصافحته خشية ألا يكون هو والد زوجتى ، غير أن الرجل

قدر ظروفى عندما شرحت له ما أصابنى .

قالت ناجية : إننى فى حاجة إلى فحص طبى ، غير أن برهان بك قال : إن الأمر لا يحتاج إلى طبيب فهو من هواة الطب الشعبى وممارسيه ، ويقتنى تلالا من كتبه ، وقد بحث برهان بك فى تلك الكتب فوجد أننى مصاب بعمى الأشخاص وأن علاجى يبدأ بأكل مكثف ومستمر لقشر البرتقال أبو سرة ..

وصحيح أننى لا أعرف العلاقة بين قشر البرتقال أبو سرة وبين عمى الأشخاص ، غير أننى وجدت بشائر طيبة لهذا العلاج ، إذ لم أعد أخطىء فى شخص جارى الذى التقى به منذ سنتين طويلة ، فقد عرفته فور أن فتح باب المصعد وقلت له : صباح الخير يا عمران بك ، وكنت أقول له ـ قبل قشر البرتقال ـ صباح الخير يادكتور عطا الله ، ونقلت هذه البشرى إلى زوجتى فقالت : إن الذى أحييه فى المصعد لا هو عمر عمران بك ولا عطا الله ، ولكنها مدام خونيدس اليونانية العجوز ذات الشوارب الكثيفة .

وقد رأى برهان بك أن العلاج هو مزيد من قشر البرتقال أبو سرة ، لكنى تمردت على هذا العلاج .. إذ بدا لى أن سرة أخرى قد ظهرت فى بطنى بجوار السرة القديمة .

رب ضارة نافعة قول مأثور وصحيح ، فإن تفاقم الحالة عندى كشف عن حب كبير تكنه ناجية لى ، وقد رأيت هذا الحب ينفجر فى لحظة أسى عندما دخلت معى المصعد ورأتنى على وشك احتضان مدام خونيدس باعتبارها برهان بك ، وكان هذا تدهورا ملحوظا فى حالتى ، فوجه الشبه معدوم تماما بين برهان بك وبين مدام خونيدس لأن برهان بك حليق الوجه وليس له شوارب كثيفة .

أجهشت ناجية لحظتها بالبكاء وهى تولول : يا حبيبى يا شهاب .. ماذا جرى لك يا حبيبى يا شهاب .. والحق أننى بدأت أعيش فترة من أسعد فترات حياتى الزوجية ، فقد استرحت تماما من غيرة ناجية التى

طالما عصفت بأيامنا وجنحت بها إلى الطلاق ، وبعد أن كانت تتهمنى بالخيانة ليل نهار ، أصبحت تجلس إلى جوارى تراعينى وتسهر على راحتى وتعرفنى بأى شخص قادم نحونا حتى لا أخلط بين أختها مديحة وعبده السفرجى ، وكان لابد من فحصى طبيا .

وسمعت الدكتور شاكر فى التليفون - مصادفة - يبدى دهشة بالغة لزوجتى لأننى أخلط بين الأشخاص بينما ذاكرتى تعمل بكفاءة ، الأمر الذى لا يتمشى مع التشخيص الطبى لحالتى ، غير أن دهشة الطبيب زالت فيما بعد ، إذ عدت ذات مساء إلى البيت وبعد حوار قصير مع عبده السفرجى اكتشفت أننى نسيت زوجتى فى عيادة الدكتور شاكر وعدت بمفردى .

لقد بكت ناجية كثيرا فى تلك الليلة حزنا على ما آل إليه حالى، ولم أر زوجتى ينبوعا دافئا للحب والحنان مثلما رأيتها فى تلك الليلة ، حتى تحرك حبها فى قلبى وعدت أهيم بها غراما . وكان حفل عيد ميلادها فرصة رائعة لأعبر عن حبى ، فهمست فى أذنها : أنت لا تعرفين كم أحبك يا حياتى ، ثم رفعت يدها ألثمها بامتنان ، لكن فوجئت بها تنتفض واقفة ونحن جلوس بين أفراد أسرتها ، ثم جذبتنى من يدى برقة وقد افتعلت ابتسامة : فمشيت خلفها مستسلما لأجدها تسألنى - بعيدا عن الجميع - من أنا ؟

قلت لها : أنت ناجية حبيبتى .

قالت : خبرنى يا شهاب بكل صراحة .. هل كنت ترانى امرأة أخرى وأنت تعبر لى عن حبك ؟

قلت : أعوذ بالله بل كنت أعرف أنك ناجية .

قالت : ربما تخيلتنى كارمن يا شهاب .

قلت : كارمن من ؟

قالت : عارضة الأزياء التى تسكن فى الشقة المجاورة

قلت : أول مرة أسمع اسمها .

قالت مكذبة : شهاب .

قلت : لماذا لا تصدقيننى ؟

قضيت الليلة فى اختبارات عسيرة حتى تتأكد ناجية أننى كنت أقصدها بكلمات الحب وقبلة اليد ، وكانت بين وقت وآخر تسألنى : من أنا ؟ فأقول لها ناجية حبيبتى ، ثم نهضت وجاءت بألبوم صور ..

— صورة من هذه؟

— هذه أختك مديحة .

— وهذه ؟

— عمتك كمالات .

— وهذه ؟

— ناجية حبيبتى .

لكن كل الاختبارات التى اجتزتها بنجاح لم تطمئن ناجية ، فقد عاودتها توترات الغيرة دون أن تفصح عن ذلك ، غير أنها عادت تولينى كل اهتمام ورعاية بعد تدهور جديد فى حالتى ، فقد ذهبت إليها فى المطبخ وهمست فى أذنها بأن هناك رجلا غريبا فى الصالون ، فأسرعت معى تستطلع الأمر ، وفى زاوية من الصالون أشرت إلى رجل يقف أمامى ، وكان هذا الرجل هو خيالى فى المرآة .

انفلتت ناجية هاربة من المكان وهى تدس وجهها بين كفيها فى بكاء وكلمات مختلفة : يا حبيبى يا شهاب يا حبيبى يا شهاب .

أجمعت الأسرة ـ من خلف ظهرى .. على أن حالتى خطيرة جدا ، وسمعت ناجية تدلل على خطورة مرضى فروت أننى كنت أجلس فى غرفة المعيشة أحملق فى لا شىء ، ولما تنبهت إلى وجودها فزعت ونهضت واقفا وأنا أسألها : هل أنت كارمن عارضة الأزياء التى تتحدث عنها زوجتى ؟ اخرجى من هنا فأنا لاأريد مشاكل مع ناجية لأنى أحبها .. اخرجى .

وانتهى الموقف بأن دفعت ناجية خارج باب الشقة بوصفها كارمن ،

وظلت تدق الباب دون أن افتح لها .

قاومت بشدة وهم ينقلوننى إلى مستشفى نايل كلينيك ، فإن نزولى فى هذا المستشفى معناه أن أبيع ممتلكاتى ، وعرضت عليهم أن أعالج فى البيت ، ولم أكن أعرف أن الدكتور شاكر قرر أن يجرى لى عملية فى المخ .

عملية فى المخ ؟

لا يمكن مستحيل أن يلعب أحد فى مخى ، أصابتنى هستيريا وصحوت من غيبوبتى لأجد نفسى راقدا فى غرفة بمستشفى نايل كلينيك ، استعدت حواسى ببطء ، تحسست رأسى فلم أجد أربطة الحمد لله ، ضغطت الجرس ، جاءت الممرضة وفى أعقابها ناجية احتضنتنى فى حب حقيقى .

— ربنا معاك يا شهاب .. ربنا معاك يا حبيبى يا شهاب .

لفت ذراعيها حولى ولم أعد استمع إلا إلى اسمى شهاب ، مقرونا بكلمات الحب ، يا إلهى لم أكن أعرف أن ناجية تحبنى بكل هذا العطاء .

— ربنا معاك يا شهاب .. الأمل سبعون فى المائة .

— ماذا تقولين ؟

— نجاح العملية .

— والثلاثون فى المائة ؟

— لا تفكر فى ذلك يا شهاب ستنجح العملية بإذن الله .

عرفت بطرقى الخاصة ـ أن العملية الجراحية إذا لم تنجح فسوف أصاب بالبلاهة سأصبح « عبيط » .

يا خبر أسود .

بحثت عن الدكتور شاكر الذى وصل فى الخامسة فطلبت إليه أن أحدثه على انفراد .. بادرنى الطبيب قائلا : صدقنى أنك لن تستطيع أن تكمل حياتك ومخك على هذه الصورة .

قلت له : ولكنى لست مريضا ومخى سليم تماما .

قال : بصراحة أنت حالتك متدهورة .

قلت له بصوت خفيض : يا دكتور من فضلك استمع لى .. سأحكى لك القصة من بدايتها .. أن زوجتى ناجية ضبطتنى فى جراج العمارة أقف مع كارمن عارضة الأزياء قبل أن تستقل سيارتها ، كنت أغازلها ، وكانت سعيدة بغزلى ، ولم أكن لحظتها أخاف عينا ترقبنى ، فالمكان ليس به سيارة قادمة أو خارجة ، وعم عمر عامل الجراح العجوز أوى إلى الراحة وقت القيلولة ، لكنى بلمحة جانبية رأيت زوجتى ناجية جالسة فى سيارتها ترقب المشهد كله :

وعندئذ صحت مبتعدا عن كارمن وأنا أقول لها : إلى اللقاء يا ناجية ، ودهشت كارمن لأنى أناديها باسم زوجتى ومضيت فى طريقى متجاهلا تماما ناجية الكامنة فى سيارتها وكأنى لم أرها ، وأسرعت أصعد إلى مسكنى ومالبثت ناجية أن لحقت بى ، دهشت ناجية وأنا أقول لها : ألم تخرجى من الجراج الآن بسيارتك ؟ فلم ترد ، قلت لها : ألم أودعك الآن ملوحا باليد فى الجراج وأنت ذاهبة إلى أمك ؟

ونظرت إلى ناجية نظرة غاضبة ، لكنى رأيت أن استمر فى تمثيل دور من يخلط بين الأشخاص ، وانتهزت فرصة دخول الأسطى عزوز السباك واحتضنته معانقا مشتاقا باعتباره رضا بك زوج عمة ناجية .

استمع الدكتور شاكر إلى القصة فى هدوء ثم هز رأسه ونهض ، وفى هذه الأثناء دخلت ناجية فتقدم منها الدكتور شاكر ليقول بصوت خفيض : يؤسفنى أن أقول ان أسوأ أعراض المرض قد بدأت عنده وهى تأليف القصص الوهمية .

صحت فى الطبيب : أرجوك صدقنى .

التفت نحوى وقال بنفس الهدوء : إنى أصدقك ، ثم أشار إلى الممرضة ، فاستدعت ممرضين من الأشداء أمسكا بى حتى غرست

حقنة البنج فى ذراعى ، وكان آخر ما سمعت فى تلك اللحظة صوت ناجية : يا حبيبى يا شهاب .. يا حبيبى يا شهاب .

● ● ●

وأجريت العملية لشهاب ولم يصب بالبلاهة ، بل خرج من غرفة العمليات إلى عمر مكرم .

○ ○ ○

راندیفـــو !





عند الباب الخارجى للنادى ، افترقت عن صديقى راشد متمنيا أن يصبح على خير ، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه ، فقد صحا راشد فى الصباح وحول عينه اليمنى زخارف بنفسجية اللون .

وعلى مائدة الفطور قال راشد لطفليه عمر وعبلة : أن حشرة مؤذية لدغته فى جفنه أثناء النوم ، وأبدت زوجته مديحة ـ الفاعلة الأصلية ـ مشاركة وجدانية طيبة أمام الطفلين ، ولم يفتها أن تخاطب راشد : يا حبيبى ، واكتسى صوتها بنبرة حنان دافئة وهى تسأله إن كانت اللدغة لاتزال تؤلمه ، فهز رأسه هزة لا معنى لها .

كان منظره بتلك الدائرة البنفسجية حول عينه مثيرا للشفقة ، وحتى الكلب بنجو كان يتطلع إليه بعينه ثم يلعق ساقه ، لكن ما إن وصل أتوبيس المدرسة وخرج الطفلان حتى انفجر الموقف من جانب مديحة .

وليس هناك أرق من مديحة عندما ترضى عن راشد ، وليس هناك أيضا أشد منها عنفا عندما تعصف بها الغيرة عليه ، فهى تخلط لعبة الحب بلعبة الكاراتيه التى تعلمت جانبا منها فى النادى ، ثم اقتنعت بالاقلاع عنها عندما اشتبهوا ذات مرة فى كسر برقبة راشد .

ورغم أن راشد إنسان شديد الطيبة وشديد الاخلاص لزوجته ، إلا أنه يجد متعة فى غيرتها الجنونية عليه دون أن يعمد أبدا إلى إثارة هذه الغيرة ، لكن الفضيلة النادرة فى كل منهما تتمثل فى ذلك المبدأ المقدس الذى اتفقا عليه دائما : لا عراك ولا خصام أمام الأولاد ، فكل الخلافات ينبغى أن تصفى وأن تحل خلف باب مغلق .

ولقد جدت ظاهرة بدت غريبة لمديحة فى البداية ثم مالبثت أن اعتادت عليها ، إذ ما إن يستغرق راشد فى النوم حتى تردد شفتاه

كلمات مبهمة ، إلى أن قربت أذنها من فمه ، فتصيدت من همهمته كلمة طمطم ، لكن راشد نفى أنه نطق بمثل هذا الاسم ونجح فى أن يشكك مديحة فى سلامة سمعها .

وفى مرة أخرى كانت هى بين النوم واليقظة عندما سمعته يردد اسم طمطم ، ولما أيقظته أقسم أنه لا يعرف امرأة بهذا الاسم ، فقالت له بهدوء : سكرتيرتك اسمها فاطمة ، وهنا رفع حواجبه دهشا كأنها اكتشفت له اكتشافا ثم قال : حقا .. سكرتيرتى اسمها فاطمة تصورى .

— طبعا هى طمطم .

وسخر راشد من أفكارها ، بل ضحك ، لكن مديحة ازدادت غضبا ، غير أنها رأت أن تجمد المناقشة حتى لايتطور الأمر ويستيقظ الطفلان ، وانتهى الأمر إلى طرده من جوارها حتى لا تسمعه وهو يردد ذلك الاسم البغيض طمطم ، فأوى إلى كنبة الصالون .

فى الصباح وجد راشد هذه الزخارف البنفسجية حول عينه اليمنى ، وعندما خرج الصغيران إلى المدرسة انفجرت مديحة ، وطالبته بأن يعترف لها بأن طمطم هذه امرأة لها وجود فى حياته وأنها هى فاطمة سكرتيرته .

فى المساء اقترحت مديحة ـ لكى تصدق مزاعمه ـ أن سكرتيرته فاطمة فى بيتها وأن يقول لها إنه يحدثها من النادى ، فإن كان بينها وبينه غرام فمن الطبيعى أن تترك فاطمة العنان لعواطفها مادام يتحدث إليها من خارج البيت وسوف ترقب مديحة سير المكالمة من سماعة التليفون الأخرى .

— ولكنى لم أطلب سكرتيرتى أبدا فى بيتها .. ثم ماذا أقول لها إذا طلبتها ؟

— قل لها أن تبكر فى الحضور غدا لأن العمل يحتاج إلى ذلك ، قل لها أى شىء . المهم أن تتم هذه المحادثة أمامى الآن .

بحث راشد عن رقم تليفون فاطمة حتى عثر عليه ، ورد عليه صبى صغير ، وعلى السماعة الأخرى سمعت مديحة الصبى يقول : تليفون لك يا طنط طمطم .

طمطم ؟ إذن فهذه هى طمطم التى يحلم بها ويردد اسمها فى منامه . وجاء صوت فاطمة رقيقا مهذبا وراحت تستفسر عن عينه ، وهل ذهب إلى الطبيب كما وعدها ؟ ..

كان راشد فى حديثه معها بادى الارتباك وكان يخفى ارتباكه بضحكات عصبية ، وبدت عباراته مرتبكة غير مترابطة وهو يطلب إليها الحضور مبكرا فى الغد .

— ولكنى احضر دائما فى السابعة صباحا .. هل تريدنى قبل السابعة .

— لم أكن أعرف أنك تبدأ العمل فى السابعة .. هذا مناسب جدا ..

انتهت المحادثة التى بدأت مديحة تحللها تحليلا دقيقا ، وفسرت ارتباك الحديث من جانب راشد بأنه يرجع إلى الاضطرابات التى يحدثها العشق فى مواجهة المحبوب . وتوقفت المناقشة عند هذا الحد إذ أقبلت الصغيرة عبلة تحمل الكلب وتشكو أنه يرفض أن يتناول عشاءه ، ووجد راشد فى عبلة غوثا ونجدة ، فنهض يبدى اهتمامه بأمر الكلب المريض ، ثم ابتعد مع ابنته متجها إلى غرفة الأولاد .

وبدأت مشكلة جديدة تستغرق فكر مديحة ، فعندما يخرج راشد فى المساء تطلب مديحة منزل فاطمة فلا تجدها فى البيت ، فإذا لم يخرج راشد من البيت ، تكون فاطمة أيضا فى البيت ، وعندئذ تضع مديحة السماعة بعد أن تسمع من فاطمة : ألو ، تكرر هذا أربع أو خمس مرات .

كان لدى مديحة كلام كثير ورغبة أكثر فى الشجار ، لكن راشد لم يمكنها من ذلك ، فقد احتمى بالطفلين وأصبح يسير فى ركابهما اتقاء لأى اشتباه ، بل إنه اتخذ مكانا للنوم إلى جوار عمر بحجة أن الولد

يسعل ويرفض الغطاء ليلا ولابد من مراعاته .

وتسللت مديحة ذات ليلة تحاول أن تجره من قفاه لمناقشته فى أمر فاطمة والمطالبة بفصلها من المكتب ، لكن راشد تناوم واحتمل ضربة مكتومة بسيف يدها آلمته فى كتفه كثيرا .

كان راشد قد ضرب موعدا سابقا مع الصائغ الذى يصوغ هدية ذهبية لمديحة كى يقدمها إليها فى عيد مولدها الذى يحل بعد أيام ، وكان يعوِّل كثيرا على هذه المناسبة لتصفية الجو والعودة إلى تطبيع العلاقات بغير الاحتماء بالأولاد ، ولما كان يحرص على أن تكون الهدية مفاجأة ، فقد كان عليه أن يذهب إلى الصائغ خفية فى مساء ذلك اليوم ، وكان يعنيه كثيرا ألا تخرج فاطمة من بيتها فى تلك الأمسية حتى لا يقال أنه يلتقى بها .

ولأن راشد إنسان طيب الطوية ، فهو لم يستطع أن يدرك ويلاحظ تلك التغيرات التى طرأت على فاطمة لقد أصبحت تعتنى كثيرا بمظهرها وزينتها وتسريحة شعرها ، ولم يدر بذهن راشد أن فاطمة كانت على يقين أنه هو الذى يطلبها بالتليفون ثم يضع السماعة بعد أن يسمع صوتها يقول : آلو ، فقد كانت فاطمة تسمع فى السماعة صوت جرس الباب المتميز فى بيت راشد وهو صوت تغريد عصفور ، وما خطر ببال فاطمة أن التى تطلبها هى مديحة .

فى ذلك الصباح فكر راشد فى أن يرجو فاطمة ألا تخرج من بيتها فى المساء حتى يمكنه أن يذهب إلى موعد الصائغ دون شكوك من زوجته .

ودخلت فاطمة غرفة مكتبه فى ثوب أنيق يسبقها عطر فواح ، وتطلع إليها وهو يفكر كيف يدخل فى الموضوع وفجأة وجد نفسه يسألها فى ارتباك : هل تخرجين مساء اليوم يا فاطمة ؟

احمر وجهها وهى تبتسم فى حياء وأصابعها تعبث بالأوراق وقد هربت بنظرها نحو النافذة ، فأعاد راشد عليها السؤال .

وردت : أخرج ؟ إلى أين ؟

قال بنفس الارتباك : كلا .. كلا ـ أريدك فى البيت .. أعنى أن تلزمى بيتك فى المساء .

— لماذا ؟

تردد راشد قليلا ثم قال : ستعرفين فيما بعد .

قالت فاطمة : كان المفروض أن أزور عمتى اليوم لقد عادت بعد أداء العمرة مع زوجها .

قال راشد وفى صوته استعطاف واضح : هل تؤجلين هذه الزيارة إلى الغد ؟

— هل هذا ضرورى ؟

— جدا .

— لماذا ؟

— إنها مفاجأة لا أريد أن أقول لك تفاصيلها الآن .. أرجو أن تكونى بالمنزل بين السادسة والسابعة .

عندما خرج راشد فى المساء قاصدا الصائغ ، أدارت مديحة قرص التليفون وردت فاطمة : آلو ؟ .. آلو ؟ وقبل أن تضع مديحة السماعة ارتفعت ضحكة ناعمة من فاطمة ثم قالت والضحكة لا تزال على شفتيها : راشد ؟ .. أعرف أنك أنت راشد بك .. إنى فى انتظارك ولم أترك البيت .

وضعت مديحة السماعة مذهولة تماما ، وعندما بدأت تسعيد حواسها ، كان القرار الأول هو أن تصحب عمر وعبلة إلى بيت أمها فلا ينبغى للطفلين أن يشهدا ما سوف يحدث ، وعادت من بيت أمها وجلست تنتظر راشد .

وقف أتوبيس المدرسة أمام بيت أحد التلاميذ فى الصباح ، وعندما صحب بواب البيت التلميذ الصغير إلى باب السيارة ، لاحظت عبلة أن ذراع البواب موضوعة فى الجبس ، وأن دائرة زرقاء تحيط بعينه ، فهمست لشقيقها عمر تسأله : ولماذا ضربت ماما هذا الرجل أيضا ؟

بعد انتقالى إلى المسكن الجديد التقيت فى المصعد برجل على مشارف الخمسين ودود الملامح سألنى فى نبرة ودية : أنت لست عبدالمنعم بدير ، قلت له أنا لست عبدالمنعم بدير ، وبعد أيام قابلنى فى بهو العمارة وقال لى : طبعا أعرف من لقائنا السابق أنك لست عبدالمنعم بدير ، وبادرنى فى المرة الثالثة قائلا : إننى لست ضعيف الذاكرة كما قد تظن ، فأنت لست عبدالمنعم بدير ، ثم مال على أذنى ضاحكا : صدقنى .. إذا عرفت عبدالمنعم بدير فسوف تحمد الله أنك لست عبدالمنعم بدير .

نظرت إلى الرجل بدهشة تمتزج بإشفاق ، لعله مشوش العقل أو أصابته البلاهة وركاكة التفكير من مسلسلات التليفزيون ، غير أن الرجل ضحك قائلا : كان يمكن أن ابدأ كلامى معك بالحديث عن الجو ، وهو أسلوب مستهلك لا يليق برجل مثلى يعمل أستاذا لمادة فن الحديث ، كذلك كان من السخف أن أقدم إليك نفسى للتعارف ، فسوف تنسى اسمى بعد لحظة ، ولهذا رأيت أن أذكرك باسمى كلما التقينا عبدالمنعم بدير ومن المؤكد أنك قد حفظته .

سألته : هل قلت إنك أستاذ فى فن الحديث ؟ قال : كلا يا عزيزى أستاذ فى فن حديث المحادثة ، إنى أدرس هذه المادة فى منهج التربية الاجتماعية ، إن فن الحديث قد اندثر . فالمساكن أصبحت أبراجا أسمنتية شاهقة تحيا فيها كل أسرة منعزلة عن الأخرى ، لقد تزايدت الاصابة بحالات الاكتئاب لأن أحدا لم يعد يستمع إلى شكوى أحد أو يتبادل معه كلمة تعاطف ، وحتى فى داخل الأسرة الواحدة انتهى فن الحديث والفضل للتليفزيون ، لقد أصبح التليفزيون هو المتكلم الأوحد فى الأسرة ، فالكل مشدود إليه ، إن التليفزيون هو أخطر أمراض العصر التى تعصف بالترابط الأسرى .

ومضى الرجل يقول :

أحكى لك عن زوجة صديق عزيز اتصل بها رجل بالتليفون وقال لها

صباح الخير يا بثينة يا حبيبتى فنهرته وأغلقت التليفون ، وعندما عاود الاتصال وصفته بأنه سافل ومنحط ، وفى المرة الثالثة قالت : إنه حمار ، وفى المرة الرابعة فوجئت به يقتحم البيت ويضربها ، لقد كان زوجها ولكنها لم تعرف صوته فى التليفون عندما اضطر إلى الاتصال بها من عمله لأمر عاجل ، فالتليفزيون فرق بين صوته وبين أذنيها منذ زمن طويل ، تماما مثل ابن عمى عمر بدير الذى لم تسمع زوجته صوته من أربع سنوات .

لقد زعم أنه لا يريد أن يقاطعها لأنها تتكلم منذ أربع سنوات بلا توقف وهو كاذب فقد اتخذ من مقعده أمام التليفزيون موطنا أصليا له ، أى تستطيع أن ترسل إليه خطابا وتكتب هذا العنوان على الظرف : عمر بدير المقيم بالفوتى الأخضر أمام التليفزيون ، ليصله الخطاب .

لقد استدعوا الطبيب لأنهم لم يتمكنوا من نقله من مقعده إلى الفراش عقب أجازة ثلاثة أيام من العَمل قضاها فى المقعد ، إذ انتهى الارسال فى ساعة متأخرة فى اليوم الثالث للاجازة ونام عمر فى الكرسى ربما انتظارا لبدء الارسال فى اليوم التالى وتبين للطبيب أن تعذر نقله إلى الفراش ليس بسبب حالة تشنج كما تصورنا ، بل بسبب زيادة وزنه منذ إقامته فى الكرسى وتعذر إخراجه من بين ذراعى الكرسى ، وقد نفذنا نصيحة الطبيب فاستدعينا نجارا .

لا أعرف كم مضى من الوقت منذ أن صحبنى الدكتور بدير إلى مسكنه لتناول فنجان شاى ، لكنى أعرف أن الرجل بهرنى بحديثه المتدفق الشائق ، أما مدام رشيدة زوجته فقد كانت نموذجا رائعا لسحر البساطة ، وفى خلال جلستى دهشت حقا أن يتردد عليه كل هذا العدد من سكان العمارة التى لم يمض على سكناها أسابيع ؟ كيف صنع كل هذه الصداقات فى وقت قياسى ؟ .. بل كيف جمعنا بعد ذلك نحن سكان العمارة فى صلات مودة قوية وأصبحنا نتبادل الأسرار

وأدق المشاكل .. ما سر هذا الرجل الساحر ؟

قالت مدام رشيدة : والله لا أعرف سر موهبته أنا شخصيا لم أكن أصدق ما يرويه لى عن كلبته لونا التى كانت تشاطره المسكن قبل أن نتزوج ، حتى رأيت بعينى كيف كان يجلس ويتحدث إلى لونا فتنصت إليه الكلبة فى اهتمام بالغ وتنهض بين حين وآخر وتدور حول نفسها وهى تهز ذيلها طربا ثم تعود قابعة أمامه تستمع إليه إلى أن تأخذها النشوى فتنهض من جديد راقصة الذيل كأنما تستحسن ما قال أو كأنها تقول له أعد .

قالت للدكتور بدير : ماذا كنت تقول للونا ؟

قال : كنت أحدثها عن نفسها وأنا أمسح رأسها وأربت على ظهرها ، إن ألف باء فن الحديث يقول لك : حدث أى مخلوق عن نفسه يفتح لك فورا بوابات الحب فى قلبه ، إن الرجل الصينى الذى يتحدث إليك بلاغته فى نبرة ودود وهو يربت على ظهرك باسما لابد أنه يحدثك عن نفسك يمتدحك ، ولابد أن يطربك كلامه دون أن تفهم منه حرفا .

وأحببت الدكتور بدير كما لم أحب صديقا من قبل ، فعنده حل لكل مشكلة ، وعنده الظرف واللطف وسحر الكلام ، وعندما شجر خلاف حاد بينى وبين زوجتى عقيلة قال لى الدكتور بدير : إن الزواج كالسياسة يمتنع فيه العنف والارهاب عندما تزدهر لغة الحوار والتفاهم واحترام الرأى الآخر ، ليس صحيحا أن سكوت الزوجة هو علامة الرضا ، السكوت هو دليل على القهر وبداية التفكير فى العنف ودس السم فى الكفتة .

ومضى الدكتور بدير يقول : إن الحديث إلى الزوجة فن يتطلب مواصفات خاصة أهمها أن تكون نبرة الصوت رخيمة وهادئة ومؤثرة إن صوت الرجل يؤنس المرأة ويشعرها بالحماية والأمان ، تلك نزعة فطرية متأصلة فيها منذ فجر التاريخ الانسانى ، فما يكاد الليل يهبط على إنسان العصر الحجرى حتى يتجه جالسا فى مدخل الكهف ليحمى

أنثاه وأولاده من الوحوش والضوارى ، وكانت هى تشغله بالحديث من وقت لآخر فيملؤها الاطمئنان وصوته يأتى إليها يبادلها الكلمات ، إذ كان ذلك يعنى أنه متيقظ لم ينم ، هكذا أصبح صوت الرجل عند المرأة رمزا للايناس والحماية والأمان .

والحق أننا حاولنا كثيرا أن نقلد الدكتور بدير وأن ننفذ كل تعاليمه ، من ناحيتى جربت كثيرا أن أتحدث إلى زوجتى بصوت هادىء رخيم ، وعندما نهضت عقيلة ذات مرة وأنا أتكلم توقعت أن تعبر عن إعجابها بحديثى فتدور حول نفسها مثل الكلبة لونا وتهز ذيل فستانها طربا ، لكنها قامت من مكانها لتغلق النافذة حتى لا يوقظ صوتى الجيران .

ونصحنى الدكتور بدير بأن يكون حديثى لزوجتى مقترنا بابتسامة دافئة ، وفى كل مرة كانت عقيلة تتأمل دفء ابتسامتى فى صمت حتى رأت ذات ليلة أن تعبر عن مشاعرها نحو هذه الابتسامة فسألتنى : لماذا لا تصلح أسنانك وتضع سنا بدلا من هذه السن المخلوعة ؟

ووجهنى الدكتور بدير إلى أن أحرص على خفض طبقة صوتى وأنا أتحدث إلى عقيلة ، إذ لاحظ أن صوتى فى طبقة معينة تكسوه نبرة استفزازية غير مستحبة فبدأت أتحدث إلى زوجتى بالطبقة الخفيضة فسمعتها تحكى لأمها أنه لابد من عرضى على طبيب لأن شفاهى أصبحت تتحرك دون أن تصدر منها أى كلمات .

لقد آمنت فى النهاية ـ كما آمن الجميع ـ أن الدكتور بدير موهبة خارقة ، وأن من العبث تقليد المواهب الخارقة ، فتركنا له مهمة حل مشاكلنا العائلية ، وصنع الرجل معجزات .

مثلا .. اقنع الدكتور جارتنا صفية بما فشل فيه زوجها راشد طوال خمس سنوات . فمن خمس سنوات وصفية تتردد على عيادة طبيب لإنقاص وزنها ، وأصبح إنقاص وزنها كيلوجرام واحد يكلفه ثمانين جنيها فى الأسبوع ، ثم يزيد وزنها كيلوجرام فى الأسبوع التالى ، حتى انتهى الأمر بأن نقص وزن زوجها راشد أحد عشر كيلوجرام .

وحدث شيء مذهل لم تصدقه بسهولة عندما وضع الدكتور بدير حدا لمنازعات السيدة زينات مع زوجها البخيل عبدالقادر بك الذى يضرب ببخله الأمثال ، فقد اقنع عبدالقادر بك بأن يستثمر أمواله بدلا من تكديسها بلا فائدة ، ولا أحد يصدق أن الدكتور بدير - بقوة الاقناع - استطاع أن يأخذ خمسة آلاف جنيه من عبدالقادر بك وظفها له فى مشروع استثمارى وأعادها إليه فى الشهر التالى سبعة آلاف جنيه .

وحل الدكتور بدير مشكلة فؤاد وزوجته عفاف ، إن عفاف كانت تشترى - بين يوم وآخر - إيشارب ثم تشترى حذاء لون الايشارب ثم شنطة لون الحذاء ، ثم تطالب فؤاد بفستان لون الحذاء والشنطة والايشارب ، فلما رآها فؤاد تشترى حزاما من المنك عرف أنها ستطلب البالطو المنك ، غير أن الدكتور بدير اقنع عفاف بما فشل فيه فؤاد على مر السنين .

وعشرات المشاكل حلها لنا ذلك الرجل الموهوب فى فن الحديث والاستمالة والاقناع ، ولقد عشنا حقا حياة دافئة فى ظل هذا الأب الروحى الدكتور بدير الذى امتدت صداقته لتشمل سكان العمارات المجاورة فى الشارع .

وذات صباح افتقدنا الرجل وبكينا لفراقه .

فقد تبين أنه يستأجر الشقة مفروشة وفر هاربا إلى الخارج بأكثر من مليون جنيه جمعها من سكان الشارع لتوظيفها فى مشروعات استثمارية ، واتضح أنه لا دكتور ولا أستاذ ولا عبدالمنعم ولا بدير بل مسجل فى الشرطة (نصاب خطر) .

○ ○ ○

حب فى المقصورة !





أسعدنى كثيرا أن القطار تحرك وأنا وحدى داخل المقصورة رقم أربعة بلا شريك يزعجنى بالحديث ، فإننى أنفر من الكلام مع الآخرين وأنقم كثيرا على عالم الاجتماع الذى ابتكر عبارة : الانسان حيوان اجتماعى ، إذ يخيل إلى أن الناس استندوا إلى هذه العبارة فصار من حق كل إنسان أن يدس أنفه ـ بالأسئلة والحديث ـ فى شئون الآخرين .

وقد كلفنى نفورى من الكلام متاعب كثيرة منذ حياتى المبكرة إلى حياتى الحاضرة ، إذ كان أبى ـ مثلا ـ يحدثنى فاكتفى بالاستماع والحملقة فى وجهه حتى يضيق بى قائلا : مالك تنظر إلى هكذا وكأنك بالع ورنة ، ومن يومها كرهت الورنة دون أن أعرف ما هى الورنة ، ولا تزال أمى تحدثنى عن الزواج فلا أبدى رأيا فيما تقول ، ولا تزال تردد أن للزواج تسع فوائد مباركة لكنها لم تفصح بالتفصيل ولو عن فائدة واحدة ، إذ يبدو أن هذه الفوائد التسع المباركة لم تكتشف بعد .

والذى لا تعرفه أمى أن فتاة أحلامى هى تلك التى أقول لها ليلة الزفاف : إنى أحبك ولهذا تزوجتك وسوف أظل أحبك مدى العمر ، فلا تطلبى منى أن أقول لك هذه الكلمات بعد الليلة ، ويصعب كثيرا أن أصدق ما تقوله عمتى خيرية من أن مثل هذه العروس موجودة .

الحق أننى كنت أتمنى أن أعيش حياتى فى الاسكندرية مع عمتى خيرية وزوجها الدكتور شاكر ، فعمتى أكثر تفهما لى ، وهى قد اكتسبت فضيلة الصمت ، والعزوف عن الكلام من زوجها الدكتور شاكر الأستاذ الجامعى ، وهى حريصة على أن توفر له الهدوء التام ، فالبيت

بلا أطفال ولا أولاد ، وكلما زرتها ليومين أو ثلاثة ، فإننا لا نتبادل إلا الكلمات الضرورية ، ما أجمل هذا التحضر ، وهى سعيدة بزوجها وزوجها سعيد بها ، فهى يدس وجهه فى المراجع العلمية ويستغرق فى القراءة بينما هى فى الفوتيه المواجه له أمام المدفأة تنسج الكانافاه أو تقرأ .

ومرة كنا نتناول الغداء فى صمت عندما قالت عمتى فجأة للدكتور دون أن يكلمها : موجودة الآن على مكتبك ، فهز رأسه هامسا : شكرا ، وعرفت فيما بعد أنه كان قد سألها منذ أيام عن نوتة تليفونات قديمة زرقاء الغلاف ، ولكم دعوت الله أن يرزقنى زوجة صالحة صامتة مثل عمتى خيرية ، أقول لها السؤال فترد عليه بعد أيام عندما تكتمل إجابته الصحيحة . الكلام للضرورة ولا معنى لإهدار الكلام فى ثرثرة بغير جدوى .

لا يمكن بالطبع أن أعدد المتاعب التى تواجه إنسانا مثلى يؤمن بالصمت فى عالم شعاره : الكلام ليس عليه جمرك . لقد لقيت ـ مثلا ـ عذابا مروعا من الحلاقين ، وانتهى بى الأمر إلى أننى قد أضربت عن الذهاب إليهم وأصبحت أقص شعرى بيدى ، فقصر فى مواضع وطال فى مواضع أخرى على غير اتساق حتى ظن البعض أننى أقص شعرى عند حلاق بالتسعيرة الجبرية .

قبل أن يبلغ القطار المحطة التالية فتح باب المقصورة ودخل رجل فى الستينات ، قصير أصلع ، مكور البطن ، منبسط الملامح ، وتظاهرت بالانهماك فى مطالعة الكتاب بين يدى ، وارتحت أن الرجل لم يلق بالتحية ، لكن ظنى ما لبث أن خاب ، فقد لمحته بطرف عينى يتطلع نحوى بعد أن اتخذ مجلسه إلى جوارى ، ووضح لى أنه يتأهب ليبدأ حديثا ، يا ويلى .

إن الرجال فى مثل هذه السن كالأسطوانة المشروخة يرددون أكاذيب غريبة عن ماض ذهب وراح .

عمى فاضل شقيق أبى واحد من هؤلاء ، إنه يزعم أن ليدى ستيفنسون كان يحبها الملك جورج السادس وكانت هى لا تحب إلا عمى فاضل وهو يدرس فى لندن ، وقد سعى جورج السادس عبثا ليبعد عمى عنها وأخيرا اضطر جورج السادس أن يذهب إلى عمى وقال له : أعرف عن تقاليدكم أن من يأكل من الرجل العيش والملح لا يخونه ، ولهذا جئت إليك حتى لا تخوننى مع الليدى ستيفنسون ، ثم فرد الملك جورج لفافة ، فى يده وكان فيها رغيف فينو وكيس ملح .

يا ويلى من هؤلاء العواجيز الذين يملكون قدرة خرافية على تغيير الماضى وتشكيله وفق هواهم ، ما ذنبى الآن لكى استمع إلى هراء هذا الرجل الوافد على المقصورة ؟

برقت فى رأسى فكرة أن أبادره قائلا : نعم يا سيدى الجو اليوم لطيف والشمس ساطعة كما ستقول لى ، اسمى الدكتور وفيق جعفر مدرس بالجامعة هندسة الكترونيات ، غير متزوج .. هل لديك أسئلة أخرى حتى أتفرغ لقراءة هذا الكتاب ، موضوع الكتاب ؟ يتعلق بتخصصى أرجو ألا يكون لديك أسئلة أخرى .

فى اللحظة التى رأيت فيها أن من الجلافة أن أبادر رجلا فى سن والدى بمثل هذه الكلمات سمعته يقول :

سرعة القطار بطيئة .. المشكلة فى سرعة القطار تكمن فى استعداد القضبان .. ليس لدينا قضبان تتحمل سرعة القطار الفرنسى الجديد تى. جى. فى .

قلبت صفحة الكتاب دون أن التفت إليه . وهكذا وجدت نفسى ـ دون سابق تدبير ـ أدعى الصمم . فعاد الرجل يقول : هل ركبت القطار الفرنسى الجديد ؟ وظللت على موقفى وكأن الكلام ليس موجها لى ، ويبدو أنه أراد أن يجلى الأمر بسؤال آخر : كم الساعة الآن ؟ ساعتى غير مضبوطة ، لكنى لم أرفع وجهى من الكتاب ، فاقترب برأسه ظنا منه أن ضجيج القطار طغى على صوته : كم الساعة

الآن ؟ .. وأخيرا مس كتفى برفق مرددا السؤال ، فالتفت نحوه وقد بدا أننى لم أفهم شيئا ، ثم أشرت إلى أذنى ، فأبدى الرجل أسفه وهو يربت على كتفى وتأكد له أننى أصم تماما وغالبا أبكم أيضا .

نهض الرجل خارجا وغاب بعض الوقت ثم عاد واتخذ مجلسه إلى جوارى ، وبعد قليل فتح باب المقصورة وظهرت سيدة لم يسمح لى الموقف بأن أتفرس فيها ، لكن بنظرة سريعة رأيتها جميلة حقا ، فارعة القوام تجاوزت الثلاثين بقليل يتضوع منها عطر هادى ، وهب الرجل من مقعده واقفا كما لو كان قد فوجىء بدخولها ، وهو يقول : دعى لقاءنا يبدو وكأنه بغير اتفاق ، ثم لثم يدها وتظاهر أنه يلقاها مصادفة ، وبزاوية عينى لمحتها تهمس فى أذنه ، فرد عليها وبصوت مرتفع : وحياتك عندى أنه أطرش وأخرس .

كانت السيدة الجميلة ذات العطر الهادىء متحفظة فى البداية ثم علا صوتها ورنت ضحكتها فقد تأكد لها تماما أننى أصم عندما قال لها الرجل : إننا لن نعثر على مثل هذه المقصورة فى القطار كله ونرجو أن تظل كذلك ، فنحن وحدنا بالفعل واعتبرى هذا المغفل الجالس معنا غير موجود .

لم التفت ولم تطرف لى عين للاهانة التى لحقت بى ، لكن شعورا بالجفاء تولد فى صدرى تجاه الرجل الذى راح يتبادل معها الكلام بلا حرج ، كان يناديها دولا بينما هى تناديه حمادة حينا وأحيانا يا قطة . وقد أطربنى أن دولا امتدحت وسامتى وأسفت لعاهتى .. الأمر الذى أثار غيرة حمادة ، فقال لها ساخرا : هل أخطبه لك ؟ فردت عليه فورا : ليتك تفعل مادمت تماطل فى الزواج .

وحاول حمادة أن يغير الموضوع لكنه أخفق وتكشفت القصة عن ان الرجل متزوج وله بيت وأولاد ، وانه مدله فى حبها ، وأنها تطالبه بالخلاص من أم أولاده ، وأنها ضاقت بحياتها معه على هذه الصورة وسنوات الشباب تنفلت من عمرها . كان واضحا أن دولا هى الطرف

المتسلط القوى ، ولقد انذرت الرجل بهجره والزواج بغيره إذا لم يحدد موقفه خلال شهر ، وانقلب الرجل العجوز إلى تلميذ مراهق يستعطف ويسترحم .

إن من حسن حظ الرجال أن المرأة عموما لا تتمتع بروح المرح والسخرية ، وإلا لماتت كل امرأة من الضحك على ما يفعله الرجل أمامها عندما تتوارى رجولته ويسلك لاسترحامها طريق المذلة .

و قد انتهى الموقف الدرامى بوعد من الرجل العجوز بأنه سوف يتزوجها فى غضون شهر ، وسوف يكتب لها وصية خاصة فيحق لها أن ترث ثلث التركة بعد وفاته .

هدأت دولا وصفا الجو ، لكن الرجل أراد أن يستوثق من رضائها فقال لها : هيا .. قول لى يا قطة .

غادرت المحطة ، وطوال الطريق إلى بيت عمتى كنت أفكر فيما يفعله الحب بالانسان ، إنه يعيد تركيب النفس الانسانية إلى الأفضل والأجمل ، وما رأيته ليس حبا . ما هذا ؟ ما لى أنا وتلك الفلسفة الفارغة ؟ لا يحق لى أن أتحدث عن الحب إلا إذا جربته .

وعند هذا الخاطر قفزت دولا إلى خيالى ، جميلة هى بلا جدال . هل أنا أستلطفها ؟ ربما لأنها قالت عن وسامتى كلمات لم أسمعها من قبل .

هل هى استمالتنى بهذه الكلمات ؟ هل الحب ينسج خيوطه الأولى بكلمات الاعجاب والاهتمام ؟ إذا كان الكلام ضرورة للحب فمن المؤكد أننى لن أجرب الحب أبدا .

وانحسرت كل هذه الأفكار المشوشة عن رأسى وأنا أخطو إلى بيت عمتى ، تبادلت معها والدكتور شاكر الكلمات الضرورية ، كانت الساعة حينئذ الخامسة وخمس دقائق مساء ، وساد بعدها الصمت فى البيت الكبير ، ثم سمعت صوت عمتى للمرة الثانية فى الساعة العاشرة ترد تحية المساء وأنا أصعد غرفتى ، وسمعت صوتها للمرة الثالثة ترد

تحيتى فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، وسمعت صوتها للمرة الرابعة فى التاسعة صباحا تقول للطباخ عندنا ضيفة على الغداء اليوم ، وسمعت صوتها للمرة الخامسة فى الساعة السادسة مساء تسألنى رأيى فى هدى راشد التى استضافتها على الغداء ، اكتفيت بأن أقول لعمتى : رائعة ، وتغاضيت عن حيثيات إعجابى بها ، فقد أحببت فى هدى تلك القسمات الهادئة التى يمتزج فيها الجمال الوادع بالشجن بالشفافية ، إن هدى هى العروس التى كانت ترشحها لى عمتى خيرية لأنها لا تتكلم ولا تطالب أحدا أن يكلمها .

فعلا لم أسمع لها صوتا .

فى الساعة التاسعة والنصف مساء سمعت صوت عمتى للمرة السادسة يكشف عن سر صمت هدى الدائم فقالت : إنها ولدت بعيب خلقى فى الأحبال الصوتية ، وهى تخجل من صوتها الذى يشبه صوت الأراجوز ويثير الضحك عند سماعه .. هذه ميزة عظيمة يا عمتى .. أخيرا أستطيع أن أقول إننى عثرت على فتاة أحلامى .

توجهت مع عمتى إلى بيت هدى راشد لكى أتعرف بأسرتها تمهيدا لطلب يدها ، وعندما دخلت الصالون الكبير استقبلنى أبوها .. إنه حمادة عشيق دولا التى كان يسترحمها فى المقصورة رقم أربعة .

حملق الرجل فى وجهى وقد أصابه ذهول عظيم ثم مالبث أن سقط وتكوم فوق الأرض ومات .

إن خديجة هانم أرملة المرحوم أحد بك راشد والد هدى تعتبرنى شؤما على زوجها الذى أحبته فأخلص لها الحب حتى آخر العمر كما تقول ، ولأنى السبب فى موته فهى لا تريد أن تزوجنى من هدى . إنها لا تعرف أننى قد حميتها من الطلاق والتشرد وتسرب ثلث ثروة المرحوم إلى أيدى دولا . لكنى لا أزال أحاول .

غير أنى لن أتكلم عن المرحوم ، فإنى لا أحب الكلام .

● ● ●

الأمـــيرة تاى !





حاولت كثيرا أن أتخلص من نفوذ عزيز سالم ، فى الحضانة ونحن أطفال كان يلعب بلعبى ، فى المدرسة الابتدائية كان يستولى على طعامى ، وفى المدرسة الثانوية كان يستأثر بدراجتى ، وفى الجامعة كان يسرق منى كل فتاة تستلطفنى ، وخرجنا إلى حياة العمل ليجمعنا ـ كما جمعنا دائما ـ الحب الشديد والشجار الدائم ، ومحاولاتى الفاشلة للتخلص من نفوذه .

كان يغيظنى كثيرا أنه قادر دائما على إقناعى ، وكان يريحنى فى النهاية أن أسلم بما يقول ، ولن أنسى كم أبكانى ـ أيام الصبا ـ تأثرا على كلب فى بيتهم الريفى اسمه سيكو ، فقد روى لى أن الكلب أخرس لا يستطيع النباح ، وأنه عندما يريد النباح يرفع ساقه الأمامية ويشير إلى فمه وبإشارة خاصة تعنى أنه فى حالة نباح ، وإن ذلك الكلب المخلص كان يوقظه من النوم ليلا لكى يشير له بأنه ينبح لأن هناك شخصا غريبا فى حديقة البيت ، وكانت قصص عزيز سالم عن شيكو المسكين توجع قلبى فلا أبخل بإعطائه جانبا من مصروفى ليشترى دواء يشفى الكلب ـ الذى لم أره قط ـ من الخرس .

وغدونا رجالا ولا زلنا على مر الليالى ، إذا ظهر أحدنا فى النادى توقع الجميع ظهور الآخر ، وقد حرص الدكتور خير الله الذى يحتل ركنا دائما فى النادى أن ينبهنى ـ بوصفى انتمى إليه بصلة القرابة ـ إلى أن عزيز سالم يعانى حالة مرضية متأخرة هى جنون العظمة ، وإن سر صداقته لى أنه يريد تابعا له حتى يكتمل له مظهر الفخامة ، وأوضح الدكتور خير الله ـ وهو رجل واسع الثقافة ـ أن عزيز يعتدى على عقليتى بأقاصيصه وأفكاره الغريبة . وكنت استمع إلى الدكتور فى

صمت وأنا ابتسم فلا يعرف إن كنت انتصح بنصيحته أم أتظاهر بقبولها .

فمنذ أن تعلق عزيز بهواية التنويم المغناطيسى والبحث فى تناسخ الأرواح وهو يحاول إقناعى أننى كنت فى حياتى السابقة سمكة ، وقد استنكرت هذه الفكرة لكنه أصر عليها مؤكدا أنه عندما تم تنويمى مغناطيسيا أصدرت أصواتا وأبديت ما يدل على أننى كنت فى حياتى السابقة سمكة ، غير أننى تمردت على قبول هذه الفكرة فأعاد تنويمى مغناطيسيا ، وسعدت بالتصحيح الذى حدث ، فقد اكتشف عزيز أننى كنت فى الحياة السابقة امبراطورا رومانيا اسمه ستابيدس الأكبر ، وبعدها بأيام عقدت جلسة التنويم الكبرى ، ونطق عزيز - وهو منوم - باللغة الهيروغليفية وتبين أنه كان فى الحياة السابقة أميرا فرعونيا اسمه حور حويات ، وكان له زوجة مخلصة جميلة هى الأميرة تاى .

قال لى الدكتور خير الله : إنه يرتفع عن مناقشة هذه الخرافات ، فلما استوضحته .. أبرز هراء بعض ما يزعمه عزيز عن التنويم المغناطيسى وكيف أن النائم لا يفقد شعوره وانتباهه ، ولا ينسى ما قيل له أثناء نومه ، كما أن من المستحيل تنويم شخص رغم أنفه ، وشرح بالتفصيل أن نظرية تناسخ الأرواح هى بدعة سخيفة شاعت فى بعض المجتمعات ، ولن يناقش ما يزعمه عزيز من أنه كان فى الحياة السابقة أميرا فرعونيا اسمه حور حويات ، أما ما يدعيه من أنى كنت امبراطورا رومانيا اسمه ستابيدس الأكبر فهذا هراء ، إذ لا يوجد فى تاريخ الرومان امبراطورا باسم ستابيدس الأكبر كما أن كلمة ستابيدس باللاتينية معناها غبى .

استشطت غضبا أن يخدعنى عزيز ويسمينى باسم امبراطور وهمى أو باسم الغبى ، فاعتذر بأنه حاول أن يرضينى لأننى رفضت أن أصدق الحقيقة وهو أننى كنت فى الحياة السابقة سمكة ، وبدأ يقنعنى بهدوء وإيحاء قوى بأننى كنت سمكة ، وما لبث أن سرح بعينيه ،

وقال : إنه يخشى أن تكون زوجته الأميرة تاى قد حلت روحها فى قطة أو أرنب أو سمكة ، أما لو كانت قد حلت فى امرأة معاصرة ، فإن اللقاء بهذه المرأة والزواج منها هو النعيم بعينه .

اقنعنى عزيز بأن أذيع حقيقة أمره وكيف أنه أمير سابق ، فإن إذاعة هذا الخبر سوف تقربه من روح الأميرة تاى وتهديها إليه ، وقد حققت لعزيز ما أراد فشاع وذاع أنه أمير سابق ، وحظى بواب النادى - دون الخدم جميعا - بأكبر نصيب من الأكراميات لأنه أصبح يستقبله : أهلا بجناب الأمير ويودعه : فى حفظ الله يا جناب الأمير .

فجأة تغير متوقع موقع الدكتور خير الله ، فإن هذا العالم الجليل الذى يعد موسوعة علمية استدعى عزيز سالم ليتعذر له عما بدر منه فى حقه ، فقد عاد إلى المراجع العلمية المتخصصة وتبين أن هناك بالفعل أميرا فرعونيا اسمه حور حويات ، وكانت زوجته الأميرة تاى يضربون المثل بحبها وإخلاصها له . عقدت المفاجأة لسان عزيز سالم ثم لبث أن قال الدكتور خير الله : أحقا ما تقول ؟

— أجل يا ولدى .

— وهل يمكن أن يكون للأميرة تاى وجود معاصر .

— محتمل جدا .

— أنت تشجعنى لمواصلة البحث عنها .

— بل يجب أن تستمر فى البحث عنها ، أفعل ما كان يفعله الفراعنة ، كانوا يقدسون الزواج وكانوا يؤمنون بأن الزوجة لا تكون جديرة إلا برجل صالح ، كان الشاب يتضرع قائلا : هبنى الزوجة الصالحة ، فأنا لم أقتل زرعا ولا أقمت سدا أمام جريان الماء ، لم أمنع اللبن عن رضيع ، ولم أسىء إلى يتيم ، وما دلست على أحد ، ولم أتسبب فى دموع إنسان ، إنى استحق الزوجة الصالحة .

ومضى الدكتور خير الله يقول : وجاء فى كتابات الفراعنة : أسس لنفسك بيتا سعيدا ، أحب زوجتك ، قدم إليها الطعام والملابس الجميلة

والعطور ، أسعدها ما استطعت ، فزوجتك نبت جميل مثمر .

قال عزيز سالم : كأنى الآن أشم رائحة البخور والكاهن يردد هذه الكلمات فى حفل عرسى ..

قال الدكتور خير الله : أنت الأمير حور حـويات .. لاشك فى ذلك .

عند هذا الحد كان عزيز قد جن فى راسه من الفرحة فهاهو ذا ينتزع لقب الامارة من العالم الجليل الذى لا يتكلم عن الهوى ، وأصبح عزيز لا يفترق عن الدكتور خير الله طوال جلسته فى النادى .

ذات ليلة همس الأمير عزيز فى أذنى بأنه يشعر بحنين جارف للسفر إلى الأقصر حتى يحيا أجواء حياته السابقة ، أوحى إليه بذلك الدكتور خير الله .

مشيت إلى جوار الأمير عزيز وسط الأطلال الفرعونية ، وفجأة رأيته يتوقف أمام ربوة فى سفحها تمثال للملك سيتى وراح يحملق فى صمت ثم قال كأنه يرى حلما : هنا عشت ، وهنا كان قصرى ذو البوابات الأربع .. والبوابة الشرقية الكبرى تواجه قرص الشمس يبزغ فى الصباح .. كأنى أرى الآن زوجتى الجميلة تاى وحفل عرسى والكاهن يطلق البخور قائلا : لا تقس على زوجتك ولا تعنف ، عاملها بالحنان تصبح أسيرة حنانك .

مضت أيام على عودتنا من الأقصر لتحدث مفاجأة دراماتيكية انعطفت بالأحداث انعطافا حادا ، فقد أحال الفندق الذى كنا ننزل به فى الأقصر خطابا من امرأة مجهولة موجها إلى عزيز تقول سطوره : أيها الرجل الذى لا ينسى . عندما رأيتك تغادر الفندق استغرقتنى مفاجأة صاعقة ، سألت موظف الاستقبال عمن تكون ؟ قال : اسمك البرنس وعندما استعدت حواسى اندفعت فى أثرك ولكن السيارة كانت قد انطلقت بك إلى المطار

هل تعتبرنى مجنونة إذا قلت لك إننى أحس كأنما عشت معك حياة طويلة جميلة .. اغفر لى جنونى ولعلنا نلتقى حيث التقت روحانا .

صاح عزيز سالم : هذه هى الأميرة تاى .

قال الدكتور خير الله : لا أجد تفسيرا أقدمه لك .

قال عزيز : سوف أجد التفسير فى الأقصر .

فى الصباح التالى ، شدنى عزيز معه فى رحلة عاجلة إلى الأقصر اتجه من فوره إلى موظف الاستقبال يسأل عن صاحبة هذه الرسالة فرد بأنها قد رحلت .

فى المساء كان عزيز قد أضناه البحث عن الأميرة تاى التى أصبحت تتسلط على كيانه ، وفيما نحن نتأهب للنوم دق جرس التليفون ورفع عزيز السماعة ليأتى إليه صوت ناعم يهمس فى رقة : البرنس ؟

— أنا البرنس .. من ؟

— أنا صاحبة الرسالة .

— قال مقاطعا : تاى ؟

— تاى من ؟

— هذا ليس مهما .. هل يمكن أن أراك .

— انتظر من فضلك .. أريد أن أسأل : كيف تفسر اتجاهنا هذا الصباح إلى مكان واحد ؟

— أين ؟

— الربوة الخالية إلا من تمثال فى سفحها للملك سيتى .

— هل كنت هناك ؟

— كل يوم اذهب إلى هناك .

— حيث كان قصرنا ؟

— ماذا تقول ؟

— هذا ليس مهما .. هل يمكن أن نلتقى ؟

— سوف نلتقى .

استطاعت بلقيس ـ الأميرة تاى سابقا ـ أن تهز مشاعر عزيز سالم من الأعماق وهى تحدثه فى التليفون من الفندق المجاور قبل أن تلتقى

به ، وعندما حان موعد اللقاء كان عزيز مضطرب الأعصاب كتلميذ سيواجه امتحانا عسيرا . كان كل فكره فى أنه سوف يلتقى بأميرة فرعونية من البيت المالك ضربت بها كتابات الفراعنة المثل فى الحب والوفاء الزوجى كما أكد الدكتور خير الله ، وعندما أقبلت بلقيس ، نحوه عبر قاعة الفندق الفسيحة بادر بالتقدم نحوها يؤدى التحية الأميرة ذات عراقة وجلال .

بقيت فى غرفتى انتظر نتيجة هذا اللقاء ، وعندما عاد عزيز كان يحدثنى فى انبهار عن جمالها ، إنه نوع غريب من الجمال تخطئه العين ولكنه يسر الروح ، والآن بعد أن تزوج عزيز سالم من بلقيس أشعر أننى قد تحررت من نفوذه ، ومن خرافاته ، ومن زعمه بأننى سمكة ، بل وأحس بالانتقام الالهى لما عانيته منه ، فلم تكن بلقيس إلا عانسا حار عمها الدكتور خير الله فى تزويجها بسبب جمالها الضائع وسنها الكبيرة ، فرتب معى الأمر كله ليكون عريسها سمو الأمير حورحويات .

○ ○ ○

بابا جـــدو !





كان جدى بدير ـ ولا يزال ـ هو مثلى الأعلى ، لقد ترك جدى على شخصيتى آثارا بارزة هى اقتناعاته وفلسفاته وحبه للشعر والموسيقى والجمال وإهداء كل امرأة جميلة يصادفها وردة ، وفى مطلع شبابى كلفتنى تلك الهواية الأخيرة ـ فوق ثمن الورد ـ التردد على أقسام الشرطة جزاء تقديرى للجمال .

لقد كان جدى بدير وسيما رياضى القوام ، وكان يحفل بأناقته وتصفيف شعره الفضى ، أما خطواته السريعة وضحكاته العريضة فكانت كلها تنفى سنه الحقيقية ، ولقد انعقدت أوامر صداقة حميمة بينى وبينه ربما قبل أن أبلغ الخامسة من عمرى ، كنت الأثير لديه والمستأثر بعطاياه ، فقد أصبحت حفيده الوحيد بعد موت أبى ، وبالاضافة إلى هذا كله فإن وجهى صورة مصغرة من وجهه كما أحمل نفس اسمه بدير .

لقد بلغ من افتتانى بشخصيته أننى هويت نفس الرياضة التى مارسها فى شبابه وأصبحت بطلا مرموقا فى رمى القرص ، فلقد كان يبهرنى فى طفولتى بحكاياته عن بطولاته فى ألعاب القوى ، وكيف رمى القرص ، ذات مرة فى مباراة دولية بمدينة فينا فلم يسقط القرص على أرض الملعب ، وإنما تاه فى سماء فينا ولم يعثروا عليه بعد ذلك ، وكان جدى يطلق ضحكة عريضة عقب هذه الحكاية التى كنت استعيدها منه ويمسك بشعرى قائلا : أحبك أيها المغفل الصغير .

واذكر بوضوح تلك النزهات التى كنت أصاحب فيها جدى داخل الحديقة الكبرى المتاخمة لشاطىء البحر ، كان يحتفظ دائما بوردة فى صدر سترته ، يهديها إلى أى حسناء يصادفها ويستملح وجهها ، ثم

أعرف أن جولتنا فى الحديقة قد انتهت عندما يقول جدى : هيا بنا إلى كابين حلمى بك .

والحقيقة أننى لم أر حلمى بك هذا أبدا لا فى الكابين أو فى أى مكان بالكرة الأرضية ، فلم تكن فى هذا الكابين إلا سيدة فى سن جدتى يناديها من حولها : كريمة هانم ويناديها جدى : كوكى .

وقد اعتاد جدى أن يعطينى نقودا لأشترى عقود الفل حتى نهديها عند عودتى إلى جدتى ، وفى كل مرة كان جدى يقول لى غدا نشترى لجدتك عقودا أخرى تليق بها ، فقد كان الفل غير صابح ، وما يلبث جدى أن يستدرك قائلا فى نبرة تحذير : لا تقل لجدتك أننا أعطينا الفل لطنط كريمة ، ثم يهمس بأن جدتى سوف تغضب لو عرفت أننا أهدينا كريمة هانم عقود فل دب فيها الذبول .

ولست أدرى كيف اكتشفت جدتى أن جدى يذهب بين يوم وآخر إلى كابين كريمة هانم ، وعندما مثلت بين يدى جدتى للتحقيق فى هذه الواقعة لذت بالصمت . لقد ثارت جدتى وقالت كلاما لم أفهمه ، بينما واجه جدى ثورتها بأن استدار ومضى إلى غرفة المكتب وهو يجذبنى من يدى ، وأدار أسطوانة إحدى السيمفونيات ، واذكر أن جدى قال لى يومها : خذ منى نصيحة لا تتزوج من امرأة ذكية ، ولا تناقش أبدا امرأة ثائرة الأعصاب .. أو هادئة الأعصاب . عندما اشتد عودى وصرت شابا يافعا قال لى جدى : لم يشقنى شىء فى حياتى مثلما أشقانى ذكاء جدتك وثقافتها ، ولم يكن بينى وبين كريمة هانم أية علاقة ، لكننى كنت أستريح إلى الجلوس معها لأنها غبية ، إن الذكاء عضلات كريهة فى رأس المرأة يتنافى مع ليونة أنوثتها وبالتالى ليونة آرائها ومواقفها ، وهو سلاح رهيب فى رأس المرأة وحيازة السلاح تغرى دائما باستعماله ، ولهذا لم تكف جدتك يوما عن إطلاق النار .

لقد رحل جدى بدير لكن اقتناعاته وفلسفاته عششت فى كيانى وأعماق وجدانى ، أصبحت نسخة باقية منه شكلا وموضوعا وكانت

جدتى تصرخ عند كل غضبة منى لأمر أو لآخر : أعوذ بالله .. بدير بلحمه ودمه .. سبحان الله ، بدير لم يمت .

إن الثروة الكبيرة التى تركها لى جدى جعلت الزواج بى أمنية بنات الأسر ، لكننى ما إن أجالس واحدة منهن وأتوسم فيها ذكاء وفطنة حتى أفر منها هاربا . وقد عانت أمى كثيرا من موقفى إلى أن عثرت على الخيط الذى قادنى إلى فتاتى المنشودة بالصدفة ، إذ عدت إلى البيت ذات مساء لأجد أمى ساخطة على موللى ، موللى من يا أمى ؟ آمال بنت أخت فاطمة زوجة خالك ممدوح .

ما الحكاية يا أمى ؟ إن زوجة خالك تشيع عنى أن عينى اليسرى أكبر من عينى اليمنى ، وعندما عاتبت خالك على ما تقوله زوجته انبرت موللى وحدقت فى وجهى ثم قالت : لى ليس صحيحا يا طنط أن عينك اليسرى أكبر من اليمنى ، بالعكس .. عينك اليمنى أصغر من اليسرى .

أين قالت موللى هذا الكلام يا أمى ؟ مرت هنا بالبيت مع خالك وقد همس خالك فى أذنى عندما ضقت بوقاحتها وقال لى إنها بنت غبية جدا وأنها فصلت من المدرسة لاستنفاد مرات الرسوب .

سعيت إلى رؤية موللى ، فإذا بها معجزة فى الجمال ، العينان والتقاطيع ، الشعر والقوام كلها جميعا تعزف سيمفونية مكتملة الروعة ، لقد انفرد بى خالى وأبدى اعتراضه على رغبتى فى الزواج من موللى ، إذ فشلت أمى فى إقناعى بأنها لا تصلح زوجة لى ، فالكل يجمع على أنها قد ولدت بلا مخ بشرى أو حتى حيوانى ، كم هم سذج ، إنهم لا يعرفون أن موللى هى منتهى أملى ولا يدركون معنى ما قاله لى جدى العظيم : مع المرأة ذات الذكاء أنت فى حاجة إلى قوة إرادة جبارة للتخلى عن الرغبة فى البكاء .

ولم ييأس خالى من أسداء النصح فراح يروى أن موللى سئلت فى الامتحان لماذا قدموا إلى سقراط كأس السم ؟ فأجابت بأنهم لم يعثروا

على فنجان يضعون فيه السم فاضطروا لوضعه فى كأس .

وأجابت أيضا بأن البحر الأسود سمى كذلك لأنهم يملأون منه أقلام الحبر .

وعندما فقد كلب شقيقها كلفوها بأن تنقل إليه خبر ضياع الكلب بالتدريج حتى تخفف عليه الصدمة فقالت لشقيقها عند عودته : ان جزءا من الكلب قد ضاع ، ثم استدركت قائلة : أقصد ضاع منه جزءان ، فلما همّ بأن يستوضحها الأمر قالت : لا .. أظن كل أجزاء الكلب ضاعت .

كل هذه الروايات وغيرها من غباوة مولى وجهلها وتخلفها دعتنى إلى أن أتعلق بها أكثر ، وتزوجنا وقضينا شهر العسل نطوف بأجمل بقاع أوربا .

كنت سعيدا تلك السعادة المتفردة التى لا يجربها الانسان إلا مرة واحدة فى العمر ، وضاعف من سعادتى أننى كنت أقوم بعمل كل شىء ، لأنها لا تتقن عمل أى شىء وكان هذا يعطينى إحساسا بالتفوق .
وما أروع ما قاله جدى العظيم : إن افتقار المرأة إلى الذكاء والثقافة يحيلها إلى مخلوق ضعيف يشعرك بالعظمة والسيادة وأنت تسبغ عليها الوصاية والحماية .

لقد نجحت تماما فى عزل مولى عن المجتمع حتى لا تحتك بهؤلاء النسوة المتحذلقات المتشدقات بحقوق المرأة ، وعشنا حياة هادئة مع الوافد الجديد الذى أعطيته اسم أبى وهو ولدنا مقبل .

عدت إلى البيت ذات مساء فوجدت مولى ترتدى ثوبا فاخرا وهى فى أتم زينتها ، قالت لى : عندنا ضيف فى الصالون ، دلفت إلى الداخل لأجد أن مولى لم تقصر فى واجب الضيافة ، فقد أعدت الشاى والفطائر للضيف الذى نهض يحيينى فى اضطراب ، ولم يكن الضيف غير الحاج مغاورى السباك الذى كنت قد اتصلت به ليصلح السيفون ، وما إن خرجت مولى من الصالون حتى راح الرجل يعتذر لى ، إذ ألحت عليه

موللى وهى تحلف أن يتفضل بالجلوس فى الصالون ، كبت غضبى ، فإذا كنت اعتبر غباوة زوجتى نعمة فلا مناص من دفع الضريبة على ذلك .

ومع ذلك كان يداخلنى شعور بالسرور الخفى لمثل هذه التصرفات من موللى ، إذ كانت تشكل مؤشرا باستمرار غباوتها ، وانتهى الأمر إلى أننى أفهمت موللى بهدوء ألا تكرر ما فعلت ، فمثل هذا الرجل ليس ضيفا وإنما هو جاء لينجز عملا لقاء أجر ، فلا ينبغى أن تتجاوز حدود دخوله البيت غرفة الحمام .

اكتشفت فى صباح اليوم التالى أن موللى سعدت كثيرا بحديث الحاج مغاورى السباك من أن البشر كالسمك .. الكبير يأكل الصغير ، وقد حيرها فى حديث الرجل – ردا على سؤال لها – بأن السمك الكبير يأكل السردين أيضا ، غير أنه لم يفسر كيف يحدث ذلك ، إذ قطع حديثهما عودتى إلى البيت ، وهى تريد أن تعرف منى كيف يقوم السمك الكبير بفتح علب السردين ليأكل السردين ؟

كانت جادة فى سؤالها كالعادة ، وقد اعتدت ألا أبدى دهشة أو سخرية من أسئلتها ، كما أننى أرفض أن أصحح لها معلوماتها الساذجة ، إذ أحس دائما رغبة قوية بأن احتفظ بعقليتها خاما دون تعديل أو تطوير ، فقد استرحت إلى ذلك ووجدت سعادتى .

هززت راسى ردا على سؤالها وقلت لها : إن السمك الكبير فى البحر يستطيع أن يفتح علب السردين بسهولة ليأكل السردين ، ووعدتها بأن اشرح لها ذلك عند عودتى من العزبة فى المساء .

رجعت منهمكا لتستقبلنى موللى بوجهها المشرق وقد ارتدت ثوبا أنيقا زادها جمالا ، قالت لى : إن الأستاذ رائف المحامى الذى يتولى أعمالى كان مارا بالشارع فعرج على البيت وسأل عنى .. فلما قلت له تفضل ادخل دعوته إلى الجلوس فى الحمام .

برغم أننى كنت مكدودا ، فقد ارتديت ملابسى وتوجهت إلى مكتب

الأستاذ رائف لأعتذر له .

إن الضريبة قد تكون باهظة أحيانا على غباوة موللى ، لكنها بالتأكيد أرحم من ذكاء مزعج يسير المظاهرات فى البيت هاتفا بسقوط الرجل والاستعمار الرجالى كما كانت تفعل جدتى مع جدى .

فى اليوم التالى كانت الجلسة عائلية تجمع بين والد موللى وأمها ورجل لطيف المعشر آراه لأول مرة هو ابن عم والدها . لقد سألتنى موللى أن أشرح لها كيف يفتح السمك الكبير فى البحر علب السردين ليأكل السردين .

رويت أن السمك يستطيع أن يفتح علب السردين بفتاحة خاصة وهى نفس الفتاحة التى يفتح بها السمك علب التونة عندما يتوق إلى أكل التونة .

لقد كان الجديد فى هذه الجلسة العائلية أن الأم والأب يشتركان لأول مرة فى تلك الأسئلة الغبية التى تخطر عادة على فكر موللى . إذ فوجئت بأبيها يسألنى عن شكل الفتاحة التى يستعملها السمك فى فتح علب السردين فابتسمت وقلت له ان لها شكلا خاصا .

ماذا جرى للرجل ؟ وماذا جرى للأم التى سألتنى أيضا : هل السردين لا يوجد فى البحر إلا داخل علب سردين ؟ قلت لها طبعا ، لقد اعتاد الأب والأم أن يلهجا بالدعاء لى أننى أساير تفكير موللى المتخلف وأوافقها على ماتعتقده من خزعبلات دون أن أهينها أو أسخر منها وانتقص من قدرها ، فماذا جرى ؟

انجلى الموقف عن دعوى رفعتها زوجتى تطلب فيها الحجر على لضعف قواى العقلية وتطليقها منى وتعيينها وصية على ولدنا مقبل ، وكان الرجل الذى دخل بيتى بوصفه ابن عم والدها هو المحامى الذى قدم إلى المحكمة أشرطة التسجيل التى تؤكد لكل من يستمع إليها أننى فى أحط درجات التخلف العقلى . واستندت موللى فى طلب الطلاق إلى أن عقلى المضطرب يحمل مبادىء رجعية تعود إلى عصر الحريم .

لقد استمعت المحكمة . وسألتنى عقب إذاعة كل شريط : هل هذا صوتك ؟ فأجبتها بالايجاب انتظارا لما سوف اكشف عنه للمحكمة من تخلف زوجتى عقليا ومسايرتى لها فيما تردده من خزعبلات ، كما نشط المحامى عنى فى جمع الوثائق عن رسوبها الدراسى .

غير أننى فوجئت بأن موللى حاصلة على ليسانس الآداب بامتياز مع مرتبة الشرف وأبدت كفاءة ذهنية عالية وذكاء متوقدا والمحكمة تناقشها فى أمر تخلفى .

لقد تآمر على الجميع ابتداء من أمى وخالى إلى أمها وأبيها حتى تمثل موللى أمامى دور البنت الغبية لكى أرضى بها زوجة بعد أن أضربت عن الزواج .

وبرغم هذا كله .. مازلت أقرأ الفاتحة على روح جدى العظيم بدير الأول .

o o o

ملف خدمة المدام





فى بلد ما فى زمان ما ، وقف المحامى أمام هيئة المحكمة يطالب بالزام الزوج بأن يدفع لزوجته مرتبها شهريا لقاء عملها فى البيت .

وقال محامى الزوج : أن الزواج مشاركة وتعاطف ومودة ورحمة وليس عملا يجمع بين عامل ورب عمل كما ارادته شرذمة من النساء المخبولات فى مؤتمر المرأة العالمى بنيروبى .

ورد محامى الزوجة بأنه ليس من الرحمة ولا المودة ولا التعاطف أن تعمل الزوجة بغير أجر من مطلع الصبح الى منتصف الليل ، أى بعدد ساعات عمل قياسية لا مثيل لها فى اى عمل أخر فى العالم ، فى الوقت الذى يكتفى فيه الزوج بأن يكون أنانيا ومخدوما ، الأمر الذى يدفعها الى التوتر الشديد ويسلمها الى أفكار اكتئابيه وقاتمة عندما تفكر فى أنانية الزوج ، ويحيرها كثيرا ايجاد الوسيلة المأمونة لإخفاء جثته اذا ما اقدمت على تنفيذ تلك الافكار القاتمة .

وقال محامى الزوج : إن عمل الزوجة المنزلى فوق كل تقدير ، فليس أعظم من الأمومة التى لا تعرف الا العطاء .

قال محامى الزوجة : أن كل انسان فى الدنيا له عمل واحد يتقاضى عنه اجرا ، بينما الزوجة تعمل بلا أجر فى تخصصات مختلفة فهى طباخة ومربية وجليسة أطفال ومشرفة نظافة ومرضعة وغسالة وممرضة وجرسونة ومديرة مشتريات .

وقال محامى الزوج فى دهشة : هل سمعتم عن مدير مشتريات يحتاج لمرتب ؟ هل تدلونى على مدير مشتريات لم يبن عمارة ؟

قال محامى الزوجة : بدلا من التعريض بموكلتى واتهامها بطول

اليد ، ارجو ان تنظر نظرة حضارية وانسانية الى هذا المخلوق الرقيق الذى ولد ليتعذب فى أعمال البيت بلا اجر .. لقد ثبت يا سادة ان ما تقطعه الزوجة من مسافات المشى داخل البيت خلال حياتها يعادل ما يمشيه رجل يتمم دورة واحدة حول الكرة الأرضية .

صاح محامى الزوج : هراء ! ولو كان هذا صحيحا لأفلس أطباء التخسيس ، ولما تحولت المرأة بعد الزواج الى شجرة جميز .

○ ○ ○

صدر حكم المحكمة : ان عمل الزوجة بغير أجر هو سلب لحق اقتصادى ثابت وإهدار لإنسانيتها وتأباه حقوق الانسان ، وترى المحكمة انتداب خبير اقتصادى يحدد مرتبا شهريا للزوجة بعد قياس وقت وجهد العمل الذى تقوم به فى البيت .

○ ○ ○

قدمت الزوجة الى مكتب العمل بشكوى تقول : إن زوجها اعتاد قبل النوم ان يضع رأسه المكدود على كتفها ويتكلم شاكيا هموم يومه وعمله ، وطالبت بأجر اضافى - اوفر تايم - لانه يرغمها على الاستماع اليه وهى فى منتهى الاجهاد بعد ساعات العمل ، وتشكلت لجنة لتقدير هذا الاجر الاضافى فثارت مشكلة : هل يحسب الأجر بالزمن الذى القى فيه الزوج برأسه على كتفها أم حسب وزن دماغه بالكيلو كالبطيخ !

تقدمت الزوجة بشكوى الى مكتب العمل تتهم فيها رب العمل - زوجها - بأنه يحتكر حق الكلام ، وانها عندما تتكلم يقوم بأى عمل آخر كالكلام فى التليفون او الخروج من الغرفة كأنما يعتبرها مضطربة عقليا تكلم نفسها .

رد الزوج بأنه يدفع لها أجرا فى مقابل ان تستمع إليه ، وانذرها - عن طريق مكتب العمل - بأنه سوف يخصم من مرتبها إذا هى لم



تحسن الانصات عندما يتكلم .

○ ○ ○

تقدمت الزوجة بشكوى الى مكتب العمل تتهم فيها رب العمل بأنه يسيء استعمال حقه ، إذ هى فى جلوسها اليه تستمع يوميا الى نفس التعبيرات ونفس الألفاظ وما يردده من سنين عن مديره الحمار وكيف أن أحق منه وأجدر بادارة الشركة ، وقد حفظت تاريخ حياة ذلك المدير عن ظهر قلب وضاقت بالقصص الكاذبة المعادة عنه ، وكيف أن ذلك المدير اكتسب سلوكه العدوانى لأنه كان فى صباه نزيل اصلاحية الأحداث وتفاصيل أخرى تعاد على سمعها يوميا ، ولما كان الحق يقف عندما تبدأ اساءة استعماله ، فقد اعتبرتها ثورة هستيرية مصحوبة بالبكاء وهى تعلن رفضها لسماع هذه القصص المتكررة كأفلام التليفزيون ، وانتهى الامر بأن مكتب العمل الزم الزوج بأن يحكى حكايات جديدة عن مديره الحمار وأن يدخل عنصر الاثارة فى تأليف هذه القصص دفعا لملل الزوجة .

○ ○ ○

تقدم الزوج الى مكتب العمل ومعه محضر اثبات حالة بأن الزوجة تغيبت عن العمل بدون إذن وذهبت الى بيت أمها حيث تناولت معها الغداء وقضت هناك باقى النهار .

وقام مندوب مكتب العمل بجرد « الثلاجة » فلم يجد فيها الا زجاجات الماء ، وتم عقاب الزوجة بتهمة التغيب بدون إذن وإهمال اعداد الطعام للسيد رب العمل .

○ ○ ○

استنفدت الزوجة جميع اجازاتها السنوية والمرضية .

○ ○ ○

تلقت الزوجة من الزوج خطابا بإحالتها الى المعاش لبلوغها السن القانونية وتم اخطارها ـ عن طريق مكتب العمل ـ بتسليم عهدتها فى البيت الى العروس الجديدة .

○ ○ ○

الفهـرس

○ ○ ○

رقم الايداع ـ ٣٤٠٧ / ٩٧
I. S. B. N.
الترقيم الدولى : 3 - 0596 - 08 - 977

طبع بمطابع دار أخبار اليوم